الرواية الحائزة على جائزة مان بوكر الدولية 2016



النباتية

رواية

هان كانغ

ترجمها عن الكورية: محمود عبد الغفار

التنوير

هان كانغ

النَّبَاتِيَّة

رواية

ترجمها عن الكورية

محمود عبد الغفار



هان كانغ

النَّبَاتِيَّة

الكتاب: النَّباتِيَّة (رواية)
تأليف: هان كانغ
ترجمها عن الكورية: محمود عبد الغفار
عدد الصفحات: 224 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-002-8
الترقيم الدولي: 978-9938-941-10-4
رقم الناشر: 17/384-116

الطبعة الأولى: 2018

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:
채식주의자
تأليف: 한강

This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)

الناشر


دار التنوير للطباعة والنشر

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

لم أكن أرى شيئًا مميزًا في زوجتي قبل أن تصبح نباتية، وأقولُ بصراحةٍ إنني لم أشعر بانجذابٍ نحوها حين رأيتها أول مرَّة. رأيتُ أنها متوسطة الطول، شعرها متموِّج، لا هو بالطويل أو القصير، بشرتها مصفرَّة كأنها سقيمة، وعظمَي وجنتَيْها ناتئين بعض الشيء. هكذا أخبرَني مظهرها الخجول الشاحب بكلِّ ما احتجتُ أنْ أعرفَه. حالما توجَّهت إلى الطاولة حيث جلستُ أنتظرها، وجدتني مدفوعًا إلى ملاحظة حذائها الأسود التقليدي، ومشيتها التي تجمع بين السرعة والبطء، وبين اتساع الخطوات والتهادي!

وبما أنه لم يكن في الأمر أيُّ انجذابٍ خاص، أو عيوب معيَّنة تبدَّت لي، فلم يكن هناك سبب يحول دون زواجنا!

ناسبَتني تمامًا الشخصية السلبية التي تبيَّنتها في هذه المرأة التي لا تتمتَّع بعذوبةٍ أو سحرٍ أو أيِّ وهجٍ خاص. ولم يكن هناك ما يدعو لبذل جهدٍ عقليّ في سبيل قبولها، أو ما يدعو للقلق من مقارَنتي بالرجال المتأنّقين الذين يظهرون في كتالوغات الموضة، فضلًا عن أنها لم تتذمَّر حين تأخَّرتُ عن أحد لقاءاتنا، والأهمُّ من كل ذلك أنه لم تكن بي حاجة للقلق من أن تضع في حسبانها كرشي

الذي برزَ مع منتصف العشرينات من عمري، أو ساقَيَّ النحيفتين وساعدَيَّ اللذين لم يستجيبا لكلِّ مجهودٍ بذلته كي لا يصيبهما الترهُّل، أو حتى التفكير في عقدة النقص التي أعانيها بسبب حجم قضيبي!

أجنحُ عادةً نحو المسار المتوسط في الحياة، ففي المدرسة كنتُ أختارُ التقرُّب إلى من هم أصغر مني بعامين أو ثلاثة؛ إذ يمكنني أن أكون الزعيم بدلًا من تجريب حظِّي مع مَن هم في مثل عمري. ثم بعد ذلك اخترتُ التقدم للكلية بناءً على فُرَصي في الحصول على منحة دراسية تفي باحتياجاتي[1]. وفي النهاية استقررتُ في وظيفةٍ تكفلُ لي راتبًا شهريًّا مُرضِيًا في مقابل ممارَستي مهماتي بجدٍّ، في شركةٍ لا يعني صِغَرُ حجمها إلا أنهم سيقدِّرون مهاراتي المتواضعة. ولذا فمن الطبيعي أنْ أتزوجَ أكثر امرأة تقليديَّة في العالم. فبالنسبة للجميلات، النابهات، المثيرات، سليلات العائلات الثرية، يكون مَن هم مثلي مضجِرون!

بما يتفق مع توقعاتي، فقد خُلِقت تلك المرأةُ لتكونَ زوجةً عاديَّة تمامًا، تُسَيِّر الأمور بلا أيِّ تصرُّفاتٍ طائشة غير مرغوب فيها. تستيقظُ كلَّ صباحٍ في الساعة السادسة لتُعِدَّ الأرزّ والحساء مع

---

(1) بحسب الثقافة الكونفوشيوسية، للسن دور بالغ الأهمية في المجتمع الكوري، فاختيار قائد الطلاب في كل فصل يكون بحسب سنه لا تفوّقه الدراسي، وكبار السن لهم كل التبجيل والاحترام ممن هم أصغر منهم، بغضّ النظر عن طبيعة وظائفهم، حتى إن كوريا تعرف شيئًا قد لا يكون له مثيل في كثيرٍ من بلدان العالم هو أنك تكون صديقًا لكلِّ شخصٍ وُلد معك في العام نفسه، وقد تحقِّق لك هذه الصدفة القَدَرية مكاسب كثيرة مع أشخاص مهمين لمجرَّد أن عام ميلادكم واحد. (المترجم).

القليل من السمك عادةً. في سِنِّ المراهقة ساهمَت لفترةٍ من الوقت في دخل أسرتها من خلال عملٍ بسيط يفي ببعض الاحتياجات المنزلية، ودرسَتْ سنةً في أكاديمية خاصة[1] للتخطيط والتصميم الحاسوبي، وانتهت بها الحال إلى العمل كمساعد محاضرٍ هناك. كما كانت قد تعاقدت على العمل من الباطن مع ناشرٍ للرسوم الكاريكاتورية، فتخصَّصت في الكلمات المكتوبة داخل فقاعات الحوار المرسومة، وهو عمل كانت تزاوله من المنزل.

كانت قليلة الكلام. فمن النادر أنْ تطلبَ مني شيئًا، ولا تعترض وتثير المشكلات مهما تأخَّرتُ في عودتي إلى المنزل! حتى عندما كانت أيام راحتنا من العمل تتزامن، لم تكن تقترح أنْ نخرجَ معًا في نزهة. وبينما أجلسُ بعد الظُّهر أمام التلفاز ممسكًا جهاز التحكُّم عن بُعد، تختلي هي بنفسها في حجرتها. كانت تقضي وقتًا أطول من المعتاد في القراءة التي تعَدُّ هوايتها الوحيدة.

كانت القراءة -لسببٍ غير معلوم- شيئًا تغمسُ نفسها فيه؛ تقرأ الكتب التي تبدو مملةً إلى درجة أنني لا أستطيع أنْ أحملَ نفسي على مطالَعة أكثر من أغلفتها. ثم، في أوقات تناول الوجَبات، تفتح البابَ وتظهرُ بصمتٍ لتُعِدَّ الطعام. في الحقيقة، مع مثل هذه

(1) تنتشر الأكاديميات الخاصة في كوريا بشكل كبير جدًّا، إذ يصبح كلُّ شيءٍ خاضعًا للدراسة؛ الطبخ والعزف على الآلات الموسيقية والرسم والحياكة، وغيرها من الحرف والمهن، وكذلك دراسة المقررات الدراسية، بدءًا من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية العامة، فعادةً ما يذهب تلاميذ المدارس بعد انتهاء اليوم الدراسي إلى هذه الأكاديميات لتحسين مستواهم الدراسي والعلمي. (المترجم).

الزوجة، وهذا النمط من الحياة، كانت الأيام خاليةً من المتعة، لكن من ناحيةٍ أخرى، لو أنني تزوجتُ واحدةً من اللاتي لا يكفُّ هاتفهن عن الرنين طوال اليوم بمكالماتٍ مع الأصدقاء أو زملاء العمل، أو اللاتي يؤدِّي تذمّرهن الاعتيادي إلى عراكٍ مع أزواجهنَّ، لشعرتُ بامتنانٍ بالغٍ عندما تختلي بنفسها في نهاية الأمر.

الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره ميزة تخصّها، هو أنها لم تكن تحبُّ ارتداء حمّالات الصدر. فحين كنا نتواعد قبل الزواج، وقد كنتُ شابًّا صغيرًا آنذاك، كنتُ أضعُ يدي على ظهرها فوق سُترتها، فقط لأتحقق مما إذا كانت تلبس حمالة الصدر، فلا أشعرُ بوجود رباطها، وعندما أدركتُ معنى هذا شعرتُ بالإثارة. ولكي أتيقّنَ ما إذا كانت تحاول أنْ تخبرني بشيءٍ ما، كنتُ أنظرُ إليها نظرةً مختلفةً لدقيقةً أو دقيقتين متأملًا سلوكها، لكن المُحصِّلة كانت لا شيء. فهي في الحقيقة لم تكن تحاول أنْ ترسل لي أيَّ إشارات، فهل كان ذلك مقصودًا أم هو عدم اهتمام؟ لم أستطع أن أفهم. لم يكن عدم ارتداء حمّالات الصدر يناسب ثدييها أصلًا، وكنتُ أفضِّلُ لو أنها ارتدت واحدة ذات بطانةٍ سميكة إنقاذًا لماء وجهي أمام أصدقائي.

بعد زواجنا، وعندما حثثتُها على ارتداء واحدةٍ بعض الوقت، كانت في فصل الصيف تحلُّ رباطها بعد دقيقةٍ من مغادرة المنزل، فيبدو الرباطُ المُنحلُّ مرئيًّا بوضوحٍ تحتَ ملابسها الرقيقة الفاتحة. غيرَ أنها لم تكُنْ تُبالي. حاولتُ حثَّها مجدّدًا، محاولًا أن أقنعها بارتداء صدرية بدلًا من حمالة الصدر في ذلك الحرِّ الشديد، فراحت تُبرِّر رفضها بالقولِ إنها لا تتحمَّل عصرَ حمالات الصدر لثدييها، وإنني

لم أرتدِ واحدة منها يومًا، وبالتالي يصعُبُ عليَّ أن أتفهَّم الإحساس بذلك الحصار. وعلى الرغم من ذلك، آخذًا في الاعتبار حقيقةَ أنَّ نساءً كثيراتٍ غيرها لا يعانين من أيِّ مشكلاتٍ تجاه حمالات الصدر، فقد بدأتُ أشكُّ في أسباب حساسيتها المفرطةِ تلك.

مضت مرحلة من زواجنا بنعومة، وهذا العام تكون خمس سنواتٍ قد مرَّت عليه. ولأننا لم نبدأ علاقتنا بعشقٍ جنونيٍّ، فلم نسقط في دائرة الإزعاج والسأم الكفيلة بتحويل حياتنا الزوجية إلى مجرَّد بقايا. في الخريف الماضي، تمكنَّا من الحصول على منزلنا الخاص، وعندئذٍ بدأنا التفكير في الإنجاب، وقد كنتُ أتساءلُ أحيانًا إن كنتُ سأسمعُ يومًا الصوتَ المطمئِن لطفلٍ يُغَرغِر «با–با»، وهو يعنيني أنا!

ذات يومٍ في شهر فبراير الماضي، عند الفجر، كانت زوجتي تقفُ في المطبخ بثياب النومِ. وعندما رأيتها أدركتُ ساعتها أنَّ تغيُّرًا ما قد طرأَ على حياتنا.

«ماذا تفعلين عندكِ؟».

كنتُ على وشكِ الضغطِ على مفتاح إضاءة المطبخ عندما توجهتُ إليها بالسؤال. كانت الرابعةُ فجرًا وكنتُ قد استيقظتُ شاعرًا بعطشٍ شديد، من جرَّاء الزجاجة ونصف من «السوجو»[1] التي شربتها مع العشاء، والتي جعلَتني أستغرقُ وقتًا أطول من المعتاد لأستعيد وعيي.

---

(1) نوع من الخمور التقليدية المشهورة جدًّا في كوريا، ولأن أسعارها في المتناول، فهي من المشروبات المفضَّلة لدى الكوريين. (المترجم).

«ردّي عليّ! سألتُكِ ماذا تفعلين».

كان الجوُّ باردًا بما فيه الكفاية، لكن رؤية زوجتي كانت أكثر برودةً، وقد ذهبَ النعاسُ الذي سبَّبته الخمرة. كانتْ تقفُ أمام الثلاجةِ بلا حراكٍ وقد غمرَ الظلامُ وجهها، فلم أتبيَّن انفعالها، لكن الخيارات المُحتمَلة أخافتني. شعرُها الكثيفُ الأسود غير المصبوغ مُنسدل من دون ترتيبٍ، بينما ترتدي تنورة النَّومِ البيضاء التي تصلُ إلى كاحِليها.

في مثل تلك الليلة، كانت زوجتي لتسارع بارتداء سُترةٍ من الصوفِ، وتبحث عن خُفَّيها الإسفنجيَّين. منذ متى وهي تقفُ حافيةً هناك، ترتدي ملابس نومٍ خفيفة تصلح لفترة الربيعِ أوالخريف، وكأنها تصرُّ على أن تتجاهل سؤالي؟

كانت تشيح بوجهها عني بينما تقفُ هناك في وضعٍ غير طبيعي، كما لو أنها شبحٌ يقفُ على الأرض صامتًا!ما الذي يجري؟ لو انها لم تسمعني، فقد يعني هذا أنها مريضةٌ بالمشي أثناء النوم!

اتجهتُ نحوها مُطقطقًا عُنقي ومحاولًا رؤية وجهها.

«لماذا تقفين هنا هكذا؟ ما الأمر؟».

لم تجفل على الإطلاق عندما وضعتُ يدي على كتفها! لم أشكَّ لحظةً في أنني بوعيي، وأنَّ كلَّ هذا يحدثُ فعليًّا، فقد كنتُ على درايةٍ تامةٍ بكلِّ شيء فعلتُه مُنذ خرجتُ مِن غرفةِ المعيشةِ. سألتها عمَّا تفعله وأنا أتَّجهُ نحوها، بينما تقفُ هي هناك من دون أدنى استجابةٍ، كما لو أنها تائهة في عالمها الخاص.

كانت تبدو حينئذٍ كما في المرات النادرة التي تستغرق فيها

تمامًا في مسلسلات الدراما التلفزيونية الليلية المتأخرة، غير منتبهةٍ لعودتي إلى المنزل!

«حَبيبتي!».

طفَتْ ملامحُها نحوي في الظُّلمةِ. نظرتُ إلى عينيها، فوجدتهما لامعتين من دون احمرار، بينما انفرجَت شفتاها ببطءٍ وهي تقول:

«... رأيتُ حلمًا».

كان صوتُها واضحًا بشكلٍ مُدهش.

«رأيتِ حُلمًا؟ ماذا أصابكِ، وعن أيِّ شيءٍ تتحدّثين؟ أتدرين كم الساعة الآن؟».

استدارت فصار جسمُها أمامي، ومشت ببطءٍ عبرَ الباب المفتوح إلى غرفة المعيشة، وحالما دخلَتها مدَّت قدمها وبهدوءٍ أغلقت الباب. تركَتني وحيدًا في المطبخ المظلم، أتطلعُ معدوم الحيلة إلى طيفها المنسحب الذي تلاشى عبر الباب.

أضأتُ نور الحمَّام ودخلته[1]. كانت موجة البرد مستمرةً على حالها منذ عدة أيام، ودرجة الحرارة ثابتة بمعدل عشر درجات تحت الصفر تقريباً. كنتُ قد استحممتُ قبل ساعات، ولذا كان نعل الاستحمام البلاستيكي لا يزال باردًا رطبًا، وقد بدأت بالفعل أشعر بوحشةٍ من جرَّاء هذا الموسم القاسي، وحشةٍ كأنها تتسرَّب عبر الفتحة السوداء لمروحة التهوئة في أعلى جِدار الحمَّام، وترشحُ من خلال البلاطات البيضاء التي تغطِّي الأرضية والحوائط.

---

(1) يضع الكوريون مفتاح إضاءة نور الحمام في الخارج، وليس داخل الحمام. (المترجم).

عندما رجعتُ إلى غرفة المعيشة، كانت زوجتي مستلقية وساقاها مضمومتين نحو صدرها، والصمتُ مُخيِّمًا تمامًا. كأني وحدي في الغرفة! كان ذلك وهمًا فحسب بالطبع، لكن لو أني بقيتُ ساكنًا، وحبستُ أنفاسي وبذلت الجهد لأتنصّت، لتمكَّنتُ مِن سماع صوت تنفسها الخافت الآتي من حيث استلقَت! لم يكن لأنفاسها وقع أنفاس النِّيام الهادئ المنتظم. لربما كنتُ ذهبتُ إليها ومددتُ يدي إلى جلدها الدافئ ولامَسته. لكن لسببٍ ما وجدتني غير قادرٍ على لمسها، ولا راغب في الاقتراب منها حتى بمجرَّد الكلام!

***

فور استيقاظي صباح اليوم التالي، عندما لم يكن الواقع قد تمكن بعدُ من فرض حقائقه الاعتيادية، بقيتُ لدقائق قليلة راقدًا ملتفًّا باللحاف، شارد الذهن، أتأمّلُ أشعة شمس الشتاء تتسرّبُ إلى الغرفة عبر الستارة البيضاء.

وأنا في ذلك الوضع التجريدي، حدَّقتُ إلى ساعة الحائط، ووثبتُ من مكاني فور رؤية الوقت. دفعتُ الباب وأسرعتُ خارجًا من الغرفة، بينما كانت زوجتي تقف أمام الثلاجة.

«هل جُننتِ؟ لماذا لم توقظيني؟ كم الساعة...».

انسحق شيءٌ تحت قدمي، فأوقفني في وسط الكلام، ولم أصدّق عينَيْ.

كانت لا تزال ترتدي ملابس النوم، شعرها متشابك أشعث، كتلة عديمة الشكل حول وجهها، وأرضية المطبخ من حولها

مغطاة بأكياس بلاستيك وحاويات محكمة الغلق مبعثرة في كل الأرجاء. حتى إنه لم تكن هناك بقعة أضع فيها قدمي من دون أن أطأها. لحم «الشابو شابو»[1]، بطنُ خنزير، قطعتان من لحم عظم الساق الأسود، بعض الحبَّار في أكياس مفرغة من الهواء، شرائح من ثعابين الماء أرسلتها حماتي من الريف منذ فترةٍ طويلة، سمك اللوت المجفّف المربوط بخيطٍ أصفر، أكياس لم تُفتح لزلابية مجمَّدة، وحُزَم من أشياء مجهولة مسحوبة من عُمق الثلاجة. سمعتُ صوت حفيف، فزوجتي كانت تضع الأشياء التي حولها واحدًا تلو الآخر في أكياس قمامة سوداء كبيرة.

«ماذا تفعلين الآن؟».

أخيرًا لم أستطع أن أتمالك نفسي، بينما ظلَّت تضع أكياس اللحم في أكياس القمامة. وقد بدا أنها لم تلاحظ وجودي أكثر مما لاحظَته ليلة أمس.

لحم بقر ولحم خنزير وقطع دجاج، ولحم ثعبان ماء مالح يساوي مئتي ألف وون على أقلّ تقدير.

«هل فقدتِ رُشدك» لماذا ترمين كلَّ هذه الأشياء؟».

بسبب العجلة، تعثّرتُ في طريقي إليها بالأكياس البلاستيك. شددتها من معصمها محاولًا انتزاع الأكياس من قبضتها، فأذهلتني شراستها في مقاومتي. ترنَّحتُ وهلةً، لكن غضبي مدَّني على الفور بقوةٍ فاقت قوتها.

---

(1) طبق ياباني عبارة عن قطع من اللحم البقري أو لحم الخنزير رقيقة السُّمك، تُطهى بسرعة مع الخضراوات وتُغمس في صلصة خاصَّة. (المترجم).

دلَّكَتْ معصمها المحمرَّ، وتكلَّمَتْ بنغمة صوتها المعتادة التي تكلَّمت بها من قبل:

«رأيتُ حُلمًا».

تلك الكلمات مرةً أخرى! كان تعبير وجهها حين نظرَت إليَّ هادئًا تمامًا، وفي تلك اللحظة رنَّ هاتفي.

«تبًّا!».

بدأتُ أبحث عن الهاتف في جيوب معطفي الذي ألقيته على أريكة غرفة المعيشة مساء أمس، وفي النهاية التفَّت أصابعي حول ذلك الهاتف المتمرّد في الجيب الأخير.

«أنا آسف. حدث أمرٌ عائليٌّ طارئ... أنا آسف جدًّا. سأكون هناك بأسرع ما يمكن. لا، لا، سأغادرُ.. حالًا. قليلًا... لا، لا عليك. انتظر قليلًا مِن فضلك. أنا آسف حقًّا. نعم، ليس لديَّ ما يُقال...».

طويتُ هاتفي لأغلقه، واندفعتُ إلى الحمَّام حيثُ حلقتُ ذقني بسرعة، فجرحتُ نفسي في موضعين.

«ألم تكوي القميص الأبيض؟».

لم يأتِ أيّ ردٍّ منها. رششتُ الماء على وجهي، ونقّبتُ في سلَّة الغسيل بحثًا عن قميص الأمس، ولحسن الحظ لم يكن مجعَّدًا جدًّا. أمَّا زوجتي فلم تشغل بالها بأن تُلقي عليَّ مجرَّد نظرةٍ من المطبخ في أثناء الوقت الذي كنتُ أستعدُّ فيه. رميتُ رباط العنق على رقبتي كوشاحٍ، وارتديتُ جوربَيَّ، وأخذتُ حاسوبي ومحفظتي. كانت تلك المرة الأولى خلال سنوات زواجي

الخمس التي أذهب فيها إلى العمل من دون أن تُناوِلني زوجتي أشيائي وتودِّعني.

«أنتِ مجنونة! فقدتِ عقلكِ تمامًا!».

حشرتُ قدمَيَّ في حذائي الذي اشتريته مؤخَّرًا، وكان ضيقًا وضاغطًا على نحوٍ غير مريح، ومندفعًا فتحتُ باب الشقة وخرجتُ. تحقَّقتُ إن كان المصعد متجهًا إلى أعلى طابق في المبنى، ثم هرولتُ نازلًا من الطابق الثالث. لأول مرة تمكنتُ من اللحاق بالمترو لحظة مغادرته. نظرتُ إلى وجهي المنعكس على زجاج العربة المظلم، وصفَّفتُ شعري بيدي، وارتديتُ رباط العنق، وحاولتُ هندمة تجعيدات قميصي بينما يشغل مخيِّلتي وجه زوجتي الهادئ بشكلٍ غير طبيعي وصوتها الصارم غير اللائق!

رأيتُ حلمًا! قالتها زوجتي مرَّتين، وقد لاح وجهها في ظلام النفق وراء النافذة، وجه غريبٌ لشخصٍ كأني أراه للمرَّة الأولى. على أيِّ حالٍ، كانت لديَّ ثلاثون دقيقةً أختلقُ خلالها عُذرًا للعميل لتبرير تأخّري، ولأضع مسوَّدةً مقترَحَة لمقابلة اليوم أيضًا. ولم يكن لديَّ وقتٌ لأفكّر في ذلك السلوك العجيب لزوجتي الغريبة. قلتُ لنفسي إنه عليَّ أن أغادر المكتب مبكرًا اليوم بشكلٍ أو بآخر، فلم يكن يروقني أنَّ عدة شهور قد انقضَت منذ انتقلتُ إلَى موقعي الجديد من دون أنْ أغادر قبل منتصف الليل ولو مرَّةً واحدةً!

ثم إنني شحذتُ همَّتي للمواجَهة.

***

غابةٌ مُظلمةٌ، ولا أحد هناك. أوراق الأشجار مدبَّبة حادَّة،

وقدمي مشقوقةٌ. بالكاد تذكرتُ هذا المكان، لكني تائهةٌ الآن، مرعوبةٌ، أحسُّ بالبرد، وعبر الوادي المتجمِّد أرى مبنًى لامعًا يبدو ككوخ، وحصيرةً من القش تنسدل مرتخيةً على الباب. لففتُها إلى أعلى ودخلتُ. في الداخل كانت عصا طويلة من البامبو، ملطَّخة بدماءٍ غزيرة تَقطُر منها وتتناثر قطع من اللحم. أحاولُ أن أتراجع إلى الوراء، لكن اللحم لا نهاية له وليس هناك مخرَج. الدِّماء تملأ فمي، وتتشرَّبها ثيابي حتى تنفذ منها إلى مسامي.

لا أدري كيف لاح مخرجٌ! أركضُ وأركضُ عبر الوادي، وفجأةً تنفتح الغابة. الأشجار كثيفة الأوراق، ينيرها ضوء الربيع الأخضر. العائلاتُ تتنزَّه، وأطفالٌ يمرحون، وتلك الرائحة الشهيَّة.

اللغة تعجز عن وصف المشهد: خرير ماء الجدول، والناس يبسطون الحُصر ليجلسوا، ويتناولون «الكمباب» ويشوون اللحم، بينما تتعالى أصوات الغناء والضحكات المبهجة!

وعلى الرغم من ذلك كنتُ مذعورةً، فلا تزال الدِّماء تلوِّث ثيابي. أقبعُ مختبئةً وراء الأشجار كي لا يراني أحد. يداي مُلطَّختان بالدم، فمي ملطَّخ بالدم. ما الذي أكلته في ذلك الكوخ؟ دفعتُ الكتلة الحمراء النيِّئة داخل فمي، وشعرتُ بانسحاقها على لثتي، بينما يلمعُ سقفُ حلقي بدمٍ قرمزي!

أمضغُ شيئًا بدا حقيقيًّا، لكنه لم يكن كذلك! وجهي، ونظرة عينيَّ... هو وجهي من دون شك، لكني لم أره من قبل، أو لعلَّه ليس وجهي، لكنه مألوف جدًّا... لا أستطيعُ أن أفسِّر. مألوفٌ وغريب في آنٍ واحد... ذلك الشعور الحيّ الغريب العجيب المخيف!

***

وضعَت زوجتي على المائدة الخسَّ وصلصة فول الصويا وحساء فول الطحالب البسيط، لكن من دون اللحم البقري المعتاد أو المحار مع «الكمتشي»[1].

«ما خطبكِ؟ أبسبب حلمٍ سخيف تتخلّصين من اللحوم كلها؟ بحقِّ السماء، هل تدرين كم ثمنها؟».

نهضتُ وفتحتُ الثلاجة. كانت فارغةً بالفعل؛ لا شيء إلَّا مسحوق الحبوب[2]، ومسحوق الفلفل الحار، وفلفل طازج مجمَّد، وكيس ثومٍ مفروم!

«اقلي بعض البيض، أنا متعبٌ اليوم، ولم أتناول غداءً مشبعًا».

«لقد رميتُ البيضَ».

«ماذا؟».

«والحليب أيضًا».

«لا أصدِّقُ هذا! أتطلبين مني أنْ أتوقف عن أكل اللحوم؟».

«لم أتحمّل بقاء تلك الأشياء في الثلاجة، لن يكون ذلك مقبولًا».

كيف تسنَّى لها أن تكون أنانيةً إلى هذا الحد بحقِّ السماء؟ تطلَّعتُ إلى عينيها اللتين خفضَتهما أرضًا، إلى هدوئها ورباطة جأشها، إلى حقيقة وجود ذلك الوجه الآخر لها وقد فعلَت ما يُسعدها هي فقط بمنتهى الأنانية. كنتُ مذهولًا فمن كان يتخيَّل أنها قد تتصرَّف بطريقة غير معقولة إلى هذه الدرجة!

---

(1) طبق كوري تقليدي، أقرب إلى الملفوف المخلل، لا تخلو منه مائدة كورية.

(2) مسحوق من الأرز أو الشعير المشوي. (المترجم).

«تقولين إذًا إنه من الآن فصاعدًا لن يؤكل اللحم في هذا البيت؟».

«عادةً ما تتناول فطورك فقط في المنزل على كلٍّ حال، ويُفترض أنك غالبًا تأكل اللحم على الغداء والعشاء، فلن تموت إذًا لأنك لم تأكل وجبةً واحدةً بلا لحم!».

كان ردُّ زوجتي معقولًا، كما لو أن قرارها السخيف هذا منطقي ولائق تمامًا!

«حسن، سأتدبَّرُ أمري، لكن ماذا عنكِ أنتِ؟ ألن تأكلي اللحم ثانيةً؟».

أومأت برأسها مؤكدةً!

«حقًا؟ إلى متى؟».

«... إلى الأبد».

لم أجد ما يُقال! كنتُ على درايةٍ بأن اختيار الحمية النباتية لم يعد أمرًا نادرًا كما كان في الماضي، فهناك من الناس مَنْ يرغب في التمتُّع بالصحة والعيش طويلًا، أو يريد أن يتغلَّب على حساسيات معينة مثلًا، أو يرى في المسألة حميميَّةً أكثر تجاه البيئة. وبالطبع هناك الرهبان البوذيون، الذين قطعوا على أنفسهم وعودًا تُلزِمهم -أخلاقيًا- بألّا يشاركوا في تدمير البيئة، لكن المؤكَّد أن الشابات المرهَفات لا يُقبِلن على الأمر إلى هذا الحد. على حدِّ علمي، السبب العقلاني وراء تغيُّر العادات الغذائية هو إمَّا الرغبة في إنقاص الوزن، أو محاولة تخفيف وطأة وعكة صحية، أو أنه مَسٌّ من روحٍ شريرة، أو الخوف من الأرق نتيجةً لعسر الهضم. أمَّا أيّ حالةٍ أخرى فليست إلّا عنادًا مقزِّزًا من زوجةٍ تجاه رغبات زوجها كما في حالتي!

لو كان قد قيل من البداية إنْ زوجتي تعاني من اشمئزازٍ بسيط من اللحوم، لتفهَّمتُ الأمر، لكن مِن قبل أن نتزوج وهي تقول إنها تحب الطعام. وكنتُ معجَبًا بطريقتها في الطهو. ملقطٌ في يد، ومقصٌ كبير في الثانية، وتقلِّب ضلعًا من اللحم في المقلاةِ، بينما تقصُّه إلى قطعٍ متساوية بحركاتٍ تشي بالمهارة والخبرة. طريقتها في تحضير لحم بطن الخنزير المقلي جيدًا برائحته الفوّاحة بسبب نقعها له في الخل والزنجبيل المفروم مع محلول النشاء المركَّز. طبقها المميَّز من شرائح اللحم الرقيقة المتبَّلة بالفلفل الأسود وزيت السمسم، التي تُدهَن بعد ذلك جيدًا بمسحوق الأرزّ اللزج -كما في كعكة الأرزّ أو الزلابية- ثم توضع في حساء «الشابو شابو». كما كانت تطبخ «البيبمباب»مع براعم الفول واللحم المفروم والأرز الذي سبق نقعه ثم تحميره في زيت السمسم، ومعه أيضًا حساء الدجاج أو البط الدَّسم مع قطع البطاطا الكبيرة، وحساء حار من المحار الطري وبلح البحر. كنتُ قادرًا على التهام ثلاث حصص من الطعام في المرة الواحدة!

والآن كانت زوجتي تضع على مائدة الطعام ما لا يعجبني. سحبَتْ كرسيها إلى الوراء على شكل زاوية، وصبَّت بالمغرفة القليل من حساء الطحالب الذي لم يبدُ لذيذًا بالمرة، ثم وضعَت القليل من صلصة فول الصويا على الأرز، ولفّته في ورقة الخسِّ، ووضعت اللفافة في فمها وشرعَت تمضغها ببطء.

خطرَ لي فجأةً أنني لم أعد أدري شيئًا، لا أفهم أيَّ شيءٍ يتعلَّق بهذه المرأة.

«ألنْ تأكل؟».

سألتني بذهنٍ شارد، كما لو أنها امرأة في منتصف العمر تخاطب ابنها الناضج، بينما بقيتُ جالسًا بصمت، لا أجد في نفسي إقبالًا على تناوُل هذه الوجبة الفقيرة، فيما يتعالى صوت مضغ «الكيمتشي» الذي راحت تمضغه لفترةٍ طويلةٍ.

***

أتى الرَّبيع وما زالت زوجتي على حالها، لم تتراجع. في كلِّ صباحٍ تتناول وجبة الفطور ذاتها. وما عدت أزعجها بالتعبير عن عدم رضاي، فعندما يجتاز شخصٌ ما تجربة تحوُّلٍ قاسية، لا يكون في وسع الشخص الآخر أن يفعل شيئًا غير أن يتركه يواصل ما بدأه.

غدَت أكثر نحافةً يومًا بعد يوم، وبرزت عظام خدَّيها بشكلٍ لا يليق، وبدَت بشرتها من دون زينةٍ كمريضٍ في مستشفى. لو أن هذا مجرَّد نموذج لامرأةٍ توقَّفت عن تناول اللحوم لإنقاص وزنها، لما وجدتُ حاجةً إلى القلق، لكني كنتُ مقتنعًا بأن المسألة أكبر من مجرَّد حالة النباتيَّة تلك. لا، لا بد أن للأمر علاقة بالحُلم الذي ذكرَته، فلا بد أنه علّة كلِّ ما يحدث. وعلى الرغم من ذلك كان واضحًا تمامًا أنها لم تعد قادرةً على النوم فعليًّا.

من الصعب أن أقول إن زوجتي كانت توليني انتباهًا خاصًّا، فالمعتاد عندما أعودُ إلى المنزل متأخّرًا أن أجدها نائمةً بالفعل. لكن الآن، بعد أن أعودَ في منتصف الليل، وحتى بعد أن أغتسلَ وأرتّب فراشي وأخلد إليه، تبقى هي في غرفة المعيشة ولا تأتي لتنضمَّ إليَّ. لا تقرأ كتابًا، أو تتبادل الحوارات المكتوبة عبر الإنترنت، أو

تشاهد دراما آخر الليل التلفزيونية. الشيء الوحيد الذي خمَّنت أنها تقوم به، هو عملها على فقاعات الحوار المرسومة، لكن حتى هذا العمل لا يستغرق كلَّ هذا الوقت!

لم تأوِ إلى الفراش حتى الخامسة صباحًا أو نحوها، ولا أستطيعُ أن أؤكد أنها أمضت الساعة التالية في الفراش نائمةً حقًّا. كان وجهها شاحبًا وشعرها مشعثًا وعيناها ضيقتين حمراوين، عندما رمقَتني وهي جالسة إلى طاولة الفطور في الصباح التالي. لا تفعل أكثر من رفعِ ملعقتها من دون اهتمامٍ حقيقي بأن تأكل شيئًا.

ما ضايقَني أكثر كان عزوفها عن الجنس. في السابق كانت تمتثل لرغبتي الجسدية، بل وأحيانًا كانت هي التي تُبادر. أمَّا الآن، ورغم أنها لا تثير ضجّةً في هذا الشأن، فإذا لامستُ كتفها برفقٍ، تتحرَّك هي مبتعدةً بهدوء.

ولذا قررتُ مواجهتها بالأمر ذات يومٍ:

«ما المشكلة؟».

«أنا مُتعَبة».

«هذا يعني أنه عليكِ أن تأكلي القليل من اللحم، لأنكِ لن تتمتَّعي بأيِّ طاقةٍ إذا امتنعتِ عن أكل اللحوم. فأنتِ لم تكوني على هذا النحو من قبل!».

«بصراحة؟».

«ماذا؟».

«... إنها الرائحة!».

«الرائحة؟».

«رائحة اللحوم. جسدك تفوح منه رائحة اللحوم!».

وضَحكتُ بصوتٍ عالٍ ساخرًا.

«ألم تريني منذ قليل؟ لقد استحممتُ! فمن أين تأتي تلك الرائحة إذًا؟».

أجابتْ بمنتهى الجدِّيَّة:

«... من مسامِّك كلِّها».

صدمني كلُّ هذا كما لو أن لعنةً سخيفةً قد حلَّت بي بشكلٍ ما، فماذا لو لم تتوقَّف هذه الأعراض المبدئية؟ ماذا لو أن علامات الهستيريا والهلاوس وضعف الأعصاب وغيرها، التي تبدَّت لي من كلامها، تقود في النهايةِ إلى ما هو أكبر؟

على كلِّ حال، كان من الصعب أن أبتلع فكرة أن الأمر سهلٌ عليها. كانت قليلة الكلام أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، كما حافظَت على نظافة ونظام المنزل. في العطلات الأسبوعية كانت تعدُّ لنا الأطباق الجانبية[1] من الخضراوات الموسمية لنأكلها طوال الأسبوع، فتحمِّر عيش الغراب مع المعكرونة بدلًا من استخدام اللحم المعتاد.

لم يكن الأمر في الحقيقة غريبًا لهذه الدرجة، إذا أخذت في

(1) من الصعب على الكوريين تناول الطعام من دون أطباق جانبية عديدة جدًّا من فواتح الشهية، ويفاضلون بين جودة الخدمة في المطاعم بحسب عدد الأطباق الجانبية المقدَّمة، وكذلك استبدال ما يفرغ منها في أثناء تناول الطعام من دون إلحاح في الطلب. أحيانًا مثلًا مع وجبة السمك المشويِ، المكوَّنة من سمكتين أو أربع سمكات لشخصين مع طبقين من الأرز، يقدِّم المطعم ما يزيد على العشرين طبقًا جانبيًّا. (المترجم).

الاعتبار أن التحول إلى النباتيَّة كان موضة. لم تعد قادرةً على النوم، وبَانَ الهزال على وجهها أكثر، كما لو أنه أجوف من الداخل. وإذا سألتها في الصباح ما خطبها، لا أسمعُ إجابةً غير «رأيتُ حلمًا». لم أستفسر قطُّ عن طبيعة الحُلم، فقد اضطررتُ مرةً لأن أسمع كلامًا كثيرًا منها عن ذلك الحُلم المجنون، عن الكوخ في الغابة المظلمة، والوجه المنعكس في بِركة الدماء، وما إلى ذلك.

تلك المرة الوحيدة كانت كافيةً وأكثر. ولا إمكانية للتدخُّل، ولا سبيل أعرفه لمساعدتها، وهي مستمرةٌ في الذبول. في البداية ازدادت نحافةً حتى أصبح جسدها يليق براقصة، وتمنَّيتُ أن يتوقَّف الأمر عند هذا الحد، لكن الآن صار جسدها يشبه هيكلًا عظميًّا لمريض.

كلما أزعجَتني تلك الأفكار، كنتُ أطمئنُ نفسي بما أعرفه عن أسرتها. كان والداها يملكان ورشةً صغيرة لتقطيع الأخشاب في إحدى المدن الصغيرة، وأختها وزوجها شخصان عاديان، بل وفي صحَّةٍ ممتازة. لا يبدو أن أفراد عائلتها منحدرين من نسلٍ يعاني من اعتلالٍ عقليّ يجري في دماء زوجتي!

لا أنسى رائحة اللحم وشواء الثوم، وصوت قرع الأكواب، بينما يأتي من المطبخ صخب تبادل النسوةِ للحديث. كان حماي على وجه التحديد يحبُّ لحم البقر المفروم النيء، أمَّا حماتي فقد شاهدتها تُخرج أمعاء سمكةٍ حيَّة، وزوجتي وأختها كانتا متمكِّنتيْن من تقطيع الدجاج بمهارة جزَّار، ولطالما أعجبتُ بحيوية زوجتي الخَشِنة وهي تضربُ الصراصير براحةِ يدها وتُطبِق عليها.

كانت حقًّا أكثر امرأةٍ عاديَّة في العالم.

حتى لو صرتُ على درايةٍ بأسوأ ما يُمكن أن يحدث في حالتها، لما تسنّى لي أن آخذها لاستشارةٍ طبيَّة طارئة، ولا تلقّيها العلاج بالطبع. إنها بخير، فما بها ليس مرضًا أصلًا. هكذا قلتُ لنفسي مقاوِمًا وسوسة التهاوُن في استشفاف حقيقة الوضع. هذه الحالة الغريبة لا علاقة لي بها!

***

صباح اليوم السابق للحُلم، كنتُ أفرمُ لحمًا مجمَّدًا. هل تذكُر؟ كنتَ غاضبًا.

«تبًّا! لماذا تتشنَّجين هكذا؟».

لو أنك علمتَ الجهد الذي كنتُ أبذله لأحافظ على هدوء أعصابي. بعض الناس يهتاج لا أكثر، أمَّا معي فكلُّ شيءٍ يصبح مُربِكًا، متسارعًا، ثم تتزايد سرعته وتتزايد أكثر فأكثر. كانت اليد الممسكة بالسكين تعمل بسرعة، وقد شعرتُ بالوخز يحرق مؤخرة عنقي. يدي، ولوح التقطيع، واللحم، ثم السكين يقطعُ إصبعي ببرود.

قطرة دمٍ حمراء بزغت من الجُرح، تتَّسع وتتَّسع. هدَّأني وضعُ إصبعي في فمي. كأن اللون القرمزي والمذاق الذي صار حلوًا يخفيان شيئًا آخر، ثم يتركاني في هدوءٍ غريب.

بينما كنت جالسًا لتناوُل «البولجوجي»، بصقتَ القضمة الثانية، والتقطتَ شيئًا لامعًا، وصرختَ:

«ماذا؟ ما هذا؟ السكِّين؟».

نظرتُ باستخفافٍ إلى وجهك المستشيط غضبًا.

«فكري في ما كان ليحدث لو أنني ابتلعته! لربما كان أدى ذلك إلى الموت!».

لماذا لم يفزعني هذا كما كان يُفترض أن يحدث؟ لكن بدلًا من الفزع انتابني هدوء عجيب، كيدٍ باردة استقرَّت على جبهتي. ثم انسحبَ كلُّ شيءٍ من حولي بعيدًا فجأةً، كما لو أنه ينحسرُ مع المَدّ؛ طاولة الطعام، أنت، كلُّ أثاث المطبخ، وبقيتُ وحدي. كنتُ الشيء الوحيد المتبقي في هذا الفضاء اللامحدود!

وفي فجر اليوم التالي؟ بركة الدماء في الكوخ... حيث شاهدتُ الوجه المنعكس هناك للمرَّة الأولى.

***

«ماذا حدث لشفتيكِ؟ ألنْ تضعي مساحيق التجميل؟».

خلعتُ حذائي، وجذبتُ زوجتي المرتبكة، التي كانت قد ارتدت معطفها بالفعل، من ذراعها إلى الغرفة المقابلة.

«أكنتِ ستخرجينَ بهذا المظهر؟».

كانت صورتي أنا وزوجتي تنعكس في مرآة طاولة مساحيق التجميل.

«أقولُ لكِ أن تضعي مساحيق التجميل».

أزاحَت يدي بهدوء، وفتحَت العلبة وملَّست من محتوياتها على وجهها، الذي بدا مشوَّشًا وقد غطَّته حبيبات المسحوق.

أحمر الشفاه المرجاني الذي اعتادتْ وضعه، والذي تبدو

شفتاها باهتتيْن من دونه، لطَّف من شحوب وجهها الذي يشبه وجوه المرضى، فشعرتُ بالطمأنينة.

«تأخرنا، علينا أنْ نسرع».

فتحتُ البابَ وحثثتها على الخروج بسرعةٍ، وبيدي ضغطتُ زِرَّ المصعد، بينما حدَّقتُ بقوَّةٍ إلى ارتباكها في معطفها الواقي من المطر، الذي لا يتلاءم مع حذائها الرياضي الأسود، ولكن لم يكن بيدها حيلة، فهي لم تعد تملك أحذيةً مميَّزةً منذ أن تخلَّصتْ مِن كلِّ ما هو مصنوعٌ مِن الجلد.

بمجرد أن أدرت محرك السيارةِ، فتحتُ الراديو لأستمع إلى نشرة المرور، موليًا انتباهًا خاصًّا لذكر أيِّ شيءٍ متعلّق بالمنطقة المحيطة بالمطعم الكوري الصيني في وسط المدينة، حيث حجزَ رئيسي في العمل. وما إنْ تحقَّقتُ من عدم وجود مسار آخر أسرع، وضعت حزام الأمان وأنزلتُ مكابح اليد، بينما استغرقت زوجتي دقيقة في جذب معطفها، إلى أن تمكنتْ في النهاية من تثبيت حزام أمان مقعدها بعد عدة محاولاتٍ فاشلة.

«علينا أن نبلي بلاءً حسنًا الليلة، فهذه هي المرة الأولى التي يدعوني فيها رئيسي في العمل إلى العشاء، ولذا سيُراقبني باهتمام».

تمكنَّا من الوصول إلى المطعم في الوقت المناسب، ذلك أني قطعتُ الطريق الرئيس بالسرعة القصوى، وأمام ناظرَيَّ بدا المطعم فاخرًا بطابقَيه وساحة انتظار السيارات الخاصة بالمطعم. ما زال بردُ الشتاء مسيطرًا على الأجواء، وفي ريح المساء بدت زوجتي بردانةً، بينما تقفُ في ساحة انتظار السيارات مرتديةً معطفَ الربيعِ الخفيف. لم تتفوه بكلمةٍ طوال الطريق إلى هنا،

لكني أقنعتُ نفسي بأن لا مشكلة في ذلك، فلا بأس ببقائها صامتة. إن كبار السِّن يفضِّلون المرأة الرزينة، ولذا -رغم عدم ارتياحي- ستسير الأمور على ما يرام.

كان كلّ من رئيسي في العمل والمدير الإداري والمدير التنفيذي قد وصلوا بالفعل مع زوجاتهم، بينما وصل رئيس القسم وزوجته بعدنا مباشرةً. تبادلنا إيماءات التحيَّة والابتسامات، ثم خلعتُ أنا وزوجتي معطفَيْنا وعلَّقناهما على المشجب.

دعتنا حرم رئيسي في العمل للجلوس إلى مائدة العشاء، التي بدا أنها أعدّت لأجل وجبةٍ سخيَّة. إنها سيدة جليلة، لها حاجبان ناعمان دقيقان، وتتزيَّن بقلادة عنقٍ مزينة بالأحجار الكريمة، وقد جلست على رأس المائدة، بينما بدا الآخرون مرتاحين وعلى ألفةٍ بالمكان. سحبتُ مقعدي وجلستُ بحرصٍ كي لا ينتبه أحدٌ إلى تحديقي ببلاهةٍ إلى زخارف السقف المزيَّنة بإتقانٍ كإفريز بناءٍ تقليدي، إلى أنْ رأيتُ سمكةً ذهبيةً تسبح بكسلٍ في حوضٍ زجاجي، وبشكلٍ تلقائي التفتُّ إلى زوجتي بنظرةٍ عابرة. ولاح لي ثدياها!

كانت ترتدي بلوزة سوداء خفيفة، وقد هالتني إلى أقصى درجةٍ رؤية تجسيم حلمتَيْ ثدييها بوضوح عبر القماش، فلا بد أنها لم ترتدِ حمّالة الصدر. وعندما رفع الآخرون رؤوسهم خلسةً، فلا شك أنهم أرادوا أن يتأكدوا من حقيقة ما رأوه، وقد التقت عيناي بعينَيْ حرم المدير التنفيذي. وبهدوءٍ مُصطنَعٍ تجاهلتُ ما أوحت به نظرتها من فضولٍ ودهشةٍ وازدراء.

شعرتُ باحمرار وجنتَيَّ، وبخجلٍ بسبب زوجتي، الجالسة

بعينين خاويتين، لا تبذل أدنى محاولةٍ لتبادل المزاح مع غيرها من النساء.

سيطرتُ على نفسي، وقررتُ أن أفضل ما يمكن فعله -بل إن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله- أنْ أتصرَّف بشكلٍ طبيعي، وكأن ليس هناك شيء غير لائق!

سألتني حرم رئيسي في العمل:

«هل وجدتَ صعوبةً في الوصول إلى هنا؟».

«لا. لقد مررتُ من هنا من قبل. أعجبتني الحديقة كثيرًا، لذا فكَّرتُ في المجيء».

«آه، حقًّا... صارت الحديقة رائعةً، أليس كذلك؟ لو أتيتَ إلى هنا في النهار لكان أفضل، إذ يمكنك رؤية مشتل الأزهار من تلك النافذة هناك».

كانوا قد بدأوا في وضع الطعام، وأوشك التوتُّر الناجم عن محاولة التغلُّب على هدوئي المصطنَع، الذي استطعته بالكاد، على الانتهاء.

أول طبق وُضع أمامنا كان «تانغ يونغ تشيه[1]»، مع قطع رفيعة من هلام البازلاء الخضراء، وعيش الغراب، واللحم. حتى تلك اللحظة كانت زوجتي جالسة فحسب تراقب المشهد بصمت،

(1) نوع من المقبلات التي تقدَّم لعلية القوم قديمًا في كوريا، وهو نوع من الحبوب يُصنع من الدقيق المنخول الذي يعجن بالماء، ويقطَّع بإنزاله من غربال مخصص، ثم يُطهى مدة أربع أو خمس ساعات، قبل أن يوضع في صندوق حتى يبرد ليصبح مثل الهلام. (المترجم).

لكن بمجرّد أن بدأ النادلُ يضعُ بعضًا من الـ«تانغ يونغ تشيه»في طبقها، حتى قالت بصوتٍ خفيض:

«لنْ آكلَ».

قالتها بكلٍّ هدوء. لكن الجميع توقَّفوا عما يفعلونه، موجِّهينَ النظر إليها باندهاش، مستغربين جسدها الهزيل.

«أنا لا آكلُ اللحوم».

سألتها حرمُ رئيسي:

«أنتِ نباتيّة إذًا؟».

ولما لم تسمع ردًا، أضافت:

«بعض الناس في البلدان الأخرى نباتيُّون متشدِّدون، حتى هنا في بلدنا يبدو أن هناك تحوُّلًا في هذا الاتجاه، خصوصًا هذه الأيام، إذ هناك مَن يدَّعون أنَّ أكل اللحوم ليس جيدًا... على أيٍّ حال، أتصوَّرُ أنَّ الامتناع عن أكل اللحوم لأجل التمتع بحياةٍ أطول ليس أمرًا غير عقلاني إلى هذا الحد، أليس كذلك؟».

مبتسمةً سألتها زوجة رئيسي:

«لكن هل يمكنُ العيشُ من دون أكل اللحوم إطلاقًا؟».

بقيَ طبقُ زوجتي يلمع فارغًا على المائدة، بينما كدَّس النادلُ أطباق تسعةِ أفرادٍ ليستبدلها بأطباق جديدة. ثم استمرَّ الحديث بشكل طبيعي حول النظريَّة النباتيَّة.

«ألم تُكتشَف حديثًا مومياوات للبشر ترجع إلى خمسمئة ألف سنة؟! ألم تكشف هياكلهم العظمية عن أنهم كانوا يصطادون بغرض

أكل اللحوم؟ إن تناول اللحوم غريزة جوهريَّة في البشر. أفلا يعني هذا أنَّ النباتيَّة عكس الطبيعة البشريَّة؟ أي أنها شيء غير طبيعي!».

«عُرف مؤخرًا أن الناس يتحوَّلون إلى النباتيَّة بسبب طبيعة كلٍّ منهم المزاجية... أنا نفسي راغبة في التعرّف على طبيعتي المزاجية، ولذا ذهبتُ إلى عدةِ أماكن، لكن في كلِّ مكانٍ ذهبتُ إليه كنت أسمع أشياء مختلفة في كلِّ مرة... على أيِّ حال، كانت فكرة الحمية الخاصة تُشعرني دائمًا بعدم الراحة. باعتقادي أن على المرء ألّا يكون ذا عقلية متزمِّتة عندما يتعلّق الأمر بالطعام!».

«ألا يتمتَّع الذين لا يمتنعون عن أي طعامٍ بالصحة؟! وماذا عن التكامل بين الجسد والعقل؟!».

اتفقت زوجة المدير التنفيذي مع ذلك الرأي، وقد كانت قبل قليل تختلس النظرات الجانبيَّة إلى صدر زوجتي، وفي النهاية صوَّبت سهمًا نحوها مباشرةً:

«أهناك أيُّ سبب خاص لكونك نباتيَّة؟ أسباب صحيَّة أو دينيَّة؟».

«لا».

ذلك الرد الهادئ، بكلمة واحدة! أكَّد أنَّ زوجتي كانت غافلة تمامًا عن الحساسية التي صار عليها الموقف. انتابتني قشعريرة فجأةً، لأن شعورًا من صميم أعماقي أنبأني بما كانت على وشك أنْ تقوله:

«... رأيتُ حُلمًا».

تحدثتُ بسرعةٍ مُقاطعًا زوجتي:

«زوجتي تُعاني من التهاب حاد في المعدة والأمعاء منذ فترةٍ طويلة، وهذا حرمها من النوم بعُمق. وقد نصحَها طبيب تغذية بأن تمتنع عن تناول اللحوم، فتحسَّنت حالتُها كثيرًا بعد ذلك».

عندئذٍ أومأوا برؤوسهم متفهِّمين.

«هذا من حُسن حظي! لم يسبق لي أن تناولتُ طعامًا مع نباتيٍّ حقيقي، فلا أحبِّذُ أبدًا مشاركة الطعام مع شخصٍ يعتبرُ أكل اللحومِ أمرًا بغيضًا، لمجرد أن هذا هو شعوره الشخصي، ألا توافقني؟».

«تلفُّ الأخطبوط الرفيع بعصاتَيْ الأكل ويلذُّ طعمُه عند أكله، فإذا بالمرأة الجالسةِ أمامك تتطلَّع إليك كما لو كنتَ حيوانًا بشكلٍ ما!».

انفجروا ضاحكين، وكنتُ على درايةٍ بضحكة كلٍّ منهم على حدة، بينما لم تشاركهم زوجتي الضحك، إنما راحَت تتطلَّعُ إلى بقايا زيت السمسم على شفاههم بعد تناوُلهم «التانغ يونغ تشيه»، في حين بات واضحًا أنهم جميعًا لا يشعرون بالراحة!

الطبقُ التالي كان «الكان بونغي»[1]، وبعده كانت التونة النيئة. كان الجميع يأكلون بنهمٍ بينما لم ترفع زوجتي ملعقتها. وتبدو حلمتاها الصغيرتان من خلف قماش البلوزة كبذرتَي ثمرةِ الجوز، وتُراقب هي بانتباهٍ شفاههم المنشغلة بالأكل، منقِّبةً في كلِّ ركنٍ أو زاويةٍ مظلمة، كما لو أنها تودُّ أنْ تمتصَّ كلَّ تفصيلةٍ صغيرة.

وهكذا، بلغَتْ دورةُ الأطباق الغنية بالألوان نهايتها، وزوجتي لم تتناول إلَّا السلطة و«الكيمتشي» والقليل من ثريد اليقطين، ولم

---

(1) دجاج محمَّر في الفلفل الحار والقليل من السكر، يُقدَّم مع صلصة الثوم. (المترجم).

تمسَّ حتى الأرزَّ اللزج المهروس، لأنه مطهوٌّ بالمرق لإكسابه الطعم الخاص.

تدريجيًّا لم يعد الحاضرون يعبأون بوجود زوجتي، واستمرُّوا في الحوار حل مواضيع تثير انتباههم. لربما بذلوا جهدًا لإشراكي معهم بداعي الشفقة، غير أني كنتُ أحسُّ في أعماق قلبي بأنهم يريدون الإبقاء على مسافةٍ معينة بيننا.

وعندما وُضِعت الفاكهة للتحليةِ، تناولت زوجتي قطعة تفاحٍ وفصَّ برتقالٍ فحسب.

«ألستِ جائعةً؟ فأنتِ لم تأكلي شيئًا تقريبًا!».

كان ثمَّة شيء ودود في النبرة الحميمة التي عبَّرت بها زوجة رئيسي عن اهتمامها. ولكن من دون ابتسامة اعتذارٍ عاقلة كنوعٍ من الرد، ومن دون كياسة إظهار الخجل على وجهها حتى، حدَّقت زوجتي بشدَّة إلى زوجة رئيسي، فأفزعت تلك التحديقة الحضور جميعًا.

أكانت زوجتي تدرك طبيعة الموقف الذي هي فيه؟ أكانت تعرف مَن هُنّ أولئك السيدات اللواتي في منتصف العمر؟ لم تواتني فرصة قَطُّ لأن أعرف خباياها، أو أعرف ما الذي يدور في رأسها. في تلك اللحظة كانت شخصًا مجهولًا تمامًا بالنسبة لي.

***

كان عليَّ أنْ أفعلَ شيئًا!

في تلك الليلة، وطوال الطريق وأنا أقود سيارتي إلى المنزل، فكرتُ في كلِّ هذا الفشل الذي يعذِّبني، بينما بدت زوجتي طبيعيَّةً

تمامًا، لا تدرك كم كان سلوكها مخجلًا. كانت جالسة تسندُ رأسها إلى نافذة السيارة المنحنية مُتعَبةً، وفي حالةِ نُعاسٍ. بكلِّ تلقائيةٍ أصابني الغضب. أتودُّ أنْ يُطردَ زوجُها من الشركة؟ وإلَّا ما الذي كانت تفعله بحقِّ السماء؟

لكن كان حدسي يقول لي إن كلَّ هذا لم يعد له معنى، فلا الغضب ولا الإقناع سيحرِّك فيها ساكنًا، ولن تكون بيدي حيلةٌ تمكِّنني من تحمُّل الأمر.

بعد أنْ اغتسلَتْ زوجتي وارتدت ملابس النوم، بدلًا من الذهاب إلى غرفة المعيشة، توارتْ في غرفتها. كنتُ وحدي في غرفة المعيشة، غير مستقرٍّ على حال، حين رنَّ جرس الهاتف. كان اتصالًا من مدينة صغيرةٍ بعيدة، وحماتي هي المتَّصلة، وكان الوقت لا يزال مبكرًا على الخلود إلى النوم، فإذا بصوت حماتي يقول:

«أأنتم جميعًا بخير؟ لم نسمع أخباركم منذ فترة؟».

«آسف، فقد كنتُ مشغولًا مؤخرًا. هل حماي بصحةٍ جيدة؟».

«لا جديد عندنا. هل تسيرُ أمورك في العمل على ما يُرام؟».

قلتُ بتردُّد: «أنا بخيرٍ، لكنْ زوجتي...».

«ماذا؟ يونغ هيه؟ ماذا جرى لها؟».

كان القلق يُفعِمُ صوت حماتي، ولم تكن قد أظهرَتْ هذا القدر من الاهتمام بابنتها الثانية من قبل، لكن الولد هو الولد على كلِّ حال.

«لقد انقطعتْ عن أكل اللحوم».

«ماذا تقول؟».

«امتنعتْ عن أكل أيِّ نوعٍ من اللحوم، أو حتى الأسماك، وتعيش على الخضراوات فحسب منذ شهور».

«ما هذا الكلام؟ بإمكانك أنْ تخبرها بأن تُقلع عن هذا النوع من الحِمية!».

«إنها لا تُصغي إليَّ مهما طلبتُ منها. الأدهى أني لم أتناول لحومًا في منزلنا منذ مدةٍ طويلة!».

لم تجد حماتي ما تقوله، فاستغلّيتُ الموقف ودققتُ إسفينًا بقولي: «لا أعرفُ إلى أيِّ مدى صار جسد زوجتي واهنًا!».

«لن أقبل ذلك! إنْ كانت يونغ هيه إلى جوارك، فاعطها الهاتف».

«لقد آوَت إلى الفراش. سأخبرها بأنْ تتصل صباح الغد».

«لا، لا عليك، سأطلبها في الصباح. كيف يتسنى لها أنْ تتجرأ إلى هذا الحد؟ لا بد أنها تسبَّبت في إحراجك!».

بعد انتهاء المكالمة تصفّحتُ حاسوبي في عجالة، وطلبتُ رقم شقيقة زوجتي الكبرى، فأفزعني صوت ابنها ذي الأربعة أعوام قائلًا: «مرحبًا!».

«أعط الهاتف لأمك رجاء!».

إنها تشبه زوجتي لكن عينيها أجمل وأوسع، كما أنها أكثر أنوثةً منها. التقطتْ شقيقة زوجتي الكبرى سماعة الهاتف بسرعة قائلةً: «مرحبًا!»

صوتها عبر الهاتف جليٌّ أكثر منه في الحقيقة، فضلًا عن أنها تثيرني جنسيًا دائمًا. أبلغتُها بالطريقة ذاتها التي أبلغتُ بها أمها منذ

قليل بتحوُّل أختها إلى النباتيَّة. وقد تلقيتُ ردة الفعل المندهشة ذاتها متبوعةً بالاعتذار، ووضعتُ السماعة بعد تقبُّل وعودها.

فكرتُ بالاتصال بأخيها، أصغر أفراد الأسرة، لكني رأيتُ في ذلك نوعًا من المبالغة.

***

حلُمتُ مرةً أخرى.

أحدهم قتلَ شخصًا آخر، وثالث أخفى المقتول. عندما استيقظتُ مِن نومي، كنتُ قد نسيتُ إن كنت أنا التي قتلت شخصًا ما، أو أنني أنا التي قُتِلَتْ. لو أنني القاتلة، فمن قَتلتُ إذًا؟ أهو أنتَ ربما، أم شخصًا آخر مقرَّبًا مني؟ أو ربما قتلتني أنت! إذًا مَن الذي أخفى الجثة؟ إنني واثقة بأنه ليس أحدنا. كان الجاروف... أنا متأكدة من ذلك. أحدهم أخفاها بجاروفٍ كبير. صوتٌ مُضجِرٌ. آه! ارتطم رأسي بشيءٍ معدني، وفي جوف الظلام كان الظلُّ حيًّا مُنبطحًا.

لم تكن تلك أول مرة أرى فيها هذا الحلم، بل رأيته عدة مرَّات. يشبه الأمر حالة سُكْر، عندما تتذكر أشياء حدثَت بينما كنتَ ثملًا. في ذلك الحلم كنتُ أتذكرُ الحلمَ السَّابقَ، ومن ثمَّ فهناك من قتلَ شخصًا آخر مرَّاتٍ عدة. كان الغموض مطبِقًا، لكن الرعب اكتنفني تمامًا.

ربما لا يمكنك استيعابُ هذا، فمنذ وقتٍ بعيد وأنا أشعر بالرعب عندما أرى أحدًا يقطِّع شيئًا بالسكين على لوحِ التقطيع. حتى إذا كان أختي أو أمي، فلا يمكنني تفسير لماذا كنتُ أكره ذلك

بشكلٍ لا يُطاق، لذا اعتدتُ أنْ أكون لطيفةً مع من يفعل هذا، لكن في الحلم لم يكن القاتل أو المقتول أمي أو أختي. ليس هناك غير ذلك الشعور ذاته؛ برودة، وقذارة، وإحساس بالرعب، ووحشية. ولا يزال الشعور باقيًا. الشعور بأني قتلتُ أحدًا بيدَيْ، أو أن أحدًا قتلني. لو لم أمرّ بتلك التجربة لما شعرتُ بكل ذلك! إنني صارمة، خائبة الأمل، وفاترة كدمٍ لم يبرد بعد.

يصير كل شيء غير معتاد. كأني في مؤخرة شيء ما. مجبرة على الصمت خلف باب بلا مقبض. ربما أواجه الآن للمرة الأولى الشيء الذي كان حاضرًا هنا على الدوام. ظلام. كل شيء يتلاشى في الظلام الحالك.

***

على عكس ما توقعتُ، لم يكن لمحاولات حماتي وشقيقة زوجتي الكبرى الإقناعية أدنى تأثير على عاداتها الغذائية. في العطلة الأسبوعية اتصلتْ حماتي بي سائلة:

«أما زالت يونغ هيه لا تأكل اللحوم؟».

وكان حماي يصرخ في زوجتي في الهاتف الذي لم يستعمله من قبل قط، حتى بلغَني صراخه عبر السماعة:

«ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ تتصرفين على هذا النحو في هذه السِّن؟ وماذا يظنُّ زوجك السيد جونغ الآن؟».

كانت زوجتي تضع سماعة الهاتف على أذنها ولا تردُّ بغير «نعم» أو «لا».

«لماذا لا تردّين؟ هل تسمعينني؟».

كان إناء الحساء يغلي على الموقد في المطبخ، ومن دون أنْ تتفوّه بكلمة، وضعت زوجتي سماعة الهاتف وذهبت إلى المطبخ، ولم ترجع ثانيةً.

ورأفةً بحال حماي -الذي لم يعرف أن لا أحد على الطرف الآخر- التقطتُ السماعةَ، وقلتُ:

«أنا آسف يا حماي».

«لا. أنا كلّي خجَلٌ منك».

ذهلتُ لسماع اعتذار حماي. لقد عرفته منذ خمس سنوات، ولم أسمع منه مثل تلك الكلمات على الإطلاق، فعبارات الاهتمام وغيرها لا تتوافق مع شخصيته. لم يكِلّ ولم يملّ قطٌّ من التفاخر بحصوله على وسام الاستحقاق العسكري عن جدارة لخدمته في فيتنام. لم يكن صوته عاليًا فحسب، بل كان صوتًا لصاحبِ فكرة راسخة بقوة.

«كنتُ هناك... في فيتنام... سبعةٌ من الفيتكونغ[1]».

بصفتي زوج ابنته، كانت بداية ذلك الحديث مألوفة لديَّ، وقد قالت زوجتي إنه كان يجلدها على بطَّة الساق حتى سن الثامنة عشرة.

«... على أي حال، ستحضران الشهر القادم. سنجلس ساعتها ونتحدث عن هذا الأمر».

---

(1) الـ«فيتكونغ» حركة سياسية من الشيوعيين والفيتناميين الشماليين، قاتلوا ضد الحكومة الفيتنامية في الجنوب، التي كانت تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية بالمال والعتاد والعسكر بين (1954- 1975م). (المترجم).

عيد ميلاد حماتي في شهر يونيو، وكانت زوجتي بعيدةً، وقد مرَّ عيد ميلاد أمها، في حين أرسل إخوتها الهدايا من أعالي «سيول» كما اتصلوا لتهنئتها. مؤخرًا، في مطلع مايو، وبعد أن تحسّنت أوضاع شقيقة زوجتي الكبرى، انتقلت إلى مسكنٍ جديد، وكانت تتابع الأعمال أو التحسينات في البيت بينما يعمل الحرفيون بدأبٍ في كلِّ أرجائه.

كانت الأسرة قد اعتادت الاجتماع كلَّ عامٍ يوم الأحد الثاني من يونيو بشكلٍ غير منتظم، وكان من الواضح أنه سيكون لقاء عصيبًا، على الرغم من أن أحدًا لم يفصح عن ذلك مباشرةً، بيد أنه كان جليًا أنهم يستعدون لتوبيخ زوجتي.

سواء أكانت زوجتي على درايةٍ بأيٍّ من ذلك أم لا، فقد كانت تقضي أوقاتها بشكلٍ طبيعي يومًا تلو الآخر، واستمرَّ امتناعها عن النوم معي، حتى إنها كانت تنام مرتدية سراويل الجينز. ظاهريًّا ما زلنا زوجين. التغير الوحيد كان في الفجر، فعندما أتحسس منبِّه الإيقاظ، وأطفئه ثم أنهضُ، أجدها لا تزال راقدة في وضعية متصلّبة، وعيناها محدقتان إلى الظلام. أما في الشركة، فبعد تلك الوجبة في المطعم، كان الزملاء باردين بشكلٍ واضح تجاهي، لكن ما إن بدأ المشروع الذي اقترحته عليهم يحقق بعض الفوائد، حتى تلاشى ذلك البرود.

كنت أفكر أحيانًا، أنه على الرغم من أن تلك المرأة التي أعيش معها غريبةً بشكل ما، فلم يترتب على ذلك وقوع أي سوء. رأيت أني سأكون على خير ما يرام إن تعاملت معها على أنها شخصٌ غريب. لا، بل على أنها أختٌ أو ربما خادمة، تضع الطعام على

المائدة، وتنظف المنزل. كان من الصعب على رجلٍ، كان يعيش حياة زوجية من دون عقبات، ألّا يشبع رغباته الجسدية كل هذه المدة الطويلة. ذات ليلةٍ، وبعد عشاء مع زملائي، عدتُ متأخرًا وأنا سكران. أمسكت بها، ودفعتها على الأرض، ضاغطًا يديها المقاومَتَيْن، ثم سحبتُ سروالها وأنا في حالة استثارةٍ كاملة، بينما -وبشكلٍ مفاجئ- تقاومني هي بكل ما أوتيَت من قوةٍ، متفوِّهةً بكل الشتائم المبتذَلة طيلة الوقت. استغرق الأمر ثلاث محاولات حتى ولجتها، بينما كانت مثل امرأة تقدم خدماتها مكرهة إلى جندي ياباني[1]، ثم استكانت راقدة في الظلام هناك محدقةً إلى السقف. ما إن انتهيتُ، حتى أسرعت بالنهوض ودفنت رأسها في اللحاف. ذهبتُ لأغتسلَ، وخلال ذلك الوقت كانت على حالها في هيئة من ينشغل بأمرٍ ما. وما إن ذهبتُ لأخلد إلى النوم حتى أتت بمنتهى التلقائية ورقدت إلى جانبي مغمضة العينين.

كان من السهل عليَّ بعد ذلك تكرار ذلك الفعل رغم الإحساس بعدم الارتياح. كنت شخصًا متبلّد الحس بطبيعتي، إنما لم يكن من عاداتي التسلية بالأفكار الشاذة، لكن الصمت المطبق والظلام في غرفة المعيشة أصاباني ببرودٍ تام. صباح اليوم التالي، كانت زوجتي تجلس أمامي إلى مائدة الإفطار. شفتاها منضغطتان بحزمٍ

---

(1) إحدى القضايا الحساسة جدًّا بين كوريا واليابان خلال فترة الاحتلال الياباني لكوريا في الفترة من 1910 حتى 1945م، حيث أجبر عدد من الجنود اليابانيين بعض النساء الكوريات على ممارسة الجنس معهم، حتى صار هذا التعبير شاهدًا على ما حدث في تلك الفترة «جونغ كونوي آنبو». لا تزال بعض تلك النساء على قيد الحياة، ويطالبن اليابان حتى الآن باعتذار رسمي وحقيقي، لا تعويضات مادية. (المترجم).

كالعادة، غير مبالية مطلقًا بأي شيء أقوله. لم أستطع كتم إحساسي بالاشمئزاز عندما تأمّلتها. وفي النهاية لم أتحمل الطريقة التي كان وجهها يعبّر بها؛ فقد أشعرتني بأنها امرأة تعيش تجربة مريرة!

كان اجتماعُ العائلة بعد ثلاثة أيامٍ، وكان الجو حارًّا في ذلك اليوم والرطوبة في أعلى معدلاتها، وزئير المكيفات يتردَّد في كل البنايات الكبرى أو المحلات. كنتُ أتعرض للمكيف في المكتب طوال اليوم، فعدتُ إلى البيتِ مُتعَبًا. وحالما فتحتُ الباب الأمامي، ورأيت زوجتي أغلقتُ الباب على الفور ودخلتُ. فلو أن أحدًا من المارّين بالرواق أمام الشقة اختلس النظر لرأى ما أفزعه! كانت تجلس أمام التلفاز مرتديةً سروالًا خفيفًا من القطن وجسدها عاريًا حتى خصرها وتقشّر البطاطس. بدا أنها قد فقدت الكثير من وزنها، فصار ثدياها كنتوءين تحت ترقوتَيها البارزتين بشكل حاد.

سألتُها محاولًا قمع ضحكاتي:

«لماذا لا ترتدينَ ملابسك؟».

من دون أن تتوقَّف عن تقشير البطاطس، وكما لو أنها لم تسمعني، أجابت:

«لأن الجوَّ حار».

كززتُ على أسناني، وقلتُ: «انظري إليَّ واخبريني أنّ ذلك الرد مجرد مزحة!».

أردتها، من دون أن أتحدث بصوتٍ عالٍ، أنْ تنظرَ إليَّ لتضحك، لكنها لم تضحك. كانت الثامنة مساء، وباب البلكونة مفتوحًا،

ولذا لم يكن الجو في الشقة حارًا جدًا، بينما كانت بثرات الإوز[1] على كتفيها مثل بذور السمسم الرفيعة. وقد تكدست البطاطس المقشَّرة في أكوام صغيرة على أوراق الجريدة. أكثر من ثلاثين حبة بطاطس.

سألتها متظاهرًا بالهدوء التام:

«ماذا ستفعلين بكل هذه البطاطس؟».

«سأسلقها».

«كلّها؟».

«نعم».

ضحكتُ بترددٍ منتظرًا أنْ تضحكَ، لكنها لم تفعل، بل لم ترفعْ وجهها نحوي.

«كنتُ... فقط... جائعة».

***

كانت يداي في الحلم حول عُنقِ شخصٍ ما، وما زالت لم تقتلعه. كانت تشدّ نهايات شعره وتنتزعها. فركتُ عينيَّ براحتَي يديّ، لكن عندما استيقظتُ، ورأيت في الحقيقةِ، كانت حمامة تسير في الشارع أمامي، بينما كنتُ أود أنْ أقتلها. وقطة محل الملابس التي تأمّلتها مليًّا، وددتُ أنْ أخنقها. رِجلايَ ترتعشان، وجبيني يتعرّق. أصبحتُ شخصًا آخر، أو أنّ شخصًا آخر بزغ داخلي وبدأ يفترسني آنذاك...

---

(1) طفح جلدي على هيئة بثور تسمى بذور الإوز، يظهر على الكوريين في حالات العصبية والتوتر أو عدم التكيف مع درجة الحرارة. (المترجم).

لُعابٌ يتجمعُ في فمي. وكلما مررتُ أمام محل الجزارةِ، عليّ أنْ أضع يدي بقوةٍ على فمي، بينما على لساني بطوله حتى شفتيَّ، لُعابٌ يتسرّب من بينهما متقطّرًا نحو الأسفل.

لو أمكنني أنْ أنام. أن أغيبَ عن الوعي ولو لساعةٍ واحدة! والمنزل باردٌ لليالٍ عدةٍ. كلما استيقظتُ وسرتُ حافيةً، أحسُّ ببردٍ كأرزٍّ أو حساء تُرك حتى يبرد. ليس هناك ما يُرى وراء النافذة المظلمة، بينما الباب الأمامي المظلم يطقطق باستمرارٍ من دون أن يكون هناك مَن يقرعه. وحالما عدتُ ووضعتُ يديَّ تحت اللحاف كان كل شيء باردًا.

الآن لم أعد أستطيع أن أنام خمس دقائق. فكلما غبتُ عن الوعي كان الحلمُ! لا يمكنني حتى تسميته حلمًا. مشاهد قصيرة لهجوم حيوانٍ تلمعُ عيناه بتوحّش. هناك دماء، وجمجمة مكتشفة، وتلك العينان مرة أخرى، كما لو كانتا تبزغان من أحشائي. أستيقظُ فجأة، أتنفسُ، أتحقق من يديّ، أظافري وأسناني على طبيعتها.

أثق بثديَيّ فحسب، فأنا أحبُّ ثدييَّ. لأنه لا يمكن قتل شيء بواسطتهما. فاليد، والرِّجْل، والأسنان والنظرة واللسان كلها أسلحة غير مأمونة، لكنّ ثدييَّ ليسا كذلك. أنا بخيرٍ طالما هما بخيرٍ، ما زلت بخيرٍ، لكن لماذا ينكمشان باستمرارٍ؟! لم يعودا مستديرَيْن كما كانا! لماذا أذبلُ على هذا النحو؟ ولماذا يصير هيكلي حادًّا هكذا وكأنني منحوتة؟!

***

كانت أشعة الشمس تواجه الشقة في الطابق السابع عشر، بينما

كانت البنايات الأخرى تحجب المشهد في الخارج ناحية الشرق. ولكن الجبال في العمق كانت تُرى من بعيد.

«الآنَ تلاشى كل قلقي. أحسنتِ صنعًا حقًّا!».

تحدّث حمايَ وهو يرفع الملعقة وعصاتَيْ الأكل برهة.

قبل أنْ تتزوج الشقيقة الكبرى لزوجتي، استطاعت شراء شقة من إيراد محل مستحضرات التجميل الذي فتحته. فما إنْ حبلَتْ حتى توسع المحل ليصبح ثلاثة أضعاف حجمه. وحتى بعد أنْ وضعت طفلها، كانت تصرّ أنْ تمرّ لوقتٍ قصيرٍ على المحل ليلًا لتتأكد أنّ الأمور تسير على ما يُرام. قبل مدة، بلغ ابن شقيقة زوجتي الثالثة من عمره، فذهب إلى روضة الأطفال، وهكذا رجعت أخت زوجتي الكبرى تمكث في المحل طوال اليوم مرة أخرى.

كم أحسدُ زوجها! تخرّج من كلية الفنون، متظاهرًا أنه فنان، بينما لم يساعد مطلقًا بالمساهمة في نفقات المعيشة. لقد ورث بعض الممتلكات، لكنه لم يحصل على راتب، ففي الحقيقة كانت كل نشاطاته تتمثل في الجلوس هنا وهناك من دون إنجاز أي شيء. الآن وقد عادت زوجته إلى العمل من جديد، فقد عاد هو لقضاء وقته بكامل حريته لاهيًا بالفن من دون قلق يُذكر على أيّ شيء. إضافة إلى ذلك، كانت الشقيقة الكبرى لزوجتي طبّاخة ماهرة، مثلما كانت زوجتي من قبل. إعدادها مائدة الطعام بسرعة أشعرني فجأة بعضّة الجوع. جسدها الممتلئ بشكل حسن، وحديثها الرزين، وعيناها الواسعتان بجفونهما المزدوجة.. كل ذلك أشعرني بمرارة ما آل إليه حالي من خسران في خضمّ هذا المأزق الذي أعيشه.

أُعجبت زوجتي بالمنزل، وبلا أدنى تعبير عن الامتنان لإعداد المائدة، جلست ساكنة تتناول الأرز والـ«كيمتشي» فحسب. فلم تأكل طعامًا غيرهما. كان المايونيز محتويًا على البيض، وبالتالي كان خارج قائمة السلطة بالنسبة إليها، وتقريبًا لم تلمس عصاتا الأكل فمها.

كان وجه زوجتي شاحبًا نتيجة أرَقها المستمر. فلو رآها شخصٌ غريبٌ لظنها مريضة خرجت للتوّ من إحدى المستشفيات. والآن، كما اعتادت، لم تلبس حمالة الصدر تحت قميصها الأبيض. وكان بإمكاني من نظرةٍ عن قرب أنْ أرى حلمتيها البنيَّتين الصغيرتين أشبه ببقعتين على القماش. قبل قليل، وبمجرد دخولنا معًا من باب المنزل، استدعتها شقيقتها الكبرى إلى الغرفة الداخلية. بعد قليل خرجت شقيقتها الكبرى وحدها، ومن ملامحها المرتبكة، خمّنتُ أنّ زوجتي قد جاءت غير مرتدية حمالة الصدر.

«كم كان مبلغ التأمين هنا؟».

«... حقًا؟ لقد تصفَّحنا موقع العقارات بالأمس، لقد وصل سعر الشقة إلى نحو خمسين مليون وون[1]، لأن العام القادم سيمتد خط المترو إلى هنا».

«زوج أختي يمتلك عقلية متميزة في مثل هذه الأمور».

«ما الذي فعلتُه أنا؟ كل هذا بمجهود زوجتي».

كان حديثُنا الودّي يجري بشكل متقطع، بينما الأطفال لا

(1) اسم العملة الكورية هو «وون» والألف «وون» تساوي دولارًا تقريبًا. (المترجم).

يستطيعون البقاء هادئين، يضرب بعضهم بعضًا مع ضجيج قوي لا يتوقف إلا لحشو أفواههم بالطعام، وإذا بي أسأل:

«أخت زوجتي! هل أعددتِ كل هذا الطعام وحدك؟».

ابتسمَتْ نصف ابتسامة:

«حسن، قبل أمس، كنت أعدُّ شيئًا فشيئًا، ذهبتُ إلى المحل لشراء المحار الموسمي لأن يونغ هيه تحبه... لكنها لم تلمس واحدة منه».

حبستُ أنفاسي، فها هو قد بدأ الحديث أخيرًا!

«كفى! أنتِ! يونغ هيه! بعد كل الذي قلته لك وأنا أبوكِ!».

هذا ما قاله حماتي، واستمرت فورة التوبيخ في دورتها. فقالت شقيقة أختي الكبرى:

«أتنوين المضي قُدمًا في هذا؟ يحتاج الإنسان إلى غذاء تام... لو أنك ستصبحين نباتية فعليك أن تفعلي ذلك بشكل ملائم. انظري ما حلَّ بوجهك».

أضاف شقيق زوجتي ناصحًا:

«ظننتكِ شخصًا آخر. لقد سمعتُ عمَّ حل بك، لكني لم أتوقّع أبدًا أن يتسبّب التحوّل إلى النباتية بكل هذا في جسدك!».

«من الآن فصاعدًا يتوقف كل ما يتعلّق بالنباتية. هذا، وذاك، وذلك، أسرعي بأكلها كلها. كيف تصيرين على هذه الحالة الهزيلة بينما كل شيء في هذا العالم متوفر لكِ ويمكنك أكله؟!».

وكانت حماتي قد حملت أطباق الأرزّ المحمَّر مع قطع اللحم

البقري المفروم، ولحم الخنزير الحلو اللاذع، والدجاج المطهو على البخار، ومعكرونة الأخطبوط، ووضعتها أمام زوجتي.

صرخ حماي بشدة من أعماقه.

«ماذا تفعلين؟ هيا كلي بسرعة».

«يونغ هيه! كُلي. يجب أن تأكلي لتحصلي على الطاقة. يحتاج الإنسان إلى طاقةٍ لأجل أن يعيشَ، حتى الرهبان الذين لا يبرحون المعبد لا يتقشَّفون إلى هذا الحد!».

كانت شقيقة زوجتي الكبرى تحثُّها، بينما الأطفال بدأوا التحديق إلى زوجتي، وهي تنظر إليهم نظرة فارغة توحي بأنها لم تستوعب تمامًا السبب وراء كل تلك الجلَبَة!

ترتَّب على ذلك صمتٌ مُتكلِّف. تطلعتُ بدوري في خدَّيْ حماي الدّاكنين، ووجه حماتي المكسوّ بتجاعيد يصعب معها تصور أنها كانت شابةً ذات يوم، بينما عيناها ممزوجتان بالقلق. ثم بلهفةٍ رفعت شقيقة زوجتي الكبرى حاجبَيْها، في حين لم يكن لزوجها أي حضور مؤثّر يتجاوز الفرجة العادية على التعبيرات السلبية غير المبالية من شقيق زوجتي الأصغر وزوجته.

توقعتُ أن تنطق زوجتي بشيء لتدافع عن نفسها، لكنها وضعت عصاتَي الأكل اللتين كانت قد التقطتهما كرسالةٍ إلى كل تلك الوجوه الغاضبةِ بدلًا من الرّد!

ساد الجو حالة من التوتر بشكلٍ ما. هذه المرة التقطت حماتي قطعة لحم خنزير حلوة لاذعة بعصاتَيْ الأكل ورفعتها أمام فم زوجتي قائلة:

«هيَّا! تناولي ذلك. كُلي!».

أطبقت زوجتي فمها تمامًا. وقد حدّقت بأمها بنظرة استنكار لما تفعله.

«افتحي فمك بسرعةٍ. أتكرهين هذا؟ تناولي ذلك إذًا».

وقدمت لها حماتي هذه المرة الأرز المحمَّر مع اللحم البقري المفروم، لكن زوجتي أبقت على فمها مطبقًا، فوضعت حماتي الملعقة والتقطت المحار:

«لقد أحببتِه منذ صغرك. كنتِ تحبِّين أكله طيلة الوقت...».

اتفقت شقيقة زوجتي مع حماتي، فبدا أن امتناع زوجتي عن أكل المحار مسألة خطيرة.

«نعم! أتذكر ذلك. وكلما رأيتُ المحار، تذكرتُ يونغ هيه».

وكانت حماتي التقطتْ المحار بعصاتَيْ الأكل وقرّبته من فم يونغ هيه تدريجيًّا، لكن يونغ هيه استدارتْ بعنفٍ إلى الوراء.

«كلي بسرعةٍ. ذراعي تؤلمني!».

كانت ذراع حماتي ترتعد. ثم في النهاية نهضت زوجتي عن الكرسي. وقالت بحزم:

«لن آكل!».

لأول مرةٍ منذ فترة كان صوت زوجتي جليًا إلى ذلك الحدّ.

«ماذا؟».

صاح حماي وشقيق زوجتي الأصغر معًا من شدة الغضب. وتحرّك الشقيق الأصغر لزوجتي، لكن زوجة الشقيق الأصغر لزوجتي أمسكت بذراع زوجها.

«سينفطرُ قلبي! ألا تستمعين لقول أبيك؟ فإن قال كلي عليكِ أن تأكلي؟!».

توقعتُ أنْ تردّ زوجتي بقولها: «أنا متأسفة يا أبي لكنني لا أستطيع أنْ آكل أرجوك»، لكنها لم تعتذر بأيِّ صيغةٍ، بل متململةً قالت بوضوحٍ:

«أنا لا آكل اللحومَ!».

رفعت حماتي اليائسة عصاتي الأكل، ووجهها كامرأة عجوز بدا على الفورِ مكتنزًا بالدموع؛ دموعٌ تنهمرُ عبر تجاعيد خدَّيها في صمتٍ! عندها أمسك حماي عصاتَي الأكل. التقط قطعة من لحم الخنزير الحلو اللاذع ووضعها أمام فم زوجتي النافرة.

انحنى حمايَ قليلًا وهو يدفع قطعة لحم الخنزير نحو وجه زوجتي، بينما حياته الصارمة الانضباط قد عجزت عن إخفاء تقدّمه في العمر.

«كلي هذا! اسمعي كلام أبيكِ وكلي! فكل هذا لأجل مصلحتك! فلماذا إذًا تتصرفين على هذا النحو الذي فيه مرضك؟!».

أحسستُ مثله بصدمة الوجع في قلبي، وبكيتُ رغمًا عني. وربما كان كل المجتمعين هناك قد شعروا بمثل ما شعرتُ به. وبيدٍ واحدة، دفعَتْ زوجتي عصاتَيْ الأكل بعيدًا مهتزّتين بصمتٍ في الهواء.

«يا أبي! أنا لا آكلُ اللحومَ!».

على الفور، كانت راحة يد حماي تشقُّ الهواء، بينما حجبَت زوجتي خدّها المتقعّر بيدها.

«أبي!».

أمسكت الشقيقة الكبرى لزوجتي ذراع أبيها وهي تبكي. بينما كانت شفاهه ترتعش كما لو أن فورته العصبية لم تهدأ بعد! كنتُ أعرف حِدّته الانفعالية العنيفة، لكني كنتُ أراه لأول مرة يصفع شخصًا ما.

«زوج ابنتي[1] جونغ! ويونغ هو! تعاليا إلى هنا!».

اقتربتُ بتردّدٍ من زوجتي. كانت صفعته بالغة القوة لدرجة أن خدها احمرَّ. كان نفسها متقطعًا، كما بدا أنها قد فقدت اتزانها.

«كلاكما! أمسكا يديها».

«نعم؟».

«لو أنها أكلت مرةً واحدة، فستعاود الأكل من جديد. فمن ذا الذي يستطيع العيش في هذا العالم من دون أكل اللحوم؟».

بوجهٍ ممتعض نهض شقيق زوجتي الأصغر.

«يا أختي! رجاء كلي فحسب! من فضلك! ليس من الصعب أن تتظاهري بذلك. أتتصرفين هكذا أمام والدك؟».

صرخ حماي:

---

(1) يبقي الكوريون في حديثهم على الألقاب التي تسبق ذويهم، مثل أخي الأكبر، أخي الأصغر، أختي الكبرى وهكذا كلما تحدّثوا إلى بعضهم بعضًا. في ذلك الحوار يقول والد الزوجة محدّثًا زوج ابنته واسمه «جونغ» بقوله: «يا زوج ابنتي جونغ» وليس يا جونغ مباشرة. ثم يحدّث أصغر أفراد العائلة؛ ابنه واسمه يونغ هو. وقد تكرّر كثيرًا، ذكر: الشقيقة الكبرى لزوجتي لأن الكاتبة بالفعل حافظت على تلك الصيغة في كل مرة ورد ذكر أخت يونغ هيه بالضبط كما يحدث في الواقع. (المترجم).

«ما هذا الذي تقوله؟ أسرعْ وامسك يديها! وأنت أيضًا يا زوج ابنتي جونغ!».

«يا أبي! لماذا تفعل كل هذا؟».

ثم أمسكت شقيقة زوجتي يد أبيها. كان حماي قد ترك عصاتَي الأكل، وأمسك الآن قطعة لحم خنزير بيده وقرّبها من فم زوجتي. كانت تتملصُ نافرةً عندما أجلسها أخوها ممسكًا بها.

«يا أختي! رجاء كليها بهدوء فحسب! خذيها وكليها يا أختي!».

ثم قالت شقيقة زوجتي الكبرى متوسلة:

«يا أبي! أتوسّلُ إليك! يكفي إلى هذا الحد، من فضلك!».

بينما كان أخوها الأصغر ممسكًا بذراعها بقوة أكبر من شقيقته الكبرى، أزاح حماي يدها ملقيًا قطعة لحم الخنزير في فم زوجتي. كان فمها المطبق يئنّ، ولم يكن باستطاعتها أنْ تتفوّه بكلمة.

«أبي!».

صاح شقيق زوجتي الأصغر، رغم أنه كان ما زال ممسكًا بذراع زوجتي.

«إم مم...... مم».

كان حماي قد هرس قطعة لحم الخنزير في شفاهها بينما كانت تقاوم في ألمٍ. رغم أنه تمكن من فتح شفتيها لكنه لم يملك حيلةً أمام أسنانها المطبّقة بإحكام!

هبت فورة غضب حماي ثانيةً، وفي النهاية صفع زوجتي مرة أخرى.

«يا أبي!».

رغم أن شقيقة زوجتي وثبت ممسكة بأبيها من خصره، غير أن قوة الصفعة حشت قطعة لحم الخنزير في فم زوجتي. وحالما خارت قوى ساعدَيْ شقيق زوجتي الأصغر، أطلقت زوجتي ما يشبه بكاء حيوان يستغيث منفجرًا ثم بصقت ما في فمها، وصرخت:

«ابتعدوا».

مطّت كتفيها فبدت راغبةً في الفرار نحو باب الشقة، لكنها استدارت ملتقطةً سكينًا كان على مائدة الطعام.

«يونغ هيه؟».

بدا صوت حماتي متحشرجًا وقد رسم خط ارتعاشٍ فوق الصَّمت المخيِّم، الذي يقطعه البكاء المزعج للأطفال.

كانت أسنانها مُطبقةٌ وهي تلوِّح بالسكين، وكل أعين الحاضرين تحدّق إليها.

«أوقفها».

«تراجَعْ!».

انهمر الدم من معصمها متقطرًا على الطبق الأبيض كما يتقطر المطر. بينما انثنت ركبتاها وتكومت على الأرض.

التقط زوج شقيقتها الكبرى السكين، وكان حتى تلك اللحظة جالسًا يتفرج من دون أدنى تدخُّل.

«ماذا تفعلون؟ فليُحضِر أحدكم منشفةً بسرعة!».

حملها زوج شقيقتها الكبرى بكل ما أوتي من قوة بين ذراعيه بعد أنْ أوقف انهمار دمها بمهارةٍ.

«انزل بسرعة وشغِّل محرّك السيارة!».

خطفتُ حذائي ثم اكتشفت أن فردتيه غير متلائمتن، فرجعت واستبدلته قبل أن أتمكن من فتح باب الشقة وأنطلق خارجًا.

***

... الكلب الذي انغرست أسنانه في ساقي مربوطٌ بسلسلة حديد إلى دراجة أبي النارية. وذيله المحروق ملتصق ببطةِ ساقي ومربوطان برباط واحد؛ علاجٌ تقليدي أصرّت عليه أمي. خرجتُ ووقفت عند بوابة المنزل. كنتُ في التاسعة من عمري. حرارة الصيف خانقة، والشمسُ في طريقها نحو الغروب، لكنّ جسدي لا يزال يتصببُ عرقًا. الكلب كذلك يُحرك لسانه لاهثًا. كلبٌ أبيض جميل يفوقني حجمًا. قفز ثم عضّ ابنة صاحب المنزل. كان الجيران يعتقدون أنّ ذلك لن يلحق بها أذىً.

لكنّ أبي ربط الكلب إلى جذع شجرةٍ ثم أخذ يلسعه بالنار قائلًا إن ذلك ليس قاسيًا. فقد سمع ذات مرة أنّ العقاب المعتدل للكلب في هذه الحالة هو إجباره على الجري حتى الموت. شغّل أبي محرك الدراجة البخارية وراح يدور بها في دوائر والكلب لا يستطيع أن يتوقف عن الجري. والقرية تشاهد: دورتين، ثلاث دورات على الطريق نفسه. وأنا واقفة في سكون مطبق أرقبُ من وراء الباب ذلك البياض؛ عيناه تدوران، ولهاثه ينم عن عذابه في

تعب متزايد. وفي كل مرة كانت عيناي تلتقي عينيه اللامعتين، كنتُ أحملق فيه بشراسة:

«كلبٌ سيئ! أتعضّني أنا؟».

عند الدورة الخامسة، كان فم الكلب يزبدُ. وبسبب الحبل يتقطّر الدم من عنقه وصوت الأنين يخرج من عنقه المتحطم بينما يجرّ جسده على الأرض. وفي الدورة السادسة، تقيأ الكلب دمًا بلون أحمر داكن كان يتقطر من فمه وعنقه. عندما اختلط الدم بالزَّبَد، تصنّعتُ الوقوف باعتدال وحدّقتُ إلى تلك العينين المتوهّجتين. ومع الدورة السابعة، بينما أنتظر أن أرى الكلب، كان أبي يتحقق من إحكام ربطه بالدراجة النارية. كنتُ أتابع النظر في قوائمه الأربع المترنحة، وجفنيه المرتفعين، والدم المختلط بالماء في عينيه الميتتين.

أقيمتْ حفلة في منزلنا في تلك الليلة. وقد حضر الرجال الذين يعرفهم أبي من أزقة السوق. وبحسب المقولة التي ترى أنّ شفاء جرح عضة الكلب يحتم أكل الكلب ذاته، فقد أخذت قضمة منه. لا، بل في الحقيقة أكلتُ وعاء كاملًا مع الأرز، بينما رائحة الشواء التي تخزّ أنفي، لم تفلح رائحة التوابل في إخفائها. تذكرت العينين الناظرتين إليّ بينما الكلب كان مجبرًا على الركض، وقد اختلط دمه بالزَّبَد، وهما تومضان على سطح الحساء في ما بعد. لكني لا أبالي. حقًّا لم أكن أبالي!

***

النساء بقين في البيت للاعتناء بالأطفال المرتعبين. وبقي شقيق

زوجتي الأصغر ليعتني بأمه التي أنتابتها نوبة إغماء. أما أنا وزوج شقيقة زوجتي فاصطحبنا زوجتي إلى طوارئ المستشفى القريب. وبعد فترة قليلة في الطوارئ، تم تحويلها إلى غرفة عادية لمريضَين، فأدركنا ساعتها أنّ ملابسنا ملطخة بالدماء التي جفّت عليها.

نامت زوجتي وإبرة المصل في ذراعها اليمنى، بينما أنا وزوج شقيقة زوجتي نتأمل وجهها النائم في صمتٍ. وكأنني إن واصلت تأمّل وجهها لربما أمكنني الوصول إلى إجابة ما.

«هلا نخرج من الغرفة يا أخي الأكبر!».

«تفضّل!».

كان تعبير وجه زوج شقيقة زوجتي يشير إلى شيء ما يدور في صدره. وقد أخرجتُ مائتي ألف وون من جيبي، وقلت:

«من فضلك خذ هذا المبلغ واشترِ طقم ملابس من محل قريب».

«أنا؟ آه، ستحضر أمّ «جي وو[1]» بعض ملابسي عندما تأتي!».

في ذلك المساء، حضرت الشقيقة الكبرى لزوجتي مع شقيقها الأصغر وزوجته. وكان من الواضح أنّ حماي لم تهدأ ثورة غضبه بعد. أما حماتي فقد أصرت بعناد على الحضور إلى المستشفى، لكن ابنها الأصغر أصرَّ ألّا تذهب إلى أي مكان.

---

(1) «جي وو» هو اسم ابن المتحدث. يميل الكوريون عادة لقول: «أم فلان أو فلانة»-اسم الابن أو الابنة- تعبيرًا عن حميمية العلاقة مع الزوجة وقوة الرابطة بينهما من خلال الأطفال، وهو ما لا يعبر عنه ذكر اسم الزوجة أو القول: «زوجتي» مثلًا، فضلًا عن الميراث الاجتماعي حول تجنب ذكر اسم الزوجة. (المترجم).

«ما الذي يجري بحق السماء؟ وعلى مرأى من الأطفال؟».

ورددت زوجة الشقيق الأصغر: «ما الذي حدث هناك! وأمام الأطفال أيضًا؟».

لا بد أنها كانت تبكي، فقد سالت زينتها على وجهها وكانت عيناها منتفختين.

ثم تابعت:

«كان والدك حادًّا! كيف يضرب ابنته أمام زوجها؟ أكان يفعل ذلك في الماضي؟».

«إنه حادّ الطباع... ألا ترين ذلك يونغ هو؟ ومع ذلك فمع تقدمه في السن يكون أهدأ».

«لماذا تلقين باللوم عليّ؟!».

«رغم كل ذلك، أصرت يونغ هيه على ألّا تتفوه بكلمة واحدة، وهو ما أغضبه كثيرًا».

«كان إجبارها على أكل اللحوم مبالغة شديدة، ولكن ما سرُّ امتناعها أيضًا عن تناول اللحوم؟ ثم لماذا أمسكت بالسكين... لم أر مثيلًا لهذا طوال حياتي. وكيف سيتسنى لها بعد ذلك النظر إلى وجه زوجها؟».

بينما كانت الشقيقة الكبرى لزوجتي تطمئن عليها، غيّرتُ ملابسي ولبست قميصًا لزوجها ثم ذهبتُ بعد ذلك إلى حمّام البخار القريب. غسلتُ بقعَ الدم الداكنة المتجلّطة تحت ماء الدش الفاتر والكل يختلس النَّظر إليّ بارتيابٍ. أمرٌ مقزِّز، وقد أشعرني كل ذلك بخدرٍ في جسدي.

لا شيء يبدو حقيقيًّا. كان التفكير في زوجتي قد أشعرني بما هو أشد من الصدمة أو الحيرة؛ فقد أشعرني بالقرف.

بعد أن غادرت شقيقة زوجتي الكبرى، بقيتُ أنا وزوجتي، وكان معنا في غرفة المرضى المزدوجة تلميذة أُدخلت إلى المستشفى بسبب قرحة في الأمعاء ومعها والداها. أحسستُ بهما يختلسان النظر إليّ ويتهامسان بينما وقفتُ أنظر إلى جانب سرير زوجتي.

في أية دقيقة الآن سيكون ذلك الأحد الطويل قد انقضى، وسيبدأ الاثنين؛ مما يعني أنني لن أنظر إلى تلك المرأة أكثر. توقعتُ أن تحلّ شقيقة زوجتي الأصغر مكاني في الغد، ثم بعد غدٍ تغادر زوجتي المستشفى. هذا يعني أنه عليَّ أن أعيش مع هذه المرأة الغريبة المخيفة في منزل واحد. كان ذلك مشهدًا من الصعب جدًّا تخيّله.

في التاسعة من مساء اليوم التالي وصلتُ إلى غرفة المستشفى. حيّاني شقيق زوجتي الأصغر بابتسامة:

قال: «ألست متعبًا؟».

فسألته:

«كيف حال الأولاد؟».

«أبو جي وو بقي معهم في البيت اليوم».

لو كانت هناك إمكانية لاحتساء الخمر لما عدتُ إلى غرفة المستشفى هذه لمدة ساعتين! لكنه كان يوم الاثنين ولا سبيل إلى ذلك. فقد انتهى عملي منذ مدة وليس هناك وردية ليلية حتى!

«كيف حال زوجتي؟».

«تواصل النوم. لا تردّ إن حادثتها، لكنها أكلت جيدًا... ستكون على ما يُرام».

كان قلبي قد اطمأنّ بفضل حُسن رعاية الشقيقة الكبرى لزوجتي. وبعد أن غادرَتْ، كنتُ أفكرُ أنه عليّ أن أحلّ رباط العنق قليلًا فإذا بشخصٍ يدقّ باب الغرفة في المستشفى.

على غير المتوقَّع، كانت حماتي.

«أنا في غاية الخجل منك!».

بدأت تثرثر حالما اقتربَتْ مني.

«لا تقولي هذا يا حماتي! كيف حال حضرتك؟».

أخذَتْ حماتي نفسًا عميقًا:

«أرأيت تأثير الصدمة على مَن في مثل شيخوختي؟».

كانت تُمسكُ بحقيبة تسوّق tأعطتني إياها.

«ما هذا؟».

«شيء أعددتُه قبل مجيئنا. فأنت لم تتناول اللحوم منذ شهور. وكم تحتاجه لجسمك الهزيل... تناولاه معًا. إنه لحم ماعز أسود. كنت أخشى أنْ تمنعني ابنتي الكبرى إن عرفَتْ بقدومي. حاول فقط أنْ تطعم يونغ هيه منه وإلا صارت نحيفة مثل شبح، وقد فقدت كل تلك الدماء. لقد وضعتُ فيه الكثير من التوابل ولذا لن تكون له رائحة».

كنتُ قد بدأتُ التململَ من عاطفة الأمومة لدى هذه المرأة العنيدة.

أخذت حماتي واحدة من اللفافات التي في حقيبة التسوّق

وخرجت. ولأني أحسست بالانزعاج الذي كان شقيق زوجتي الأصغر لطّف من حدته قد عاودني، شرعتُ في حلّ ربطة العنق ولففتها. في النهاية، وبعد فترةٍ وجيزة، استيقظتْ زوجتي، فأدركتُ ساعتها كم أنْ هذا أفضل من استيقاظها عندما أكون وحدي! وأحسستُ أنّ زيارة حماتي أمرًا طيبًا.

عادت حماتي، وكانت أول من حدقت به زوجتي. أما حماتي فمنذ لحظة دخولها من الباب بدت مبتهجةً، بينما كان من الصعب فض مغاليق تعبير وجه زوجتي. لقد أمضت اليوم كله نائمة. وكان وجهها شاحبًا؛ سواء بسبب إبرة المصل أو الجرح في يدها.

كانت حماتي تمسكُ كوبًا ورقيًا بإحدى يديها، وباليد الأخرى أمسكت يد زوجتي.

فاضت عينا حماتي بالدموع وهي تقول:

«خذي هذا... تناولي بعضًا منه... انظري إلى وجهك!».

بكل طاعةٍ أخذت زوجتي الكوب الورقي منها.

«إنها أعشاب صينية لأجل أنْ يسترد جسمك عافيته. أتذكرين لماذا تناولتِ الأعشاب نفسها من مدة؟ كان ذلك قبل أن تتزوجي؟».

أخذت زوجتي الكوب وشمته:

«ليست هذه أعشابًا صينية!».

بوجهٍ تسِمه الكآبة والحزن، وبعينين يملأهما شيئًا غريبًا كالشفقة، مدت زوجتي ذراعها وأعادت الكوب إلى حماتي.

«إنها أعشاب صينية. سُدِّي أنفك فحسب، ثم ابتلعيها دفعة واحدة».

«لن أبتلعها».

«ابتلعيها! إنها أمنيتي أنا، أملكِ. إن أمنيات المشرفين على الموت تُحقَّق، لكنك تتجاهلين أمنيتي».

ثم قرّبت حماتي الكوب من فم زوجتي.

«أهذه أعشاب صينية حقًّا؟».

«بالطبع».

سدت زوجتي أنفها وتناولت رشفة من تلك الأعشاب.

انفرجت أسارير حماتي: «أكثر! ابتلعي.. اشربي المزيد»، ألحّت بينما عيناها تومضان تحت تجاعيد جفنيها.

«هيا! سأضعها هنا، وتناوليها في ما بعد».

رقدت زوجتي مرة أخرى.

«ماذا تودين أنْ تأكلي؟ أتريدين أنْ أشتري لك شيئًا يُذهِبُ ذلك الطعم؟».

«لا بأس».

ولم تكفّ حماتي عن السؤال عن مكان المحل الدكان إلى أن غادرتْ غرفة المرضى. وعلى الفور أزاحت زوجتي البطانية ونهضت.

«إلى أين تذهبين؟».

«إلى الحمام».

التقطتُ كيس المصل وتبعتُ زوجتي. علَّقت زوجتي الكيس داخل الحمام ثم أغلقَت البابَ.

بعد لحظاتٍ، بصوت أنينٍ ممزوج بصوت تشنج أحشائها، تقيأت ما في بطنها. ثم خرجت من الحمام في أعقاب ذلك مترنّحةً، مصحوبةً برائحة عصارة المعدة وحموضة ما لم يتم هضمه من طعام.

لأني لم أكن ممسكًا بكيس المصل، اضطرتْ لرفعه بيدها اليسرى المضمدة، لكنها لم تتمكن من رفعه بدرجة كافية، فارتدّت قطرات من الدم من يدها إلى الأنبوب. مالت إلى الأمام، وبيدها اليمنى حملت كيس لحم الماعز الأسود الذي أحضرته حماتي وتركته إلى جانب السرير. كانت إبرة المصل لا تزال معلقة بيدها اليمنى، لكن كل هذا لم يلفت انتباهها. خرجتْ، ولم يكن لديَّ أدنى رغبة لمعرفة ما ستفعله بالكيس.

بعد فترة، تسبب صوت ارتطام الباب عند فتحه في إثارة ذعر التلميذة المصابة بتقرّح في المعدة في الغرفة ذاتها هي وأمها، وإذا بحماتي تدلف إلى الداخل وفي إحدى يديها علبة من الحلوى وفي الأخرى كيس تسوّقٍ ورقيّ. من نظرة واحدة، رأيت فيه سائلًا أسود منسكبًا كنت أعرفه.

«يا زوج ابنتي جونغ! ماذا تفعل مكتفيًا بالجلوس هنا؟ ألم تكن تعرف ما الذي كانت تعتزم ابنتي فعله بهذا؟».

كنتُ أرغب بشدة في مغادرة غرفة المستشفى على الفور وأذهب إلى بيتي أكثر من أي شيء آخر.

«... أنتِ! أتعرفين كم يساوي ذلك؟ أترمينه على هذا النحو؟ دم الوالدين وعرقهم يعدلان نقودهما! أأنت ابنتي حقًا؟».

ثم في اللحظة التي انحنت زوجتي بجذعها إلى الأمام، لاحظتُ أنّ دمًا أحمر يتقطّرُ إلى الوراء في أنبوب المصل.

«انظري إلى نفسك! توقفي عن أكل اللحوم وسيلتهمك الناس في هذا العالم! انظري إلى وجهك في المرآة ثم اخبريني ماذا ترين».

تدريجيًا استحال صراخ حماتي المستعِر إلى تنهيدات. ولكن في النهاية كانت زوجتي تحدّق إلى تلك المرأة التي تتنهد كما لو أنها غريبة عنها تمامًا. ثم على الفور، ارتأت أنّ تُنهي هذا المشهد الذي طال فرجعتْ إلى سريرها. رفعت البطانية حتى صدرها، ثم أطبقت جفنيها. في تلك اللحظة فحسب، لاحظت أنّ نصف كيس المصل صار عبارة عن دماء داكنة!

***

لا أدري لماذا تبكي تلك المرأة. لا أعرف لماذا تواصل التحديق إلى وجهي كما لو أنها ستبتلعه. كما لا أدري لماذا بيدها المرتعشةِ تضرب الضمادة على معصمي.

معصمي بخيرٍ. إنه لا يضايقني. الذي يؤلمني هو صدري. هناك شيء يصفع الأعصاب في أحشائي. لا أدري ماذا عساه يكون لكنه لا يبارحني باستمرار هذه الأيام. ورغم أني قد توقفت عن ارتداء حمالة الصدر، فما زلت أشعر بذلك النتوء. ومهما أخذت شهيقًا بعمق، لا أشعر براحة في صدري.

صراخٌ ما، طبقة فوق طبقةٍ متلولب مع عواء يشكّلان ذلك النتوء. إنه بسبب اللحوم. لقد أكلتُ الكثير من اللحوم. وكل الحيوات

التي التهمتها قابعةٌ فيه. دماء ولحوم، كل تلك الأجساد المذبوحة متبعثرة في كل زاوية وصدع، ورغم أني أخرجتُ من جسدي ما تبقى منها، إلا أن حيواتها لا تزال مغروسة في أحشائي بعناد.

مرة واحدة، مرةِ واحدة فحسب. أريدُ أن أصرخَ. أريد أنْ ألقي بنفسي من تلك النافذة الداكنة السواد. ربما يتخلّص جسمي أخيرًا من ذلك النتوء. نعم، ربما يجدي هذا نفعًا.

لا أحد بإمكانه أن يساعدني.

لا أحد باستطاعته أن يبقيني حيّة.

لا أحد بمقدوره أن يجعلني أتنفَّس.

***

أركبتُ حماتي التاكسي ثم رجعتُ إلى غرفة المستشفى التي كانت مظلمة. ومن المحتمل أنّ التلميذة وأمها قد طفح بهما الكيل فشغّلا التلفاز وأضاءا النور قليلًا، ثم أرخيا الستارة التي تحجب سريرهما. كانت زوجتي نائمة. اضطجعتُ على طرف السرير محاولًا النوم. لم تكن لديّ أدنى فكرة من أين أبدأ لكي أتغلب على هذه الفوضى.

كان هناك شيء واحد حقيقي بوضوح: لن تتركني كل تلك الأحداث وشأني.

حالما نمتُ رأيتُ حلمًا؛ كنتُ أقتلُ شخصًا ما. غرستُ سكينًا في أحشائه بكل ما أوتيتُ من قوةٍ، مزَّقتها إربًا ثم سحبتُ السكين كما لو كنتُ أقطع سمكًا؛ نزعتُ الجلد واللحم والعضلات

وتركتُ العظام فحسب. لكني في تلك اللحظةِ استيقظتُ. ثم توقفتُ لأتذكر مَن ذلك الشخص الذي قتلته!

في الصباح الباكر كان الجو مظلمًا. شعور غريب بالقهر يتملكني. رفعتُ البطانية لأغطي زوجتي. تحسستُ في الظلام الدامس لكني لم أجد أيّ قطرات دماء ولا أحشاء ممزقة. كان بإمكاني أن أسمع لهاث التنفس على سرير المريضة المجاور، بينما زوجتي صامتة تمامًا. انتابتني قشعريرة غريبة، فوضعتُ سبابتي تحت أنفها؛ كانت على قيد الحياة.وعندما استيقظتُ بعد أنْ كنتُ نمتُ ثانية، كانت غرفة المرضى مضاءة.

«نمتَ نومًا عميقًا! فلم تستيقظ عندما أحضروا الطعام».

تحدثت إليّ أم التلميذة الصغيرة، وقد بدت راثية لحالي. تفحَّصتُ صينية الطعام على السرير. لم ترفع زوجتي غطاء وعاء الأرز تاركة صينية الطعام كما هي، ثم خرجَتْ. إلى أين؟ كان كيس المصل منزوعًا، والإبرة الملطخة بالدماء كانت تتدلى من أنبوب البلاستيك الطويل.

سألتُ بينما أمسح آثار اللعاب حول فمي:

«إلى أين ذهبتْ تلك المرأة؟».

«عندما استيقظنا نحن أيضًا لم تكن هنا!».

«ماذا؟ كان يجب أن توقظوني إذًا؟».

«حتى لو حاولتُ إيقاظك لما استيقظت... كنتَ تغط في نومٍ عميق».

وأضافت أم الشابة قائلة إن وجه زوجتي كان يشير إلى ارتباكها أو غضبها.

عدّلتُ هندامي ثم أسرعتُ بالخروج، متلفّتًا بعصبيةٍ حولي في الممر الطويل أمام المصعد، لكن لا أثر لزوجتي. في صباح هذا اليوم اتصلتُ بمركز عملي أخبرهم أني سأتأخر ساعتين عن موعدي المعتاد. كان من المفترض أنْ تُغادر المستشفى الآن. وفي الطريق إلى المنزل كنت سأقول لها بأن نفكر في هذا الأمر كله باعتباره حلمًا، وسأخبر نفسي بذلك أيضًا.

ركبتُ المصعد نازلًا إلى الطابق الأول. لم تكن زوجتي في بهو الاستقبال أيضًا. أسرعتُ بالخروج إلى حديقة المستشفى لاهثًا بينما أتطلع بالأرجاء، ولم يكن هناك سوى المرضى بعد أن انتهوا من طعام الفطور. برودة الصباح، التي في طريقها للتلاشي، كانت معتدلة. ومن مظهر المرضى؛ التعب، والكآبة، والارتياح، يمكن التعرف على الذي طال مكوثه. بينما ألتقطُ أنفاسي، لاحظت نوعًا من الاحتشاد، فقد تجمّع الناس ناظرين إلى شيء ما عن قُربٍ. ومن فوق أكتافهم نحو الأمام تسنّت لي الرؤية.

كانت زوجتي جالسة على أريكةٍ بالقرب من النافورة وقد خلعتْ رداء المستشفى ووضعته على ركبتيها. ترقوتاها النحيلتين، وثدياها الهزيلين وحلمتاها البنيتين، مكشوفة كلّها. وقد انحلّت الضمادة عن معصمها الأيسر، بينما كان الدّم الذي تسرب منها قد تخثّر حول الجرح.

«منذ متى وهي جالسة هناك على هذا النحو؟».

«بحقِّ السماء... يبدو أن تلك الشابة جاءت من جناح المرضى النفسيين».

«ما هذا الذي تمسكه؟».

«أليستْ يدها فارغة؟».

«لا، إنها تمسك حتمًا بشيء ما».

«آه! انظرْ هناك. إنهم قادمون».

استدرتُ لأنظر، فإذا بممرضٍ ذي وجهٍ محتدٍّ ورجل أمنٍ متوسط العمر مسرعَين.

في النهاية، رأيتُ شخصًا بينهم جميعًا ظننتُ أني أعرفه؛ كان وجه زوجتي. كان وجهها منهكًا، وشفتاها ملطخين بالدماء كأحمر شفاهٍ موضوع بشكل غير ملائم، وعيناها المثبتتان تحدقان إلى الجمع المحتشد، تلتقيان بعينيَّ بوميضٍ كما لو أنهما ممتلئتان بالماء.

قلتُ لنفسي إني لا أعرف تلك المرأة. وقد كان ذلك حقيقة لا مراء فيها. لم تكن أمامي خيارات، وبوازع من إحساسي بالمسؤولية حملتني قدمايَ اللتان لم أسيطر عليهما نحوها:

«حبيبتي! ما هذا الذي تفعلينه الآن؟».

تمتمتُ بصوتٍ ضعيف، وقد التقطتُ رداء المستشفى من على ركبتيها وغطيت به صدرها العاري.

«الجو حارٌّ».

ابتسمت ابتسامة باهتة؛ ابتسامتها العادية التي أعتقد أني أعرفها. بل شبه الابتسامة المتواضعة والفريدة خاصتها.

«كان الجو حارًّا فخلعتُ ملابسي!».

رفعتْ يدها اليسرى نحو جبهتها كي تتجنَّب أشعة الشمس فظهر جُرحها.

«ألا أستطيع ذلك؟».

ضغطتُ لأفتح قبضة يدها اليمنى! طائر كان منسحقًا في قبضتها، فتراكض نحو الأريكة. طائر ذو عين صغيرة فقدَ بعضًا من الريش، وتحته هنا وهناك علامات أسنان وبقع دم حيّة منتشرة، بدا أنها ناتجة عن عضّة مفترسة.

البُقْعَة المُنغُوليَّة

انسدلت الستّارة الحمراء الداكنة فوق خشبة المسرح. اصطفّ الراقصون وقد اختفت الملامح الخاصة المميّزة لكل منهم، بينما يلوّحون بأيديهم بكل حيوية. رغم أنّ تصفيق الجمهور كان عاليًا مع صيحات «برافو» الغريبة من هنا وهناك، إلّا أنه لم يكن يصيح. هدأ الهتاف فجأة وشرع الجمهور في التقاط حقائبهم وستراتهم متخذين طريقهم إلى الممرات. أنزل إحدى ساقيه من فوق الأخرى ثم نهض واقفًا. أبقى يديه مطويتين، ولم يشارك في التصفيق الذي استمرّ لقرابة الخمس دقائق. وبصمتٍ كان يحدّق في أعين الراقصين وشفاههم الممتلئة حماسةً، شاعرًا بتعاطفٍ واحترام تجاههم. لكنه لم يحس أنّ مُصمّم الرقصات يستحق تصفيقه!

خرج من قاعة المسرح. عبر البهو متأملًا ملصقات العروض الحالية ومن بينها ملصق كان قد رآه بالصدفةِ في أحد المحلات في وسط المدينة، فأحس برجفةٍ سرَت في جسده مخافة أنْ يكون قد فاته ذلك العرض، فأسرع بالاتصال وقام بالحجز.

في ذلك المُلصَق؛ رجالٌ ونساء يبرزون ظهورهم العارية

في وضعية الجلوس، وقد تمّت تغطيتهم من الأعناق وحتى المؤخرات بأشعة من أوراق الورود الحمراء والزرقاء. وبينما يتطلع في الصورة عن قُربٍ، شعر بخوف واستثارةٍ وهوَسٍ من نوعٍ ما. فلم يكن يصدق أنّ الصورة التي هوَسته لعامٍ كامل تقريبًا قدَ حققها شخصٌ آخر -مُصمّم رقصات- لم يكن معروفًا أبدًا بالنسبة إليه.

في الواقع، هل ستتكشف أمامه تلك الصورة التي حلم بها؟ بقي متوترًا ولم يتناول أي شيء حتى رشفة ماء إلى أنْ خفتت الأضواء وبدأ العرض. لكنه لم يجد ضالّته. لم يكن هناك سوى دويّ الموسيقى الإلكترونية، والأزياء المبهرجة، والعري الصارخ، والإيماءات الجسدية الجنسية الفجّة، لكن لم يكن ذلك ما يبحث عنه. فقد كان يبحثُ عن شيء أكثر خصوصية وأشد سحرًا وأعمق

شق طريقه بحذرٍ بين رواد المسرح، بوجوههم المشرقة، الذين تدفقوا عبر البهو إلى الخارج. كان يسلك الطريق نحو المخرج القريب من محطة المترو.

مكث بعض الوقت في محطة المترو في مساء ذلك الأحد، ممسكًا بملصق العروض وفيه تلك الصورة وعلى ظهرها جدول مواعيد العروض، بينما كان واقفًا بالقرب من باب الخروج في عربة القطار.

كانت زوجته وابنه ذو الخمسة أعوام في البيت، وقد كان يعلمُ أنّها كانت تأمل أن يقضوا يوم العطلة معًا. لكنه، مع ذلك، أضاع نصف هذا اليوم لأجل ذلك العرض. فهل وجد بُغيته؟

الأبعد من ذلك أنّه كان يدرك ما سيعاوده من إحباط مرة أخرى.

تلك كانت النتيجة التي توصل إليها بنفسه. إذ كيف، بحق السماء، يتسنى لشخصٍ آخر أنْ يجسِّد حلمه هو بدلًا منه؟! كان قد شاهد من قبل شريط فيديو للفنان الياباني «ي» وأحس بمرارة كتلك التي يحس بها الآن. كان العمل مُتخَمًا بمشاهد الجنس الجماعي يقوم بها عشرة رجال ونساء تقريبًا، كل منهم قد تلطّخ جسده بطلاء ملوَّن، وتظهر حركات الشّرَه المتبادلة بين أجسادهم على خلفية موسيقى تبعث على الخَدَر. لم يتوقفوا عن الحركة طوال الوقت. يتَلوّون بعشوائية كسمك خرج للتوّ من الماء. لم يكن في ذلك ما يروي بعض عطشه. فهو لم يكن يريد أنْ يعبّر عن الصورة التي في رأسه على هذا النحو.

بعد فترة، كان قطار المترو يمرُّ عبر منطقة المجمَّع السكني الذي يعيش فيه. لم يشعر مطلقًا بأنه يريد النزول هناك. طوى ملصق برنامج العروض ووضعه في حقيبة ظهره، ثم حشر قبضتَيْ يديه في جيبَيْ الجاكيت محدّقًا في المشهد الداخلي المنعكس على نافذة العربة. كان من الصعب عليه أنْ يتقبل أنه أصبح هذا الشخص في منتصف العمر، يرتدي قبعة بيسبول فوق رأسه وجاكيتًا فضفاضًا يحاول أن يخفي به كرشه.

***

كان الوقت مناسبًا بالنسبة له. كان باب الاستديو مغلقًا. فقد كانت فترات بعد الظهر أيام الأحد فحسب، هي الأوقات التي يستطيع خلالها استخدام المكان وحده. كان الاستديو بمساحة 8

بيونغ[1] في الطابق الثاني تحت الأرض في مقر أحد رعاة التجارة الرياضية لمجموعة «ك». فيديو واحد وكمبيوتر واحد كان على الفنانين الأربعة التناوب على استخدامها في إتمام أعمالهم.

كانت المعدّات مقدَّمة من رعاة شركتهم. وكان ممتنًا جدًا لأنهم يتيحون له فرصة استخدام تلك المعدات مجانًا. ونظرًا لطبيعة شخصيته الحساسة، كان يشعر بالارتياح والانغماس في عمله عندما يكون وحده فحسب.

انفتح الباب مع صوت ضغطة بسيطة. وتحسس الحائط في الظلام حتى بلغ مفتاح النور فأضاء الاستديو. أغلق الباب، ثم خلع القبعة والجاكيت ووضع حقيبة الظهر على الأرض. وضع يده على فمه وجال بنظره لوهلة هنا وهناك في المكان إلى أن جلس أمام الكمبيوتر واضعًا رأسه بين يديه. فتح الحقيبة وأخرج ملصق العروض الذي كان وضعه فيها من قبل، كما أخرج كراس الرّسم والشريط الرئيس. كان قد كتب اسمه وعنوانه ورقم هاتفه على ذلك الشريط الذي احتوى كل ما قام بتصويره من مقاطع فيديو في السنوات العشر الأخيرة تقريبًا.

لقد مرَّ عامان بالفعل منذ أن صوَّرَ على هذا الشريط آخر ما قام به من أعمال. لم يعتبر هاتين السنتين محطة في عمله بقدر ما كانت فترة كمون، لكنها طالت إلى الحد الذي ألقى به في دوامة القلق.

فتح كرّاس الرسم. كان ما يحويه مختلفًا من حيث الإحساس

(1) وحدة مساحة شهيرة في كوريا، وواحد بيونغ يعادل 3.3 أمتار مربعة. (المترجم).

الفني والجو العام عمّا في ملصق العروض الذي كان معه، مع أن ما يحويه يدور في الأساس حول الفكرة ذاتها. كانت أجساد الرجال والنساء العارية مزخرفة بالألوان بنعومة؛ مغطاة بطلاء من أوراق الأزهار المستديرة. كان هناك شيء بسيط ومتتابع في طرق ممارستهم للجنس. مع الأرداف غير المشدودة، والملابس الداخلية غير الضيقة، والقدود الممشوقة لأجساد الراقصين. لم يكن هناك ما يوحي بأزهار الربيع أكثر من ذلك. أجسامهم -التي لم تغرق في وجوههم- هادئة وراسخة مما حقق توازنًا بين الإثارة والتلقائية في الموقف.

أتته الصورةُ في برهةٍ. فمنذ الشتاء الماضي وشعور يراوده بقدرته على إنهاء حالة الكمون تلك، بعد أن أحسّ بطاقة ما تشق طريقها من جوف أحشائه خطوة بعد الأخرى.

لكن كيف كان يتسنى له معرفة أنّ هذه الطاقة ستلتحم بمثل تلك الصورة المنافية للعقل؟ فحتى تلك اللحظة كان عمله يجنح نحو الواقعية.ولذا، فبالنسبة إلى شخص مثله سبق له العمل في أعمال غرافيك ثلاثية الأبعاد عن البشر المرهَقين من تقلبات المجتمعات الرأسمالية الاحتكارية، والتي قُدمت كما لو كانت حقائق وثائقية، فإن الشهوانية والحسّية في تلك الصورة كانت شيئًا يمكن تشبيهه بالوحشية!

ربما كان من المستحيل أنْ تأتيه مثل تلك الصورة، لو لم تطلب منه زوجته في مساء ذلك الأحد أنْ يُحمِّمَ ابنه. كانت تجفّف جسمه بمنشفة كبيرة، وبينما كان الابن يسحب سرواله ليرتديه قالت:

«لا تزال البقعة المنغولية كبيرة! متى، بحق السّماء، ستتلاشى؟».

ودونما سؤال تابعتْ زوجته: «حسنًا... لا أكاد أتذكر متى اختفت بقعتي. بل إن بقعة يونغ هيه... إمممم، بقيت حتى بلغت العشرين من عمرها». ولمّا قال باندهاش: «حتى العشرين من عمرها؟»، تابعت قائلة: «إمممم... فقط، شيء أزرق اللون بحجم إبهام اليد. وقد بقيتْ معها طوال ذلك الوقت، وربما ما زالت على جسمها حتى الآن».

على الفور، وفي تلك اللحظة، صورة لورود زرقاء بين ردفي امرأة تتفتح بتلاتها نحو الخارج داهمت خياله. حقيقة أنّ تلك البقعة المُنغولية لا تزال باقية على ردفَي الشقيقة الصغرى لزوجته، قد ارتبطتْ في ذهنه، لسبب غير مفهوم، بصورة رجال ونساء قد غُطيتْ تمامًا أجسامهم العارية بورودٍ مرسومة. الرابط العفوي الذي انطبع في رأسه بين الأمرين كان من الواضح جدًّا أنه يتجاوز المنطق!

رغم أنّ المرأة المرسومة في كراس الرّسم كانت بلا وجه، فإنه رأى فيها الشقيقة الصغرى لزوجته. بل إنها يجب أن تكون هي. ومع أنه لم يرَ جسم شقيقة زوجته عاريًا أبدًا، فقد تخيّل ذلك وشرع في الرسم. وعندما فرغ منه وأنهى الرسم بوضع نقطة زرقاء في هيئة تويج زهرة بين ردفيها أحس برعشة خفيفة مع إحساس بالانتصاب.

منذ زواجه، وخصوصًا بعد أنْ تجاوز منتصف الثلاثينات من عمره، كانت تلك هي المرة الأولى تقريبًا التي شعر فيها بذلك. إحساس كان مركّزًا على موضوعٍ واضح. فمَنْ يا تُرى كان ذلك الرجل مجهول الهوية بذراعيه حول عُنقها؟ إنه هو نفسه ذلك

الشخص، بل كان يعلم أنه عليه أنْ يكون ذلك الشخص نفسه. وعندما بلغ بفكره هذا الحد كانت قسمات وجهه قد احتدّت.

***

لوقتٍ طويل كان يبحث عن حل لكيفية تحرير نفسه من أسر تلك الصورة. لكن لم يكن هناك شيء سواها! فليس هناك مثيلٌ لها في بساطتها وإغوائها، بل إنه لم يكن ليرغب في القيام بعملٍ آخر غيرها. فكل المعارض والأفلام والعروض الفنية بدت بلا قيمة. ولم يكن ذلك كله لسبب آخر غير موضوع تلك الصورة.

يقضي يومه كما لو كان في حلم، ويعمل على أن يتدبّر كيف يحوّل تلك الصورة إلى حقيقة! فكر في أنْ يستعير استديو من أحد أصدقائه الرسّامين. وأن يجهز طلاء الأجسام وغطاءً أبيض للأرضية... أطلق لنفسه عنان التفكير في الأمر، رغم أنّ أهم نقطة في الموضوع لم تتم بعد؛ ألا وهي إقناع الشقيقة الصغرى لزوجته بالموافقة.

لقد أمضى وقتًا طويلًا متكدرًا محاولًا إيجاد امرأة أخرى سواها. عند ذلك الحدّ، تسرّب إليه هاجس في النهاية بأن مثل هذا العمل قد يصنَّف بسهولةٍ على أنه فيلم إباحي، وهو أمر لن تقبله لا الشقيقة الصغرى لزوجته ولا أي امرأة أخرى. أعليه أنْ يدفع بعض النقود ليستعين بممثلة متمرسة في ذلك النوع من الأعمال؟ وحتى لو قدم مئات التنازلات، أيمكنه أنْ يعرض مثل هذا العمل؟

إلى تلك اللحظة، كان يعتقد بأن عمله المتعلّق بالقضايا الاجتماعية، ربما كان يعرّضه للخطر مع بعض الناس، لكنه لم يتصور أبدًا أنْ يتم وصفه بتاجر دغدغة المشاعر الرخيصة. لم يكن

متزمتًا عندما يتعلّق الأمر بقيامه بعمل فنّي، ولذا لم يحس أبدًا من قبل أنّ حريته قد تصبح نوعًا من الرفاهية!

لو لم يكن يشغله موضوع تلك الصورة، لما سقط في براثن القلق وعدم الارتياح والاستياء، وذلك الارتياب الموجع في تأمل الذات، ولكان أحسن حالًا. ولولا ذلك الاختيار الذي سعى إليه، لما توجَّع مخافة أنْ يفقد كل الذي أنجزه وما اكتسبه من خبرات -لا يعتبر كبيرًا إلى حدٍ ما- وأنْ يفقد أسرته بصفعةٍ واحدة، ولكان أحسن حالًا. وبسبب اختياره الشخصي، فقد أصبح منقسمًا على ذاته. هل كان إنسانًا طبيعيًّا؟ بل أبعد من ذلك، هل كان إنسانًا أخلاقيًّا؟ إنسانًا قويًّا؟ أخيرًا، وجد نفسه غير قادر على الادعاء بشكل قاطع أنه يعرف أي إجابات عن تلك الأسئلة، على الرغم من أنه كان واثقًا من ذلك سابقًا.

سمع صوت طقطقة المفتاح في الباب، طوى كراس الرسم بسرعةٍ، واستدار مواجهاً الباب، فأيًّا كان القادم، لم يكن يريده أنْ يرى ذلك الرسم، مع أنه لم يكن من طبيعته من قبل أنْ يتكتم بشأن عرض ما يرسمه على الآخرين.

كان الشخص الذي دخل بشعره الطويل المضفور على شكل ذيل حصان هو «ج هو بيه[1]»، وقال بنبرة المتفاجئ:

---

(1) يحافظ الكوريون بشدة على الألقاب التي تحفظ أو تحدد الأبعاد الاجتماعية في العلاقات بين الناس على مستوى الزمالة في الدراسة أو العمل أو محيط الأصدقاء والأسرة، فالزميل الأكبر ينادي الأحدث والأصغر سنًا بلقب «هو بيه» قبل اسمه ويعادل junior في الإنجليزية، وينادي الأصغرُ الأكبرَ منه بلقب «سون بيه» قبل اسمه ويعادل senior في الانجليزية. (المترجم).

«سون بيه! ظننتُ أنه لا يوجد أحدٌ هنا».

ببطءٍ مقصود، انحنى بجذعه إلى الوراء ثم ضحك.

أخرج «ج» بعض العملات المعدنية من جيبه قائلًا:

«ما رأيك في كوبٍ من القهوة؟».

أومأ بالموافقة. ثم أثناء ذهاب «ج» لإحضار القهوة من الماكينة الكهربائية، أحس بأن حجرة الاستديو لم تعد له وحده، فجال بنظره في أرجاء المكان، ثم باهتمام وضع قبعة البيسبول فوق قمة رأسه الصلعاء. أحس بصرخةٍ طويّلة مكبوتة تُنذر بالانفجار من صميم أعماقه مثل سُعالٍ متدفّق. بسرعةٍ، جمع أغراضه إلى داخل الحقيبة، ثم فرَّ من الاستديو.

أسرع الخُطى عبر سُلَّم الطوارئ بالناحية المقابلة كي لا يتقابل مع «ج» متجهًا إلى المصعد. على ناحية باب المصعد الأمامية المصقولة كمرآة رأى وجهه. ظنَّ أنّ عينيه الحمراوين تذرفانِ دموعًا حارة. ومهما حاول أن يعود بذاكرته إلى الوراء، لم يجد شيئًا مماثلًا حدث له في ذلك الاستديو. لم يكن في تلك اللحظة يرغب في شيء أكثر من أنْ يبصُقَ في هاتين العينين. أراد أنْ يضرب خدّيه إلى أن يسيل الدم من تحت لحيته، وأنْ يسحقَ شفتيه القبيحتين المتورّمتين بالرغبة بنعل حذائه!

***

قالت زوجته التي حاولت أنْ تُخفي حُزنها بشدة:

«لقد تأخرت!».

وعاود ابنهما اللعب بشاحنة الرافعة الشوكية البلاستيك كما كان يفعل.

بدأت زوجته عملها في محل مستحضرات التجميل الخاص بها منذ أن كانت في الجامعة. ثم بعد أنْ وضعت طفلها استمرت في العمل، لكنها قصرت عملها على صندوق المبيعات وفي المساء فقط. ثم ابتداءً من العام الماضي، وبعد أنْ التحق ابنهما بروضة الأطفال، عاودت العمل بنفسها في تغليف المشتريات مرة ثانية. كانت تشعر بالإرهاق أحيانًا، لكنها كانت من النوع المجتهد المثابر. كانت تطلب منه ألّا يرتبط بما يشغله في يوم الأحد لكي يقضي بعض الوقت معهم قائلة: «أنا أيضًا أريد أنْ أرتاح قليلًا... ألا يحتاج ابنك لقضاء بعض الوقت معك؟».

كان يعلم أن ذلك هو الوقت الوحيد طوال الأسبوع الذي يمكنها أن تستريح قليلًا فيه. كانت تشعر بالامتنان لأنه تقَبَّلَ أن تحملَ كل تلك المسؤوليات، إدارة محل بالإضافة إلى أعمال المنزل، من دون أي شكوى من ناحيته. لكنه كلما نظر إليها مؤخرًا كان يرى وجه شقيقتها الصغرى، لذا لم يشعر براحة نفسية في البيت ولو لدقيقة واحدة.

قالت:

«هل تناولتَ العشاء؟».

«أكلتُ شيئًا في عُجالةٍ».

«عليك أن تتناول طعامًا مناسبًا! لماذا أكلتَ في عجالةٍ؟».

كانت نظرتها إليه حادّة. لقد رأى للحظةٍ وجه زوجة ممتعضةٍ مِن زوجٍ آلمها بشدة. كانت قد أجرت عملية تجميل جراحية لتوسيع عينيها في العشرينات من عمرها. وكان وجهها بيضاويًا

نحيلًا بفكٍّ سفليٍّ أنثوي. وبمرور السنوات توسعت بنجاحٍ في محل مستحضرات التجميل الذي كان بمساحة اثنين ونصف بيونغ لا غير وهي لا تزال شابة صغيرة. فحتمًا كان لكل ذلك تأثير على دماثة الجاذبية التي تُظهرها تلك الملامح. لكن كان هناك شيء غامضٌ متعلق بها منذ البداية يُشعِره بعدم الرضا! جاذبيتها، وتكوينها الجسدي انتهاءً بشخصيتها، كانت كلها تجسيدًا لصورة المرأة التي طالما بحث عنها، ولكنْ كان يحسّ بشيءٍ ما ينقُصها. ومع ذلك حسم أمره وتزوجها. ذلك الشيء المفتقَد في زوجته أدركه عندما تعرّف إلى شقيقتها الصغرى لأول مرةٍ في الاجتماع العائلي بأسرتها.

كان مُعجبًا بكل شيء في شقيقة زوجته الصغرى؛ عيناها ذواتا الجفن الواحد، أنفها الحاد المختلف جدًّا عن أنف زوجته، صوتها الجليل الخشن، ملابسها العادية التي ترتديها باستمرار. ربما مقارنة بزوجته تبدو قبيحةً، لكنه أحسّ بطاقتها كما لو كانت شجرة نبتت في فلاة موحشة. لكنه لم يشعر بأي شيء آخر تجاهها منذ التقاها أول مرةٍ. إنها تعجبه. وقد كانت تراود فكره بين الحين والآخر؛ إذ رغم أنها تشبه زوجته كثيرًا، لكنْ هناك فروق دقيقة بينهما.

سألته زوجته بلهجةٍ آمرة:

«هل أعدّ لك شيئًا لتأكله، أم لا؟».

«شكرًا، لقد أكلت».

أحسّ بالإرهاق من فرط ما يعتمل في داخله من مشاعر. فتح باب الحمام، وفي اللحظة التي أضاء فيها النور تناهى إلى سمعه صوت زوجته تتحدّث كأنما إلى نفسها:

«أنا قلقة بالفعل على يونغ هيه. لم أسمع منك شيئًا طوال اليوم. وبسبب نزلة البرد التي أصابت ابننا، كان عليَّ أنْ أبقى معه».

وأعقب صوتَ تنهّدها صوتٌ أعلى موجهًا إلى ابننا:

«ماذا تفعل؟ تعالَ وتناول دواءك!».

حتى مع طلبها منه أنْ يأتي كان يعرف أن الابن سيتلكأ في الذهاب إليها. وببطءٍ وضعت زوجته مسحوق الدواء على ملعقة ثم خلطته بشراب بلون الفراولة.

خرج من الحمام وأغلق الباب خلفه ثم سألها:

«لماذا تتحدثين عن شقيقتك الصغرى؟ ماذا جرى أيضًا؟».

«لقد تلقّتْ قسيمة الطلاق. لا أستطيع أنْ أتفهّم زوجها جونغ. كان عليه الحفاظ على عهده لا أنْ يتخلّص من زواجه على ذلك النحو».

«أنا...».

ثم تمتمَ:

«أنا، هل أقابلها مرةً؟».

كان وجه زوجته قد التمع ثم قالت:

«أيمكنك ذلك؟ إنها لم تأتِ إلى منزلنا منذ مدة طويلة.... إذا كنت تريد أن تذهب لرؤيتها، وإن كان ذلك محرجًا.. لكن ذلك ليس في صعوبة عدم تفهّمها. إنها تدرك ما آلت إليه الأمور».

تأمل وجه زوجته الذي يعكس تحملها المسؤولية مليًا، كما تأمّل هيأتها وهي تمسك بملعقة الدواء بحرص شديد لتقدمها إلى ابنهما؛ كان يرى أنها امرأة صالحة. لكنها من النوع الذي يكون صلاحه مرهقًا.

«سأتصل بها غدًا».

«أتريدُ رقم هاتفها؟».

«لا، إنه معي».

أحسّ كما لو كان صدره على وشك أنْ ينفجر، فعاد إلى الحمّام وأغلق الباب. فتح رشّاش مياه الاستحمام مستمعًا إلى صوت المياه المنهمرة في المغطس، ثم خلع ملابسه. كان يعرف أنه لم يمارس الجنس مع زوجته منذ قرابة الشهرين، لكنه كان يعرف أيضًا أنها لم تكن السبب في ذلك التشنّج الذي يصيب أعضاءه التناسلية.

تخيل الشقيقة الصغرى لزوجته في الغرفة التي سكنتها مع زوجته منذ زمن، بينما تتقلّب على السرير. ثم بدلًا من ذلك استرجع إحساسه حاملًا إياها على ظهره، وجسدها منضغط فوقه وقد تلطخت ملابسه بالدم. واسترجع إحساسه بصدرها وردفيها وتخيل أنّه يرفع سروالها ليرى البقعة المنغولية التي تشبه وحمة زرقاء.

وقف في الحمّام ومارس العادة السرّيّة. صدر عنه تأوه؛ لم تكن ضحكة تمامًا كما لم تكن تنهيدة، بل كان ذلك بسبب برودة الماء!

***

مر عامان على ما حدث ذلك الصيف. عندما قطعت الشقيقة الصغرى لزوجته معصمها في منزله. كانت عائلته قد انتقلت إلى تلك الشقة حديثًا لاتساع مساحتها. وقد اجتمع أفراد عائلة زوجته كلهم على الغداء. سمع آنذاك عن تحول الشقيقة الصغرى لزوجته

إلى نباتية، وهو أمر يصعب تقبّله على أسرة يحبذ أفرادها أكل اللحوم، وبخاصة حماه.

كانت قد صارت نحيفة بشكل يثير الشفقة، ومع ذلك لم يستوعب حدّتهم في توبيخها بالتناوب. بل إنّ حماه، بطل حرب فيتنام، صفع الشقيقة الصغرى لزوجته، المتمردة، على وجهها وأجبرها على تناول قطعة من اللحم قام بدسّها عنوة في فمها. على أيّ حال، مهما استرجع ذلك الحدث، فلم يره أكثر من مشهد في مسرحية غريبة بشكلٍ لا يُصدَّق!

أكثر المشاهد الحية في ذاكرته عن تلك اللحظة؛ كانت تلك الصرخة التي أطلقتها الشقيقة الصغرى لزوجته عندما حشروا قطعة اللحم عنوة في فمها. وكيف أنها بعد أنْ لفظتها، التقطت السكين وتطلعتْ بشراسة في عينَيّ كل فرد من أفراد عائلتها كما لو كانت حيوانًا مفترسًا. وكيف أنه في النهاية، عندما انهمر الدم من معصمها، قطع جديلة شرشف من أحد الشراشف ولفّه حول الجُرح ثم حملها. كان جسدها خفيفًا كما لو كانت شبحًا. وقد أدهشه وهو يهرول مسرعًا عبر المرأب ذلك الجسد وتلك القوة العضلية التي يتمتعُ بها.

بينما كان يشاهد الهيئة فاقدة الوعي للشقيقة الصغرى لزوجته وهي تتلقى العلاج في طوارئ المستشفى، إذا به يسمع صوتًا لشيء كما لو كان يفتك به من الدَّاخل؛ شيء كان من العسير جدًّا حتى هذه اللحظه شرحه أو تحديده بدقّة. شخصٌ ما يلقي بحياته أمام عينيه كما تُلقى القمامة! بينما قميصه قد امتص دمَ ذلك الشخص ممتزجًا بعرقه هو، ثم تدريجيًا صار جافًا على هيئة بقع بنية داكنة.

كان يتمنى أن تبقى على قيد الحياة. وتشكك في ما قد يعنيه ذلك. فاللحظة التي حاولت فيها أنْ تُنهي حياتها الخاصة كانت نقطة تحوّل فارقة. ولا أحد بوسعه مساعدتها. فجميعهم -الذين أجبروها بقوة على تناول اللحوم، والداها، وزوجها، وأخيرًا إخوتها، الذين وقفوا موقف المتفرّج- كانوا غرباء إنْ لم يكونوا أعداء. لو أنها الآنَ أفاقت من جديد، لما تغيّر شيء في ذلك الموقف. فلا يعني عدم تحقيق مأربها في تلك المحاولة أنها لن تحاول من جديد! ولو فعلتها ثانية، فإنها آنذاك ستكون حريصة على ألّا يقاطعها أحد أبدًا. من الأفضل ألّا تستفيق، لأنها لو استفاقت لأصبح الموقف غامضًا ومروِّعًا، إلى درجة أنه ربما عليه أن يلقيها من النافذة بينما لا تزال مغمضة العينين.

بعد أنْ أفاقت الشقيقة الصغرى لزوجته، أخذ النقود التي أعطاها له زوجها ثم ذهب إلى المحل لشراء قميص يرتديه. وبدلًا من إلقاء القميص المتشبّع برائحة الدماء، لفّه مثل كُرةً ثم أخذه معه في التاكسي الذي استقله. وخلال الطريق واتته فكرة عن آخر عمل فني يود القيام به. وأدهشه أنْ يجد نفسه يستدعي تلك الفكرة التي كلفته ألمًا لا يُحتمل. تدور الفكرة حول صورٍ لأكاذيب أو أشياء بغيضة تم جمعها معًا بشكل عفوي بالمونتاج، مع إضافة موسيقى وعناوين فرعية بالغرافيك؛ مع إعلانات، ومقاطع فيديو من الأخبار والدراما التلفزيونية، ووجوه لسياسيين، وجسور متهدمة، ومحلات تجارية، ومُشرَّدين، ودموع أطفال يعانون أمراضًا لا يُرجى منها شفاء.

أحسّ فجأة بالغثيان. فما حول تلك الصور أشعره بالكراهية

والوهم والألم، لحظات ذلك العمل التي مكث ساهرًا لأجلها طيلة الليل، والتي أحسّ بسببها بكل تلك المشاعر، قد جسّدت شكلًا من أشكال العنف. وتجاوزت فجأة حدود العقل، فأراد أنْ يفتح باب التاكسي أثناء سيره ويرمي بنفسه على الأسفلت، فلم يعد باستطاعته تحمّل حقيقة تلك الصور أكثر من ذلك.

بالحديث عن تلك الصور مرة أخرى، يظهر له أنْ كراهيته له لم تكن كافية على ما يبدو، أو على ما يبدو أيضًا، لم يعانِ من تهديدها إياه بدرجة كافية. لكنه في تلك اللحظة من بعد الظهيرة في صيفٍ شديد الحرارة، ومع رائحة دم الشقيقة الصغرى لزوجته، كانت كل تلك الأشياء تفزعه. وانتابه شعور بالغثيان وصعوبة في التّنفّس. لقد مرّ وقت طويل منذ ظنّ أنه قادر على القيام بعملٍ جديد. في تلك اللحظة كان في حالة يُرثى لها، منهَكًا من الحياة، غير قادر على تحمّل كل تلك الأشياء!

لما يقرب من عشر سنوات مضت، كانت كل الأعمال التي أنجزها تدير ظهرها له. لم تكن تلك الأشياء تخصّه، كانت لشخص كان يعرفه، أو لشخص ظنّ أنه قد عرفه.

***

كانت الشقيقة الصغرى لزوجته صامتة على الطرف الآخر لسماعة الهاتف. كان واضحًا أنها تلقت الاتصال، فقد سمع ما بدا مثل صوت تنفّسها، مع صوت طقطقة بدا أنها تأتي عبر الهاتف.

«مرحبًا».

كانت الكلمات تخرج بصعوبة من فمه:

«يا أخت زوجتي! إنه أنا! أتسمعينني؟ أنا زوج أم جي وو».

كان يحسُ باحتقار الذات، واحتقار الرياء والخداع، لكنه تابع الحديث:

«حسنًا! إنها قلقة عليك».

لم يسمع أي ردّ، فأخرج تنهيدة طفيفة عبر سماعة الهاتف. قد تكون واقفة الآن حافية كعادتها. فخلال الأشهر التي قضتها في مصحة الأمراض النفسية والعصبية، حاولت أسرتها إقناع طليقها أن يعود إليها. وبعد خروجها من المصحة قضت شهرًا في منزل زوج شقيقتها الكبرى، ثم استأجرت غرفة لتعيش فيها من دون أن تُسبب مشقّة أو توترًا لأحد. كان ذلك قبل سماعه عن موضوع البقعة المُنغولية، وبالتالي كان يراها حينها جديرة بالشفقة لا أكثر ولا أقل.

شخصية الشقيقة الصغرى لزوجته قليلة الكلام بطبعها. كانت تخرج إلى الشرفة الكبيرة وتقضي معظم فترات نهار أواخر الخريف تستمتع بأشعة الشمس. تجمع أوراق النباتات الجافة المتساقطة في أصيص النبات ثم تطحنها إلى مسحوق، أو تصنع بكفّ يدها ظلالًا على الأرضية. وعندما تكون زوجته مشغولة بأمر ما، كانت تصحب جي وو إلى الحمام حافية القدمين وتغسل وجهه.

لقد أقدمت تلك المرأة على الانتحار مرةً، ووقفتْ في غاية الهدوء أمام حشدٍ من الناس عارية الصدر تقريبًا -في ما يبدو أنه كان عرَضًا لتشوّش ذهني بعد محاولة الانتحار- في موقف يصعب عليه تصديقه. وهو حملها بنفسه على ظهره الذي سالت

عليه دماؤها مهرولًا بها إلى المستشفى في تجربة كان لها تأثير شديد عليه.

لقد أحس بأنها تجربة لامرأة أخرى، أو تجربة حدثت في زمنٍ آخر!

ببساطة، كان الشيء الوحيد الخاص عن تلك المرأة امتناعها المتواصل عن تناول اللحوم. فقد كان ذلك منذ البداية سببًا لعدم التوافق بينها وبين أسرتها بعد أنْ صارت تصرفاتها تسلك مسلكًا غريبًا -عارية الصدر- رأى معه زوجها أن مسألة التحوّل إلى النباتية دليل دامغ على أنها لن تعود طبيعية مرة أخرى، وقال:

«إنها دائمًا شخصية مطيعة بشكل ما. وفي الحقيقة، أن تتناول امرأة شاردة الذهن الدواء يوميًّا، كان دونما شك، يجنح بها نحو الأسوأ».

وعلى الرغم من وضعها فقد صدمته الطريقة التلقائية التي تصرّف بها زوجها في نبذه إياها؛ فقد رماها كما لو كانت ساعةً أو أداة من أدوات المنزل تخلّص منها قائلًا:

«رجاء لا تظنّي أنني وغد! العالم كله يعرف أنني الضحية هنا!».

لم يكن كلام زوجها غير صحيح، ولذا فقد كان الشقيق الأصغر واقفًا في المنتصف بشكل محايد مع زوجته، في حين حاولت الشقيقة الكبرى أنْ تحثّ زوج أختها على تأجيل الطلاق الرسمي، حتى إنها استعطفتْه. لكن ردَّه كان جافًا.

لم يكن انطباع زوجته عن زوج شقيقتها الصغرى طيبًا، خصوصًا جبهته الضيّقة وملامحه التي تدل من نظرة سريعة على العناد، وأيضًا وجهه الذي لا يحمل أيّ علامة للرضى.

نادى على الشقيقة الصغرى لزوجته:

«يا أخت زوجتي الصغرى! أجيبيني! قولي ما تريدين قوله!».

وتنهّد تنهيدةً مسموعة عندما ظنّ أنها ستغلق الخط.

«... الماء يغلي».

كان صوتها كالريشةِ، لا وزن له. لم يكن كئيبًا، ولا يدل على شرود الذهن لمريضة مثلها، كما لم يكن مُشرقًا ولا حماسيًا. كان نغمة صوت لشخصٍ لا يربطه بأي مكانٍ رابطٌ:

«عليّ أنْ أذهبَ لأطفئ الموقد».

«يا أخت زوجتي الصغرى! أنا...».

تحدّث بسرعةٍ خشية أنْ تغلق خط الهاتف:

«هل ترين أنه لا بأس من أن أجيء إليك الآن؟ هل أنت باقية هناك ولن تذهبي إلى أي مكانٍ اليوم؟».

بعد فترة صمت، سمع صوت إغلاق الخط. وضع سماعة الهاتف بينما كانت يده تلمع بالعَرَق.

***

من الواضح أنه لم يكن ليفكّر في الشقيقة الصغرى لزوجته، ولا بأيّ حال، إلّا بعد أنْ سمع من زوجته ما يتعلق بالبقعة المنغولية. ولذا لم يكن لديه أي دوافع خفية في تعامله معها قبل ذلك. عندما يتذكر كيف كانت تبدو، وتتصرّف، خلال الفترة التي مكثتها في منزله، يجد أن الرغبات الحسّية التي اعتملت داخله كانت نتاجًا لخبرات ذهنية من تجارب الماضي، لا نتاجًا لشيء محدَّد في

ذلك الوقت. هيئتها وهي في الشرفة الكبيرة تصنعُ ظلالًا بيدها، لمعان كاحلها في سروال الملابس الرياضية الفضفاض وهي تحمّم ابنه، هيئة جسدها دونما اكتراثٍ منبطحة تشاهد التلفزيون، ساقاها المكشوفتان، شعرها الأشعث.. كلما تذكّر كل ذلك كان يحسّ بسخونة تسري في جسده. وفوق كل تلك الذكريات كانت البقعة المُنغولية الزرقاء منطبعةً. تلك البقعة من الأسلاف، والتي تظهر على أرداف الأطفال أو على ظهورهم فحسب، ثم تختفي دائمًا، وبشكل تامّ، قبل سن البلوغ بوقتٍ طويل. لم يتسنَّ له أن يرى ردفَيْها ولو لمرةٍ واحدة، ومع ذلك كان يحس بضوء شفّاف ينبع من داخله.

الآن لا تتناول اللحوم. تتناول الخضروات والحبوب المطحونة والبذور فحسب، وهو ما يتناغم مع بتلة الزهرة الزرقاء التي تماثل البقعة في تلك الصورة التي في ذهنه في ارتباط يصعب على المرء فصله على نحو ما أحسّ. الدم الذي انسال من شريانها منقوعًا بقميصه الأبيض كان قد جفّ على هيئة بقع خشنة كحبوب فول الصويا الحمراء، أحس معه بما يشبه الصدمة؛ الهاجس العميق لمصيره المحتوم.

كانت غرفتها في زقاق هادئ تمامًا بالقرب من جامعة «د» للبنات. وقف أمام البناية ذات المحلات العديدة، يحمل أكياسًا من الفاكهة بكلتا يديه بحسب طلب زوجته؛ اليوسفي والكمثرى والتفاح من جزيرة جي جو وبعض الفراولة غير الموسمية. كانت يداه وذراعاه تؤلمانه وكان لا يزال متردِّدًا، فقد أدرك أنَّ الذهاب للقائها في غرفتها وجهًا لوجه أمر مخيف.

في النهاية، أنزل الفاكهة التي يحملها، ثم فتح طيّة الهاتف وضغط رقم هاتفها. حتى الدقّة العاشرة لم تكن قد ردّت على اتصاله، فحمل الفاكهة وبدأ الصعود على السلالم، وصل إلى الطابق الثالث وبلغ الغرفة التي عليها رقم ستة عشرة عند الزاوية، ثم بارتعاشة خفيفة دق جرس الباب. وظن أنه لا إجابة، فحاول تحريك مقبض الباب لكي يفتحه فوجده مفتوحًا. أحسّ بأن شعره يتصبَّب عرقًا، فرفع قبعة البيسبول ثم وضعها ثانية. عدل هندامه بسرعة، ثم أخذ نفسًا عميقًا، وأخيرًا فتح الباب.

كانت الشقة الصغيرة باتجاه الجنوب تغتسل بشمس أكتوبر في مطلع الخريف، كما كانت الشمس قد لامست المطبخ أيضًا.

لمح بعض الملابس التي كانت زوجته قد أعطتها لشقيقتها الصغرى متناثرة على الأرضية بغير اهتمام، وذرّات الغبار الدقيقة تتحرك في الأرجاء، وربما بسبب خلوّ الشقة من الأثاث تقريبًا بدا المكان مرتبًا على نحوٍ ما.

بعد أن وضع الفاكهة من كلتا يديه بجوار الباب، خلع حذاءه ثم دخل من دون أن يكون لها أثر في الداخل. فإلى أين ذهبت؟ ألأنها تعلم بقدومه تركت المنزل وخرجت قبل وصوله؟ لا يوجد تلفاز، وهناك مقبسان بجانبهما وصلة هوائي مكشوفة، والفتحة ما بين الحائطين تدل على عدم تماثلهما بشكل ما. في آخر غرفة المعيشة توجد غرفة النوم؛ فيها فراش وفوقه لحاف مُكرمشٌ على هيئة كومة مثل الكهف، وكأن شخصًا ما قد انزلق منه للتو. كما يوجد هاتفٌ وحيد كانت زوجته قد وضعته هناك.

أحسّ بأنّ الهواء ثقيل فعزم على فتح نافذة الشرفة الكبيرة. ولأنه لم يسمع صوت الماء فلم يتوقع أبدًا أنها هناك، لذلك أدهشته تلك الجلبة عندما رآها خارجة من الحمام وهي عارية تمامًا. لم يكن على جسدها أي أثر لنداوة الماء، وقد وقفت هناك مشدوهة قليلًا، وشرعت في التقاط ملابسها قطعة تلو الأخرى حتى ارتدتها، لا بوازع من الإحساس بالخجل وإنما باعتبار أن ذلك شيئًا عليها أن تقوم به ولو بامتعاض.

عندما كانت واقفة هناك بكل هدوء ترتدي ملابسها، لم تعِره انتباهًا ولم تعطِه ظهرها حتى. كان يعلم أن عليه أنْ يتجنّب النظر إليها، أو يغادر مسرعًا إلى الخارج. لكنه ظل واقفًا وكأنه قد تسمّر في بقعة في المكان. لم تكن نحيلة على النحو الذي كانت عليه عندما بدأت التحول إلى نباتية. فقد بدا أن وزنها قد ازداد على نحو ما بفضل التغذية الجيدة منذ دخولها إلى المستشفى وخلال الفترة التي مكثتها في منزله أيضًا. بدا صدرها مستديرًا ناعمًا، وخصرها دقيقًا جدًّا، وشعر جسدها الضئيل متناثرًا. لكن أكثر ما أثّر فيه كان جانب فخذها الذي رأى في عدم اكتنازه إغواء ما. لقد كان جسدها من ذلك النوع الذي يرغب المرء أن يريح نظره بالتطلع فيه. ولم يتسنَّ له أن يرى تلك البقعة المنغولية بين ردفيها.

بعد أن التقطت ملابسها وارتدتها كلها التفتت إليه قائلة:

«أنا آسفة».

تلعثم بحثًا عن مبررٍ لدخوله على ذلك النحو قائلًا:

«كان الباب مفتوحًا، فظننتُ لوهلة أنك قد ذهبتِ إلى الخارج».

«... لا بأس».

بدا ردّها في تلك المرة أيضًا كما لو كان الضرورة المتوقَّعة:

«عندما أكون وحدي، أحسّ بالراحةِ هكذا».

بعد ذلك، حاول ترتيب ما في رأسه من أفكار. فهي إذًا تقول إنها لا ترتدي ملابسها عندما تكون في البيت، ومن ثمّ فإن جسمه الذي كان هادئًا وهو يشاهدها عارية، بدلًا من ذلك أحس بموجة من الحرج تجتاحه. خلع قبعة البيسبول ثم وضعها، ولكي يخفي إحساسه بالانتصاب جلس القرفصاء على الأرض.

«ليس لديَّ شيء أقدّمه لك».

كان ينظر إليها قبيل قليل وهي تتجه إلى المطبخ باهتمام بالغ. كانت ترتدي سروالًا رياضيًّا ولم يكن تحته أي شيء. عندما تأمل ردفيها كانا هادئين ولم يجد في حجمهما ما يثيره، لكنه لم يكن يعرف سببًا لذلك الجفاف الذي أحسّه في حلقه.

في محاولة لكسب الوقت للتغلب على حالة الانتصاب تلك قال:

«لا داعي لذلك... أو لنتناول القليل من الفاكهة!».

«ألا تمانع؟».

ذهبت إلى باب الشقة وحملت التفاح والكمثرى من خلف الباب ثم وضعتها في الحوض. كان يسمع صوت الماء وطقطقة الأطباق ناظرًا بتركيز إلى المقابس القبيحة والفتحة ومنحنيات أزرار الهاتف. لكن رأسه كان ممتلئًا بكثافةٍ بتلك المنطقة المحرَّمة المتعلقة بها، وبصورة ردفيها مرسومَين ببتلات الأزهار الملوَّنة ويغطي على كل ذلك صورة رجل وامرأة في أوضاع حميمية.

غسلت التفاح والكمثرى في طبق وجاءت به، وعندما كانت تجلس أمامه كان مضطرًا للانحناء برأسه كي يتحاشى النظر في عينيها. ثم في محاولة منه للتراجع قال:

«... لا أعرف إنْ كان التفاح لذيذًا أم لا؟».

«ليس عليك أنْ تزورني على هذا النحو!».

«نعم؟».

ثم تابعت بصوتٍ هادئ:

«ليس عليكم أنْ تقلقوا بشأني. فأنا أبحثُ عن عملٍ مرة ثانية. لقد قال الطبيب إنه يجب ألا أكون مستغرقة في أمرٍ ما وأنا وحيدة، لذلك فكرتُ في الالتحاق بعمل في أحد المراكز التجارية الكبرى. لقد أجريتُ مقابلة العمل الأسبوع الماضي».

«... فعلًا؟».

كان ذلك يعني رغبتها في العمل بشكل فعليّ، بينما ادّعى زوجها ظلمًا عكس ذلك بقوله: «إليك شكل الحياة؛ كل يوم أنت مع زوجة تتناول دواء علاج المرض النفسي، وتعتمد على زوجها في كل شأن من شؤون حياتها. أتستطيع تحمل كل ذلك؟».

قلت:

«دعكِ من هذا! ما رأيكِ في العمل بمحل شقيقتك الكبرى؟».

ناظرًا باتجاه الأرض، راح يتحدّث عن العمل الذي اقترحه عليها قائلًا:

«المرتَّب هناك ليس بالقليل، وسيسرّ شقيقتك الكبرى أنْ يذهب

إليك لا إلى شخص آخر. أنت تعرفين طيبة قلبها جيدًا. وكلاكما يستطيع الثقة بالآخر، وكذلك تكونان قريبتين من بعضكما مما سيريح قلبها كثيرًا. فضلًا عن أن العمل هناك لن يكون في صعوبة المركز التجاري الكبير».

أحسَّ بها قد استدارت قليلًا نحوه فرأى وجهها الرائق على نحو مباشر. كان تعبير وجهها مثل راهبٍ بوذي مع أنه كان يعرف إلى أي حدٍ هي متململة. أشعره ذلك الصفاء بالخوف، فربما ذلك التعبير الظاهر يُخفي تحته خبثًا مكبوتًا، أو ربما ترك في داخلها رواسب باقية. راح يُراجع نفسه لجهة اعتبارها موضوعًا للعري العقلي عندما تحدثت بكل تلقائية أنها لا تريد ارتداء الملابس. لم يستطع كذلك أن يُنكر أن صورتها عارية قد انطبعت الآن برسوخ في رأسه لتتحوّل في داخله إلى ما يشبه الوصمة.

«تناول الكمثرى من فضلك!».

حملت الطبق نحوه، فردّ قائلًا:

«تفضلي أنتِ أيضًا».

كانت تستخدم أصابعها بدلًا من الشوكة. التقطت قطعة كمثرى ووضعتها في فمها. وهو كان يحاول أن يتجنّب ما يعتمل في رأسه مِن وضع يديه حول كتفيها بهدوء بينما هي شاردة الذهن تلعقُ سبابتها التي التصق بها السائل اللزج المتساقط من الكمثرى، ثم يلحس المتبقي بشفتيه ولسانه ساحبًا سروالها الفضفاض في تلك اللحظة هناك.

***

بينما كان يرتدي حذاءه خاطبها قائلًا:

«ما رأيك في الخروج معي؟».

«... إلى أين؟».

«نتمشى قليلًا ونتحدث بعض الشيء».

«يا زوج شقيقتي الكبرى! سأفكر مليًا في ما قلتَه».

«لا. ليس كذلك... أريد أنْ أطلب منكِ شيئًا».

بدت غير واثقة، لكنه كان قد قرر بالفعل ماذا سيفعل. إن كان يريد الهروب من هذا الموقف المؤلم، ومن الدوافع غير القابلة للتعليل التي تسيطر عليه رويدًا رويدًا، فعليه أن يخرج، أن يترك هذه الغرفة. كان من الخطر أن يبقى دقيقة واحدة أخرى.

«فلنتحدث هنا!».

«لا. أريدُ السير قليلًا. أنتِ أيضًا تبقين طوال اليوم داخل البيت. ألا تشعرين بالكآبة؟».

في النهاية، أيقنَتْ أنها لن تتغلب عليه، فانتعلت نعليها وتبعته. تمشّيا عبر الزقاق صامتَيْن حتى الطريق الرئيس حيث لمحَ سلسلة المقاهي فسألها:

«أتحبين الآيس كريم؟».

ابتسمت بإشراق كما لو كانت عاشقة في موعد غرامي.

اتخذا مقعدَين بجانب النافذة. كان صامتًا يتطلع فيها بينما تقلب شرائح الآيس كريم قبيل ذوبانها ثم تلعقُ طرف الملعقة الخشب وكأن هناك وصلة ما تربط لسانها بجسده. ففي كل مرة

يبزغ الطرف الوردي اللون تسري فيه رعشة كما لو كان تحت تأثير صدمة كهربائية.

فكّر آنذاك. سواء أكان هناك حلٌ أم لا. سواء هناك سبيل للخروج من مأزق تلك الرغبة أم لا.

«طلبي هو... ».

ثبتَتْ عينيها متطلعة فيه، بينما على طرف لسانها بقعة بيضاء من بقايا الآيس كريم. خطّا عينيها بالجفن الواحد جعلاها تبدو تقريبًا مُنغولية. وبؤبؤا عينيها، بين الصغر والكبر، يشعّان ضوءًا خافتًا.

«أريدكِ أنْ تكوني موديلًا في عمل لي».

لم تضحك ولم تشعر بالفزع، كان هناك ما يعتمل في داخلها، لكنها ظلت تحدّق إليه بكل هدوء.

«شاهدتِ أحد معارضي من قبل، أليس كذلك؟».

«نعم».

«سيكون العمل عبارة عن مشاهد فيديو، مثل أعمالي السابقة. لن يكون المشهد طويلًا... فقط... عليكِ أنْ تخلعي ملابسك».

أخيرًا استطاع أنْ يُخرج ما بداخله فحسب. شعر بجرأته، وبيديه أكثر ثباتًا ودونما تعرّق، وجبهته باردةً:

«ستخلعين ملابسك، وسأرسم على جسدك».

كانت هادئة تمامًا وهي لا تزال تحدّق فيه:

«... ثم ماذا؟».

«ثم سيظل الرسم على جسدك حتى ينتهي التصوير».

«الرسم بالألوان... على جسدي؟».

«سأرسم ورودًا».

بدت عيناها وكأنهما تومضان. شكّ أنه ربما اقترف خطأً، فسارع الى القول:

«لن يكونُ أمرًا مُتعِبًا. ساعة أو ربما ساعتين تكفيان، وفي أي وقت يكون مناسبًا لكِ!».

لقد قال كل ما كان يريد قوله. وفي ما يشبه الاستسلام تقريبًا انحنى رأسه متطلعًا في الآيس كريم المكسوّ بجوز الهند المفتت واللوز المُقشّر والذي كان ببطءٍ يسيل بنعومة على الجانبين.

«... أين؟».

كان تفكيره لا يزال مع الآيس كريم السائل حينما سألته ذلك السؤال. نظر إليها فوجدها تضع آخر ملعقة آيس كريم في فمها، وقد دهن لونه الأبيض شفتيها اللتين لا أثر للون الدم الأحمر فيهما.

«سأستعير استديو صديق لي».

كان وجهها لا يحمل أي تعبيرات، فصعُبَ عليه أنْ يُخمِّنَ أي شيء مما يدور برأسها:

«آه... أما بالنسبة لشقيقتك الكبرى!».

كان يعتقد بأنه من المستحسن ألّا يتكلم في هذا الموضوع، ولكن لم يكن هناك خيارٌ آخر، تلعثم في الحديث لكنه متحررًا من الأوهام قال:

«سيكون ذلك... سرًّا».

لم تُظهِر أيّ تأكيدٍ أو امتعاضٍ على ما قاله. حبس أنفاسه وراح يحدّقُ في تعبيرات وجهها محاولًا تخمين ما تودّ قوله.

***

بفضل النافذة الكبيرة باستديو «م»، تلك التي تسمح بدخول أشعة الشمس، كان المكان دافئًا. مكان بمساحة مئة بيونغ تقريبًا وبالتالي فهو أشبه بالمعرض لا مجرد استديو. كانت اللوحات معلقة في أماكنها المناسبة، وأدوات الرسم الخاصة بـ«م» مرتبة بدرجة تدعو إلى الاندهاش. ورغم أنه كان قد أعدَّ ما يحتاج إليه من أدوات الرسم الخاصة به، لكنه كان يريد أنْ يجرب أدوات «م».

بحث بمنتهى التلقائية عن استديو زميله المقرَّب جدًّا خلال مرحلة الدراسة الجامعية. لقد استطاع «م» الحصول على مقعد أستاذ جامعي في إحدى جامعات العاصمة في سن الثانية والثلاثين، وكان أسرع مَنْ يحصل على هذه الوظيفة بين زملاء دفعته. وجهه وهيئته وسلوكه، جميعها تنمّ عن هيبة الأستاذ الجامعي.

«كان الأمر على غير المتوقَّع. عندما بدا أنك تطلب مني شيئًا».

قال «م» ذلك قبل ساعةٍ. بعد أن تناولنا الشاي معًا ثم أعطاني المفتاح، وأضاف:

«أخبرني إن احتجت الاستديو في أي وقت. فأنا أقضي ساعات النهار كلها في الجامعة».

بينما كان يأخذ منه المفاتيح لاحظ أنّ أسفل بطن «م» أكثر استدارة وبروزًا مقارنة بأسفل بطنه هو. فطالما هناك شهيّة، سيترتب عليها معاناة من نوعٍ ما. فيما يبدو أنّه كان مرتاحًا نوعًا ما،

فلم يلقِ بالًا لإخفاء ذلك الجزء المستدير الظاهر من بطنه. لكن على الأقل كان لديه بعض القلق، أو القليل من الخجل بشكلٍ ما، لكن المرجَّح أنّ ما كان يتوق إليه «م» فعليًا هو جسد أيام الشباب.

أزاح بعض لوحات «م» جانبًا، شاعرًا بأن ذلك أكثر إقناعًا بالنسبة له. فرش ملاءة بيضاء على الأرضية الخشب المستطيلة الواسعة عكست الضوء بقوة أكبر، ثم استلقى عليها لوهلة محاولًا تلمّس ما قد يتراءى لناظرَيْ الشقيقة الصغرى لزوجته في تلك الوضعية، ومتحققًا من مدى إحساسها بالراحة أو الاستياء.

ألقى نظرة على الأعمدة الخشب الممتدة حتى السقف العالي، والسماء خارج النافذة، والملاءة التي بفضلها أحس بنعومة تحت ظهره رغم صلابة الأرض التي تحمَّل برودتها دونما انزعاج. انقلب منبطحًا على بطنه، حيث أشياء أخرى لفتت انتباهه؛ لوحات «م»، بقعة ضوء الشمس مرسومة على ظلّ الأرضية الخشبية، السناج المتكتل على الموقد الذي لم يُستعمَل.

وضع أدوات الرسم التي جهّزها، وتحقق من بطاريات كاميرا الفيديو 100 «ب. د.». ضبط أضواء الاستديو لأجل جلسة تصوير مطوَّلة. فتح كراس الرسم ثم طواه مرة ثانية ووضعه في حقيبته. خلع الجاكيت، شمّر أكمام القميص عن ساعديه ثم راح ينتظر.

كان موعد وصولها إلى محطة المترو في قرابة الثالثة بعد الظهر، فارتدى الجاكيت وانتعل حذاءه. خرج مواجهًا الهواء العليل في الضاحية هناك، وبدأ السير باتجاه محطة المترو.

دق هاتفه، فواصل السير وهو يرد:

«إنه أنا».

كانت زوجته.

«يبدو أنني سأتأخر اليوم. فالفتاة التي تعمل بشكل موقَّت تتلقى علاجًا بالإبر اليوم. سيكون عليك أنْ تأخذ جي وو من الحضانة في السابعة مساءً».

أجاب باختصار:

«لا أستطيع. أقرب وقت ممكن هو التاسعة مساء».

سمع صوت تنهيدتها:

«حسنًا! سأطلب من السيدة في الشقة رقم 709 أنْ تعتني به حتى التاسعة مساء».

الأدهى من ذلك، أنّ الحوار قد انتهى عند هذا الحد. فلم يعد التواصل ضروريًا إن لم يكن ذلك بشأن يخصّ ابنهما، وكأنهما قد صارا شريكين في عمل يتشاوران حوله فحسب.

قبل أيام، في الليلة التي سبقت زيارته للشقيقة الصغرى لزوجته، وبلا تريّثٍ، اندفع بقوة في الظلام محتضنًا زوجته. فمنذ بداية زواجهما كان يدهشه أنه لم تكن لديه رغبة قوية تجاهها، ولذلك ربما اندهشت لحظتها:

«لماذا تتصرف على هذا النحو؟».

لم يكن يريد أنْ يسمع صوتها المحتدّ، فأطبق فمها. ووسط كل خيوط الفراغ بالظلام اندفع بنفسه نحو صورة أنفها، وشفتيها، وتلك الانحناءة في رقبتها الطفولية. بينما كانت حلماتها المستنفَرة بشدة في فمه. خلع عنها ملابسها الداخلية. وفي كل مرةٍ كان يريد أنْ يرى البتلة الزرقاء الصغيرة تنفتح وتنغلق كان يغمض عينيه ويمحو وجه زوجته من رأسه.

عندما انتهى كل شيء، كانت زوجته تبكي. لكنه لم يعرف إن كان سبب بكائها هو الحماسة أم الانفعال العاطفي.

أنا خائفة. تمتمت بينما كانت تبتعد عنه. لا. ليس هذا ما يعنيه كلامي. بل أنا خائفة منك. في تلك اللحظة كان يغط في نومٍ عميق كالميت، فلم يكن متأكدًا هل خرجت تلك الكلمات من شفتيها بالفعل أم لا. إنها حتمًا كانت تضطجع هناك منتحبةً لوقتٍ طويل ولكنه لم يسمع!

إنما في صباح اليوم التالي، لم يكن سلوكها مختلفًا ولو بدرجة طفيفة عن المعتاد. وفي الاتصال الهاتفي قبل قليل كان صوتها عاديًا أيضًا. لم يكن هناك أي بغض خاص تجاهه. تلك التنهيدة التي لا تتغير أبدًا، والتي تشعره بانزعاج لا يمكن تصوره. مشى بخطوات أسرع كي يمحو ذلك الإحساس بعدم الارتياح الذي جثم على صدره.

على غير ما توقع، كانت الشقيقة الصغرى لزوجته قد وصلتْ قبله إلى مخرج المحطة. تراجعت على السلالم كما لو كانت هناك منذ وقت طويل. كانت ترتدي سروال جينز قديمًا وجاكيتًا بنيًّا ثقيلًا. أخيرًا، بدت كما لو كانت شخصًا آتيًا على قدميه من فصل الشتاء. وبدا وجهها كما لو كان مغتسلًا بالعرق. والخطوط العريضة لجسدها كما لو كانت أشعة الشمس قد نضّدتها طويلًا. لم يُنادِها أولًا، بل حدّق إليها فحسب.

***

«اخلعي ملابسك».

خاطبها بصوتٍ منخفضٍ، بينما كانت تتطلع شاردة الذهن في شجر الحور خارج نافذة الاستديو وقد أشرقت أشعة الشمس وحيدةً على الملاءة البيضاء. لم تلتفت إليه، فظن أنها لم تسمعه وأراد أن يكرر ما قاله ثانية فإذا بها ترفع ذراعيها وتخلع الجاكيت. ثم بعده خلعت القميص الأبيض التحتيّ، لم تكن ترتدي حمالة الصدر فرأى ظهرها. ثم خلعت سروال الجينز الفضفاض فانكشف ردفاها الأبيضان.

حبس أنفاسه وتفرّس في ردفيها. في أعلاهما غور من نقرتين صغيرتين يُطلق عليهما ابتسامة الملاك. أما الوحمة فكانت بحجم إبهام اليد، مدموغة بأعلى الردف الأيسر. كيف تسنى لمثل هذا الشيء أنْ يظل باقيًا هناك؟ لم يستطع أنْ يستوعب الأمر. لونها الأخضر المائل إلى الزُّرقة يماثل كدمة شاحبة، لكن كان من الواضح أنها بقعة مُنغولية؛ شيء يعود لأزمنة بعيدة قبل مرحلة التطور، أو ربما يعود لمرحلة البناء الضوئي، وكان ما أدهشه أنه لم تكن لها علاقة بأي إحساس جنسي، بل كل الذي أحسّه بوضوح ارتباطها بالنبات.

بعد فترةٍ أشاح ببصره عن البقعة المنغولية ليتعرف على جسدها بشكل كامل. لم تكن كمَن تؤدي دور الموديل لأول مرة، واضعًا في الاعتبار علاقتها بزوجها والانطباع الذي خرج به من سلوكها، فقد تبادر إلى ذهنه ذلك اليوم الذي أعقب قيامها بتمزيق معصمها وجرحها ما زال لم يشفَ، كانت أمام نافورة المستشفى عارية، مما أدى إلى احتجازها بجناح مغلق في المستشفى. وفي المستشفى

أيضًا كانت تخلع ملابسها وتعرّض جسمها لأشعة الشمس مما أدى إلى تأخير التصريح بخروجها.

سألته:

«هل عليّ أنْ أجلس؟».

«لا. تمدّدي على بطنك».

رد عليها بصوتٍ منخفضٍ لم تكن معه معظم مخارج الأصوات واضحة.

تمددتْ على بطنها فوق الملاءة. بينما كان واقفًا بلا حراك. فقد أثار فيه مشهد جسدها ممدَّدًا إحساسًا بالخمود، وقد تقطّبتْ جبهته محاولًا أن يسبر غور ذلك الأمر.

«ابقِ على هذه الوضعية قليلًا».

ضبط ارتفاع الحامل ثلاثي القوائم بعد أن نصبه، ثم قام بتثبيت الكاميرا عليه. كان جسدها الممدّد قد ملأ الإطار، فأخذ الفرشاة ولوح الألوان، ثم عزم على تصوير نفسه وهو يلوّن جسدها.

أولًا، أزاح الشعر المنسدل على كتفيها، بادئًا برسم الورود من القفا. وبدأ يرسم براعم نصف متفتحة أرجوانية اللون وحمراء تُزهِر على كتفيها وظهرها، وأغصان نحيلة ملفوفة على جانبها باتجاه الأسفل. وعندما بلغ ردفها الأيمن رسم وردةً أرجوانية اللون متفتحة، مع كربلة صفراء حيّة في مركزها. بينما الرّدف الأيسر ذو البقعة المنغولية فقد تركه من دون رسم، وبدلًا من ذلك، استخدم فرشاة عريضة لتغطية العلامة الضاربة إلى الزُّرقة بالأخضر الفاتح الذي بدا كما لو كانَ ظلًا خافتًا لوردة.

في كل مرّة كانت الفرشاة تمسُّ جسدها، كانت تحسّ بما يبدو دغدغةً خفيفة فكان يرتجفُ، ولكن ذلك لم يكن تهيجًا أو استثارة، بل كان إحساسًا يحفزّ شيئًا ما في صميم أعماقه يسري فيه بشكل متواصل كصدمة كهربائية.

في النهاية، عندما فرغ من رسم الأورق والأغصان الطويلة على فخذها اليمنى حتى كاحلها النحيل، كان قد تصبّب عرقًا.

«لقد انتهيتُ».

ثم عقّب قائلًا:

«ابقي على هذا الوضع قليلًا».

رفع كاميرا الفيديو من فوق الحامل الثلاثي ثم شرع في تصويرها عن قُربٍ. كان يقرّب أبعاد الصورة كثيرًا على تفاصيل كل وردة على جسدها. ثم ظل يقرِّب الأبعاد لفترة طويلة حول ذلك الخط المنحني في عنقها، وشعرها الأشعث، ويديها المتوترتين المبسوطتَيْن على الملاءة، والبقعة المنغولية على ردفها. وفي النهاية، بعد أنْ فرغ من تصوير جسدها كله على شريط الفيديو، أوقف تشغيل الكاميرا.

«لا بأس بأنْ تقومي الآن».

أحس بأنه منهكٌ نوعًا ما، فجلس على الأريكة الموضوعة أمام موقد الحائط، بينما بسطتْ أطرافها على الأرض، رافعة جسدها عن الأرض متكئة على كوعَيْها.

«ألا تشعرين بالبرد؟».

جفّف عرقه ثم نهض ووضع الجاكيت على كتفيها.

«ألم يكن الأمر مرهِقًا لك؟».

عندما نظرت إليه مبتسمةً، كانت ابتسامتها شاحبة لكنها حيّة. كانت ابتسامة من النوع الذي لا يوحي برفض شيء، ولا يوحي كذلك بالاندهاش من شيء.

لقد أدرك لأول مرة في تلك اللحظات التي كانت ممددة خلالها على بطنها فوق الملاءة البيضاء السبب الكامن وراء إحساسه بالصدمة آنذاك. امرأة شابة ذات جسد جميل، ومع ذلك، وعلى نحو لا يخلو من تناقض، فهو جسد يُقصِي كل الرغبات. من بين هذه التناقضات أنه لم يكن فيه ما ينضح بالغرابة، لم يكن خاويًا فحسب، بل كان بلا قوةٍ أيضًا. لقد تخلّت عن تلك الحياة التي يظهرها جسدها. كانت أشعة الشمس قد توزّعت عبر الشرفة الواسعة، متحللة على ذرات الغبار، مثلما تبعثر جمال جسدها، الذي لم يكن مرئيًا... وقد صفعه بشكل ساحقٍ صعوبة تفسير ذلك المشهد كموجةٍ ترتطم بالصخور، مما خفّفَ من القهر المرعب غير المفهوم الذي سبّب له الكثير من الألم طيلة العام الماضي.

***

ارتدت الجاكيت الذي بسطه عليها، ولبست سروال الجينز الذي كانت قد خلعته مرة ثانية. وضعت يديها على فنجان يبزغ منه عشبٌ، ولم تنتعل نعلها، بل سارت بخفةٍ حافية على الأرض.

«ألم تشعري بالبرد؟».

سألها مرة ثانية، فأومأتْ برأسها.

«ألم تشعري بالإرهاق؟».

«كنتُ مُستلقيةً هناك فحسب، وقد كانت الأرضية دافئة».

لم يبدُ عليها أي اندهاش رغم أن الموقف كله كان غريبًا. وكان يبدو أنها قادرة على أن تحافظ على هدوئها مهما كان الموقف. لم تهتم، أو تدقّق أبدًا في ذلك المكان الجديد بالنسبة إليها. وقد كانت لها أسبابها الوجيهة بالطبع لكي لا تعبّر عن مشاعرها. يبدو أنها تستطيع أنْ تتعامل جيدًا مع أي شيء يوضع في طريقها برباطة جأش ودونما صخب. قد يكون سبب ذلك حدوث الأشياء داخلها أولًا؛ أشياء مفزعة لا يستطيع أحدٌ تخيلها، ومن ثمّ يصبح من المستحيل بالنسبة إليها أنْ تخوض غمار أمور الحياة اليومية. إن فعلت، لن تتبقى لديها أي طاقة. لا طاقة لما يثير الفضول أو يجذب الانتباه فحسب، وإنما، في الوقت نفسه، لأي استجابة لكل التفصيلات الرتيبة التي قد تطفو على السطح. وهذا ما دعاه إلى الاعتقاد بأن تلك كانت حالتها الاعتيادية. فعيناها يبدو أنهما تعكسان شكلًا من أشكال العنف الذي لم يكن من اليسير التخلص منه في هيئة نوع من الاستسلام أو البلاهة أو عدم الاكتراث. وبسبب شعورها بكل ذلك، كان جليًا أنها تعاني من أجل أنْ تكبت هذا العنف.

الآن، في تلك اللحظة، كانت يداها تحوطان الفنجان الدافئ مثل كتكوت يحسّ بالبرد. كانت تتأمل هيأتها ناظرة نحو قدميها. لم يكن ذلك يثير الشفقة تجاهها، فبدلًا من ذلك، ومع إحساس الناظر إليها بوطأة الأسى، كانت هناك ظلال لمؤشرات تُظهر قوّتها.

«في البداية لم تكن تُعجبني». كان يستدعي وجه زوجها الذي عاش معها لوقتٍ طويل، والذي لم يعد في حاجة لأن يناديه عديله

بعد ذلك. وجهٌ جافّ، لم يعتقد بأنّ له أي قيمة خاصة تميزه في إطار الحياة اليومية. وقد أحسّ بالخجل متخيلًا شفتيه المبتذلتين تنضغطان بنهمٍ على جسدها.

هل كان متبلّد الحسّ ذاك يعرف بشأن بقعتها المنغولية؟ لقد أحسّ بأن اللحظة التي التفَّ فيها جسد ذلك الشخص بجسدها العاري يمكن أنْ توصف بالمهينة، والدنسة والعنيفة.

حملت الفنجان الفارغ ووقفتْ فتبعها واقفًا. أخذ منها الفنجان ووضعه على المائدة. غيّر شريط الكاميرا وأعاد ضبط حاملها ثلاثي القوائم.

«هل نبدأُ مرةً ثانية؟».

أومأتْ برأسها ثم سارت فوق الملاءة. كانت حِدة أشعة الشمس قد خفّت نوعًا ما، فأضاء أحد المصابيح الكهربائية باتجاه موضع تمددها. خلعتْ ملابسها مرة ثانية ثم تمددت على الناحية الأخرى هذه المرة. وبسبب الإضاءة المسلطة على الجزء العلوي من جسدها ضيّق عينيه كما لو كان مبهورًا. لقد رأى جسدها العاري من الأمام مصادفة في بيتها من قبل. الآن كانت هيئتها الجميلة مستلقية على ظهرها، من دون مقاومة. مكثَّفة بدرجة أدت إلى إحساسه بالانزعاج. ترقوَتاها نحيلتان، وبسبب تمدّدها على ظهرها بدا صدرها منبسطًا كما لو كانت صبيًا صغيرًا. قفصها الصدري واضح، وفخذاها منفصلان في وضعية غير مثيرة بالمرة، عيناها ناعستان، ووجهها مثل الصحراء. كان جسدها قد تخلّص تدريجيًّا من أي زيادة، فلم تقع عيناه على مثل ذلك الجسد من قبل، جسدٌ يقال عنه الكثير ولا يزال أبلغ ما يوصف به هو تكوينته ذاتها.

هذه المرة رسم مجموعات كبيرة من الورود الصفراء والبيضاء من الترقوة حتى الصدر. فإذا كانت الورود على ظهرها ورودًا ليلية، فإن الورود التي من ناحية الصدر ورودٌ نهارية مشرقة. أزهار السوسن تفتحتْ على قعر بطنها، وبتلات ذهبية اللون قد تبعثرت بغير انتظام على فخذيها.

لقرابة أربعين سنة لم يحسّ بمثل تلك الطاقة المشرقة قطّ. تلك الطاقة التي كانت تفيض في هدوء من مكانٍ غير معلوم داخل جسده بينما طرف الفرشاة يمسّ جسدها. كان يريد استغلالَ تلك الطاقة لأطول فترةٍ ممكنة. كان ضوء المصباح الكهربائي يغطي جسدها حتى العنق، تاركًا وجهها في العتمة، فبدت وكأنها نائمة. لكن عندما مسّ طرف الفرشاة ما بين فخذيها، أحسّ بارتعاشة تسري في جسدها فعرف أنها مستيقظة. شعر بخوفٍ من فكرة تقبّلها كل شيء في سَكينة تامة؛ كان يحسّ بأنه لا يمكن اعتبارها شخصًا، ولا وحشًا كذلك، ولا نباتًا، أو حيوانًا، أو إنسانًا. لقد أحسّ بأنها تجسيد لمزيج غريب في منتصف المسافة تقريبًا بين كل ما سبق!

أخيرًا، بعد أنْ وضع الفرشاة من يده، تطلع في جسدها متناسيًا قيامه بالتصوير تمامًا. نظر إلى الورود المتفتحة بأسفل جسدها، لكن أشعة الشمس كانت تخبو تدريجيًّا وكأن وجهها قد امّحى ببطءٍ وسط ظلال نهاية الظهيرة، فرتب أفكاره لأجل أن يتوقف.

«اضطجعي على جانبك...».

بهدوء تام، لوت ذراعها، وساقها، وخصرها، واضطجع جسدها في حركة كما لو كان منضبطًا على إيقاع موسيقي هي وحدها تسمعه. أدار كاميرا الفيديو نحو الحافة السفلية لجانبها

ثم باتجاه الانحناءة الناعمة لردفيها، مصوّرًا الورود على ظهرها؛ الورود الليلية، ثم الورود التي على الناحية الأمامية لجسمها؛ ورود الشمس، منتهيًا بالبقعة المُنغولية كأثر أزرق باهت. وقد كان الضوء يخفتُ تدريجًا والظلام يحلّ.

بدا مترددًا، فقد قطع وعدًا بأنْ لا يصوِّر هذا، لكنها عندما كانت تتأمل الظلام الحالك خارج النافذة، التقط صورًا مقربة لوجهها؛ امتلأت الشاشة بشفتيها الشاحبتين، والظلال الخاوية أعلى ترقوَتيها الناتئتين، وجبهتها مع شعرها الأشعث، وعينيها الشاردتين.

***

حتى فرغ من وضع كل المعدات في صندوق السيارة، كانت تطوي ذراعيها إلى صدرها بينما ظلت واقفة هناك. وبعد أنْ نفّذ ما طلبه «م» بوضع المفتاح داخل حذاء التريّض قال لها:

«لقد انتهيتُ. هيّا بنا».

كانت ترتدي جاكيته فوق سُترتها وبدت كما لو كانت تشعر بالبرد.

«يا شقيقة زوجتي الصغرى! في طريق الذهاب إلى منزلك، ماذا تودين أنْ تأكلي؟».

«لستُ جائعة... لكنْ، أيزول هذا إنْ غسلته بالماء؟».

كانت تسأله وهي تشير بيد واحدة إلى صدرها. وكأن ذلك كان كل ما يشغل بالها في النهاية!

«لن تكون إزالته سهلة. سيكون عليك أنْ تغسليه جيدًا مرات عدة...».

كان كلامه مختصرًا فقالت:

«سيكون من الأحسن ألّا يزول!».

بدت شاردةً للحظةٍ، بينما كان يتطلع إلى وجهها الذي اكتنف الظلام نصفه.

كانا قد بلغا مطعمًا في زقاق بمنطقة حضرية. ولأنها لا تأكل اللحوم فقد اختار مكانًا يضع لافتة لمطبخ بوذي. طلبا الطعام الشائع الذي صاحبه نحو عشرين طبقًا من فواتح الشهية مرتبة بعناية مع الطعام والجنسنغ ووعاء ساخن من الأرزّ. وبينما ينظر إلى هيئتها ممسكة بالملعقة، كان يفكر في أنها قد أمضت قرابة أربع ساعات عارية، ورغم ذلك لم يحرّك شيء مما فعله طيلة ذلك الوقت ساكنًا فيها لتستجيب إليه. بالطبع كانت خطته من البداية هي تصويرها عارية فحسب. لكن اللافت للنظر أنَ العملية كلها لم تبعث فيها ولو مجرد إحساس ضئيل بالرغبة.

لكن الآن، بينما يراها مرتدية تلك السُّترة، وتضع الملعقة في فمها، كان قد تأكّد من أنَّ تلك الرغبة العنيدة التي عذبته طيلة العام الماضي منذ بعد ظهر ذلك اليوم قد انتهتْ. صورته وهو يطويها بذراعية ماضغًا شفتيها بينما كل مَن في المطعم يصرخون، وهو بخشونة يتمطّى فوقها؛ تلك الصورة الشيطانية المألوفة قد أومضت منصرفةً من أمام عينيه. فاتجه ببصره نحو طبق الأرزّ وراح يتناول بعضًا منه وسألها:

«لماذا لا تأكلين اللحوم؟ عندي فضول متواصل حول هذا الأمر ولكني لم أستطع أنْ أسألك!».

كانت تلتقطُ براعم الفاصوليا من أحد أطباق فواتح الشهية، فوضعت عصاتَيْ الأكل ونظرت إليه جالسًا في مواجهتها، بينما ما زال يصارع لقمع تلك الصور الجنسية الدائرة في رأسه، وعندما لم تردّ أكمل قائلًا:

«لو كان الردّ صعبًا، فلا عليكِ».

«لا. ليس صعبًا. لكني لا أعتقد بأنك ستستوعب الأمر».

ثم في هدوء وهي تمضغ بعض الخضروات قالت:

«... بسبب حُلمٍ».

فعقّبَ سائلًا:

«حُلم؟».

«رأيتُ حُلمًا... لذلك لا أتناولُ اللحوم».

«أي حُلمٍ هذا؟».

«وجه».

«وجه؟».

ضحكتْ في هدوء لما رأتْ إلى أي حدٍ بدا مُرتبكًا؛ كانت ضحكة نابعة من إحساس بالحُزن.

«قلتُ لكَ إنه أمرٌ يصعب فهمه!».

إذًا، لماذا تكشفين صدرك لأشعة الشمس؟ مثل حيوان متحوّل عليه لكيْ ينمو أن يقوم بعملية أو التمثيل الضوئي. أذلك أيضًا بسبب الحلم؟

كانت هذه أسئلة لم يستطع أنْ يسألها إياها.

أوقف السيارة أمام منزلها ونزلا منها معًا.

«شكرًا جزيلًا على هذا اليوم».

أغنتها الابتسامة عن الرد عليه. تعبيرات وجهها هادئة بشكل ملحوظ، ففي أي شيء تُشبه شقيقتها الكبرى؟ إنها في نهاية الأمر امرأة عاديّة. لا، بل كان يعتقد بأنها حقًّا امرأة عادية، وأنه مجرد شخص مخبول!

أومأت برأسها ثم اختفت داخلةً من الباب الأمامي للبناية، بينما بقي هو منتظرًا حتى يرى نور غرفتها قد أُضيء، لكن لم يبدُ من شرفتها أي ضوء. كان قد رسم صورتها في خيالهأ

من دون أنْ تغسل جسدها، اندسَّت بين الفراش واللحاف. هكذا رسمها، والورود المتلألئة تفيض على جسدها، ذلك الجسد الذي كان معه بنفسه قبل دقائق من دون أن تلمسه يده. فأحسّ بألمٍ.

***

عندما ضغط زر جرس باب الشقة رقم 709 كانت الساعة التاسعة والثلث. وقد خاطبته المرأة التي فتحت الباب بصوت منخفضٍ قائلة:

«حتى قبل قليل كان جي وو يسأل عن أمه ثم نام».

وأقبلت طفلة بشعر معقود في الصف الثاني أو الثالث الابتدائي وناولته شاحنة جي وو ذات الرّافعة الشوكية. شكرهما وحيّاهما ثم وضع الشاحنة البلاستيك في الحقيبة أولًا. فتح باب شقته رقم 710 وبحرصٍ وضع ابنه النائم. أحسَّ بالممر المؤدي إلى غرفة ابنه باردًا، وبالمسافة منه حتى سريره طويلة. إنه في الخامسة من عمره وما زال يمصّ أصابعه! لم يكن نائمًا بعمقٍ، فحالما وضعه

في سريره، سمع صوت مصّه لأصابع يده وسط ظلام الحجرة.

اتجه إلى غرفة المعيشة وأضاء نورها. أغلق باب الشقة ثم جلس على الأريكة. بعد تفكيرٍ للحظات، فتح باب الشقة ثانيةً وخرج. وبعد أنْ اتخذ المصعد إلى الطابق الأول، توجّه نحو السيارة في المرأب وجلس على مقعد السائق. ثم بحث في الحقيبة عن شريطي فيديو 6 ملم وكرّاس الرسم، وإذا بالهاتف يدقّ.

كان صوت زوجته. يبدو خافتًا:

«ماذا عن ابننا؟».

«إنه نائم».

«هل تناول العشاء؟».

«لا بد أنه أكل، فحينما وصلتُ كان قد نام».

«حسن. سأعود في نحو الحادية عشرة».

«لأن الولد ينام بعمقٍ. إممم... أنا...».

«ماذا؟».

«سأذهب إلى الاستديو ثم أعود. هناك شيء لم أنتهِ منه بعد».

لم أتلقَّ ردًا منها.

«جي وو لن يستيقظ. فهو نائمٌ بعمق شديد. هذه الأيام عندما ينامُ لا يستيقظ إلا في الصباح».

«...».

«أتسمعينني؟».

«...».

«... حبيبتي!».

على غير المتوقَّع، بدا له أنها تبكي. أليس هناك أحد في المحل؟ من النادر بالنسبة لزوجتي الحسّاسة أنْ لفتت انتباه الآخرين!

«... إنْ كنتَ تريد أنْ تذهب، تفضَّل».

بعد قليل، وكان واضحًا أنها قد هدأت. وبصوت يحمل مشاعر مختلطة لم يعهده منها أبدًا من قبل قالت:

«سأغلق المحل الآن وأعود».

أنهت الاتصال. لم يسبق لزوجته ذات الشخصية بالغة العناية والحرص، أنْ تُنهي الاتصال أولًا مهما كانت مشغولة. في خجلٍ، أحسّ بالذنب فجأة. بعد قليلٍ، أمسك الهاتف متردّدًا. كان يفكّر في أنْ يعود إلى البيت لينتظر زوجته، لكنه تراجع على الفور وعقد العزم وأدار محرك السيارة. ولأن الطريق لا يكون مزدحمًا في هذا الوقت، فستصل زوجته في غضون عشرين دقيقة. وربما لن يكون هناك ما يُقلق بشأن ابنهما النائم في الداخل. وفوق كل ذلك، ما كان يريدُ أنْ يبقى منتظرًا في الشقة متلألئة الأنوار، وفي النهاية يجد نفسه أمام وجه زوجته المظلم.

عندما وصل إلى الاستديو، لم يكن هناك غير «ج» الذي خاطبه قائلًا:

«أنت متأخر اليوم! كنتُ على وشك الانصراف».

كان يعتقد بأنه أحسن صُنعًا، ولن يواجه أي شيء بينما يهرول ذاهبًا إلى هناك. فهو يتشارك المكان مع أربعة من البوم الليلي. ولذا كان احتمال استخدام المكان بمفرده طوال الليل ضئيلًا.

خلال قيام «ج» بجمع أشيائه وارتداء معطفه الواقي من المطر، قام بتشغيل الحاسوب. بينما اندهش «ج» من شريطَيْ الفيديو اللذين رآهما في يده:

«سون بيه. لقد أنجزتَ عملًا!».

«... نعم».

ابتسمَ «ج» وقد أدرك أنّه مقلّ في الإفصاح، ثم قال:

«أطلعني عليه في ما بعد إذا تكرَّمت!».

«طبعًا».

انحنى «ج» انحناءة مازحة، وبسرعة أرجح يديه بكامل حيويته وهو يمشي مقلّدا شخصية مَن يشعر أنه بحاجة لأن يجعل من نفسه متميزا. دفع الباب ثم خرج.

ضحك. وبعد أنْ فرغ من الضحك، تبادر إلى ذهنه أنه لم يضحك منذ مدة طويلة.

***

انقضى الليل وأشرق ضوء النهار، فأخذ شريط الفيديو الأصلي وأطفأ الحاسوب.

كان شريط الفيديو الذي صوّره لها أجمل مما توقَّع بدرجة مدهشة. الإضاءة، والجو العام، وحركاتها، كل ذلك كان ساحرًا بشكل أرضاه كثيرًا. انشغل قليلًا بفكرة إضافة خلفية موسيقية. فبزغت فكرة الخواء الذي يشبه الصمت المطبق. إيماءات جسدها في انحنائها واستدارتها بنعومة، كل ذلك مع الورود كاملة التفتح والبقعة المُنغولية - الجوهرية، شيء أبديّ يستدعي تناغمًا صامتًا.

كان يصارع انتظاره الطويل لعملية المونتاج المملّة، وقد دخّن أثناءها علبة سجائر حتى فرغ من العمل. المقطع الأخير كانت مدة تشغيله أربع دقائق وخمسًا وخمسين ثانية؛ وهو المقطع الذي يبدأ باستدارة جسدها والرسم عليه وتلوينه بيده حتى الانتهاء بتلوين البقعة المنغولية. وقد خفتت ملامح وجهها بحيث لا يُتعرّف عليها تمامًا، فبدا مثل الصحراء. ثم بعد ذلك جعل عملية خفوته تدريجيّة.

أحسّ بمدى الإرهاق بعد قضاء الليل كله ساهرًا، وبحبات من الرمل قد التصقت بجسده هنا وهناك. كل شيء يبدو غير مألوف. فمنذ وقت طويل لم يقم برسم تلك الرسومات. ثم بقلم أسود كتب على الرقعة اللاصقة بالشريط الأصلي؛ «البقعة المنغولية (1) أزهار الليل وأزهار النهار».

حالما انتهى وضع كفيه أمام عينيه، مأخوذًا بفكرة الصورة التي لم يكن له أن يلتقطها. إن كان من الممكن أن يسميها، لأطلق عليها اسم «البقعة المنغولية (2)».

تلك الصورة مشهد لرجل وامرأة وقد تلوّن جسدَيْهما بالورود وهما في وضعية التصاق حميمة وسط فراغ يماثل الصمت. تتنقّل أطرافهما فعليًّا في ذلك الفراغ، وفي تطور مشهديٍّ لإيماءات جسديهما يحدث هبوطٌ من القسوة إلى الرقة، مع تقريب أبعاد الصورة على كل المناطق الجسدية الحساسة لأقصى درجة وصولًا لحالة الصفاء التام الذي يرتقي إلى نوعٍ من السلام.

أمسك شريط الفيديو الأصلي بيده، بينما الأفكار تدور في رأسه؛ إن كان عليه أن يختار رجلًا ليصوِّره في تلك الوضعية مع

الشقيقة الصغرى لزوجته، فليس ذلك الشخص بالطبع هو نفسه بكل تلك التجاعيد في بطنه، والدهون التي على جانبَيْ خصره، والترهّلات في فخذَيْه وردفَيْه. فقد كان يعرف عن نفسه كل ذلك.

أدار محرّك السيارة، وبدلًا من العودة إلى المنزل ذهب إلى ساونا قريبة. أخذ قميصًا أبيض نصف كم وسروالًا حتى الركبة من فوق المنضدة في مدخل الاستقبال وقام بتغيير ملابسه، ثم تطلع في صورته المتحررة من الأوهام كما انعكست في المرآة. هذا الشخص بالطبع ليس هو! فمن هو ذلك الشخص إذًا؟ من ذا الذي قد يكون معها في تلك الأوضاع الحميمة؟ إنه ليس فيلمًا إباحيًّا. ومع ذلك ليس المطلوب التظاهر بممارسة الجنس، بل بالقيام به فعليًّا. لكنه جسديًا ليس الشخص المناسب، فمن يكون إذًا؟ من الذي يقبل القيام بذلك؟ ومن ثمّ، كيف ستتقبَّل الشقيقة الصغرى لزوجته هذا الأمر؟ كان يدرك بنفسه الحدود التي بلغها، لكنه لا يستطيع أنْ يتوقف، بل إنه لا يرغب في التوقّف. حاول أن ينال قسطًا من النوم في الساونا، داعب البخار الدافئ أطرافه المرتخية، بدا المكان وكأنه جزء من ليلة صيفية، ارتد الزمن إلى الوراء. وبينما كان مغلفًا بالإشعاع الدافئ للصورة الوحيدة التي حُرِّم عليه التقاطها، تسرَّبت كل طاقة من جسده المرهق.

***

كان قد رآها في نومه الخاطف هناك.

لون جلدها أخضر باهت. وجسدها يتقلّب أمامه في تلك اللحظة كما لو كان ورقة شجرةٍ قد سقطت من غصنها آخذة في

الذبول، ولا أثر للبقعة المنغولية على ردفَيها، وبدلًا منها كانت قد غطّت جسدها تلك الخضرة الباهتة تمامًا.

استدار إلى الناحية الأمامية لجسدها. ضوءٌ مبهرٌ ينبعثُ من جسدها العاري -كان مصدره وجهها- ولم يستطع أن يرى الجزء الذي يعلو صدرها. وبكلتا يديه باعد بين ساقيها. بدت مستيقظة، فقد كان فخذاها متباعدَيْن في استرخاء. وخلال اقترابه لولوجها، كان جسمها قد بدأ يفيض بالأخضر الباهت، بدءًا من تلك المنطقة الحساسة أعلى فخذيها، في ما يشبه هطول أوراق شجر كالحة. كانت رائحة الصمغ المرّ تنبعث تدريجيًّا من الأسفل حتى إنه كان يتنفّس بصعوبة. عندما فرغ كان قد وجد عضوه باللون الأخضر تمامًا. وكان الصمغ الأسود، المنبعث منه أو منها، يلطّخ جلده من أسفل معدته إلى فخذيه.

***

مرة أخرى، كانت هي على الناحية الأخرى من سماعة الهاتف، لا يصل منها إلا الصمت، قال:

«... يا شقيقة زوجتي الصغرى!».

«نعم».

يا له من حظ طيب! فلم تستغرق وقتًا طويلًا للرد. بدتْ مسرورةً تمامًا في ردّها؟ لم يكن واثقًا من ذلك.

«هل أخذتِ قسطًا مناسبًا من الراحة أمس؟».

«نعم».

«أنا... أنا... هناك شيء أريد السؤال عنه».

«تفضل».

«الرسومات التي على جسمك، هل أزلتِها من دون قصد؟ ».

«لا».

أخذ نفسًا طويلًا ثم قال:

«أيمكن ألّا تقومي بإزالتها؟ حتى الغد فحسب. لا يزال هناك جزء ثانٍ. فعلى ما يبدو سنقوم بالتصوير مرة أخرى».

ربما كانت تضحك. كان يتمنّى لو رأى ابتسامتها تلك عبر خط الهاتف الذي لن يُمكّنه من ذلك.

«... لم أرغب في إزالتها، فلم أغسلها».

ثم أضافت:

«بسبب بقائها على هذا النحو لم تعاودني الأحلام. لو امَّحت في ما بعد، سأكون ممتنّة لو رسمتها ثانيةً».

لم يستطع أنْ يفهم مقصدها تمامًا. قبض بقوة على سماعة الهاتف في يده، متمتمًا: «حسنًا!». قد تسمح بما يريده مع ذلك الشخص! قد تسمح بتنفيذ ما يفكر فيه!

«لو سمح وقتُكِ غدًا، أيمكنك الحضور إلى هناك مرة أخرى؟ في الاستديو بمنطقة سون باوِي».

«... طيب».

«لكن، سيأتي شخصٌ آخر؛ رجلٌ».

«...».

«سيخلع ملابسه أيضًا وسأقوم برسم الورود على جسده. ألا بأس في ذلك؟».

كان ينتظر ردها. حتى تلك اللحظة كان صمتها ينطوي على قلق ما. وبتأمل هذا الأمر لم يكن مستريحًا تمامًا.

«... طيب».

وضع سماعة الهاتف، وشبك قبضتَيْ يديه معًا وشدّ عليهما، ثم تمشّى في غرفة المعيشة جيئةً وذهابًا؛ ابنه يذهب إلى روضة الأطفال، وزوجته تخرج إلى المحل، وحتى عودة ابنه في الثالثة يكون المنزل خاويًا. تردد في ما قد يقوله لزوجته، فاتصل بشقيقتها الصغرى أولًا. لكن الأمر لا يمكن تأخيره أكثر من ذلك، ولذا اتصل بزوجته، وبصوت ممتزج ببرودةٍ سألته:

«أين أنتَ؟».

«في البيت».

«هل سارَ عملك على ما يُرام؟».

«لم ينتهِ بعد. حتى ليلة الغد سأكون مشغولًا على ما يبدو».

«حسن... إذًا استرِحْ جيدًا».

أغلق الخط. متمنيًا لو كانت زوجته مثل بقية الزوجات يمكنها أنْ تصرخ عندما تحسّ بالغضب، وأنْ تسيء إليه وتسبّه، فلو فعلت مثل ذلك لاستراح قلبه. لكنها بدت له الآن مستسلمة أو خائبة الرجاء فيه. فآثار كبتها الكئيب للاستسلام تُشعِره بالازدراء. لم يكن يعلم إن كانت محاولاتها اليائسة لأنْ تكون متفهِّمة ومهتمَّة شيئًا حسنًا أم سيئًا. أو ربما هو شخص غير مسؤول ولا يهتم سوى

بنفسه. لكن في هذه اللحظة، كان يرى في صبرها ونياته الطيبة أمرًا بغيضًا. بل الأدهى من ذلك أنّ الجانب السيء فيه كان يريد أنْ يذهب بالأمور إلى وضعية أكثر تعقيدًا!

حالما انقشعت تلك الزوبعة من المشاعر المختلطة التي تتضمن تأنيب الذات والندم والتردد، تابع المضي قدمًا في تنفيذ مخططه وضغط أرقام هاتف «ج» متصلًا به:

«سون بيه! هل ستأتي مساء اليوم؟».

«لا».

وتابع قائلًا:

«أمس بقيتُ أعمل طوال الليل، وأستريح اليوم قليلًا».

«حقًّا؟».

إنه في العشرينات من عمره، وفي ما يتعلق بالجانب الخاص بتكوينه الجسدي، يبدو صغيرًا وواثقًا من نفسه ومرتاحًا، وملابسه لا تظهر قوته بقدر ما تبرز بناءه الجسدي الصلب الجاف. كان قد رآه هكذا من الداخل معتقدًا أنه الشخص المناسب.

«نعم. هل أستطيع أنْ أطلب منك خدمة؟».

«أيّ خدمة؟».

«هل لديك وقتٌ غدًا؟».

«عندي موعد في مساء الغد».

لم يكن «ج» يعرف السبب. لكنه شرح له كيف يصل إلى عنوان استوديو «م». «لو سمح وقتك بعد الظهر فهذا مناسب، لن يستغرق الأمر حتى المساء»، كان على وشك أنْ يتحدث هكذا إلى «ج»، ولكنه غيّر رأيه وخاطبه قائلًا:

«أنتَ! لقد قلتَ إنك تريد أنْ ترى ذلك العمل!».

فأجاب «ج» بأريحية:

«بكل تأكيد!».

«أنا ذاهبٌ إلى الاستديو الآن». ثم أغلق الخط.

ليلة أمس، حرّر شريط فيديو كي يعجب «ج» صاحب الذوق المدقّق الرفيع، خاصة وهو ينتظر بفضول ما يتعلق بهذا العمل، علاوة على أنه يشاركه استخدام المكان، وها هو مؤخرًا يطلب خدماته.

«ج» صاحب شخصية طيّعة ولذا فمن الصعب أنْ يرفض ببساطة. لم يكن متأكدًا، ولكنه متفائل، ومع ذلك وضع كل الاحتمالات الأخرى في الحسبان.

***

وصل «ج» مبكرًا قبل الموعد المتفَق عليه. ورغم أنه صاحب شخصية «خذ الأمور ببساطة»، هو يتكلم دائمًا بصوت جهوريّ وفي حالة استراخاء إلا أنه اليوم فحسب بدا متوترًا نوعًا ما.

«أنا أرتعد!».

أعدّ له كوبًا من القهوة، وبينما يقدمه له كانت تدور في مخيلته صورة «ج» وقد خلع ملابسه، فأحسّ بالرضا، لأنه بدا مناسبًا جدًّا للشقيقة الصغرى لزوجته.

بعد ظهر أمس، كان «ج» متحمسًا بعد أنْ شاهد شريط الفيديو:

«هذا لا يُصدَّق... إنه أشبه بالسحر! «هيونغ[1]» كيف واتتك

---

(1) لقب يستخدمه الصغير عندما ينادي الأكبر سنًا منه في إطار علاقة مودة تسمح بذلك لأنه تقريبًا يعني الشقيق الأكبر. (المترجم).

مثل هذه الفكرة؟ في الحقيقة، طوال ذلك الوقت كنت أعتقد بأنك شخص عاديّ... حسنًا، أنا مدين لك بالاعتذار...».

لم يحس في صوت «ج» ونظرة عينيه بشيء عادي ولو قليلًا، فقد كان واضحًا أن ذلك الشاب قد كوّن انطباعًا جيدًا.

«كيف تسنى حدوث مثل هذا التغيير؟! ماذا أقول بشأنه؟ إنه أشبه بشيء قد التقطك ثم رفعك عاليًا لعالم مختلف تمامًا ثم وضعك هناك... وهذه الألوان!».

رغم أنه كان يصدّ كلمات الثناء الاعتيادية من ذلك الشاب الصغير «ج»، لكنه وجد ما قاله صحيحًا. فلم يغفل عن الإحساس بتلك الألوان مؤخرًا. هو نفسه أحسَّ بجمالها بالطبع من قبل؛ الألوان التي تدفقت من أعماقه بكثافة، والتي نبضت داخل جسمه بحيوية استوعبته كله. حيوية كامنة داخله تفوق قدرته على تحملها، فتتدفق خارجةً تاركةً إياه مع إحساس جديد تمامًا.

«كنتُ مُظلمًا!»، كانت هناك أوقات أراد فيها أنْ يعبّر عن إحساسه على ذلك النحو. لقد اعتاد أنْ يكون مظلمًا، بل وأن يكون في المكان المظلم. خبرته في تجريب تلك الألوان في هدوئها وجمالها أشعرته بأنه كان مغيَّبًا في عالم الأبيض والأسود، الذي لم يعد يستطيع العودة إليه ثانيةً. فالسعادة الغامرة التي منحه إياها صمت السلام ذاك، قد نفدت إلى الأبد، لكنه لم يستطع أنْ يحس حيال الأمر بالخسارة. الآن في هذه اللحظة، كان من الصعب عليه أنْ يقف ساكنًا أمام هذه الطاقة؛ وأمام التحفيز والألم اللذين يمنحهما هذا العالم الحادّ له!

متلقيًا طاقة الثناء التي منحه «ج» إيّاها؛ تورَّد وجهه حياءً حيالها، لكنه استطاع في النهاية أنْ يقول ما يريده. اطّلع «ج» على ملصق برنامج عروض الرقص وكراس الرسم الخاص به طالبًا منه أن يقوم بدور «الرجل المؤدّي» كما في تلك الرسومات، فارتبك «ج» على الفور:

«لماذا أنا تحديدًا بحق السماء؟ هناك مؤدّون محترفون كثُرٌ، أو ممثلو مسرح...».

«يعجبني جسدك. أيّ جسد فيه لين ونعومةٍ لن يكون مناسبًا. أنتَ مناسبٌ تمامًا».

«إذًا، ستقوم بتصويري في تلك الأوضاع مع تلك المرأة؟ لا أستطيع ذلك».

لأجل أنْ يسترضي «ج»، تحدث إليه مازجًا بين الاستعطاف والمديح والترغيب قائلًا:

«لن يعرف أحدٌ بذلك، وبالتأكيد لن يظهر وجهك. ثمّ، ألا ترغب في مقابلة هذه المرأة؟ ناهيك عن وجودك ضمن هذا العمل المُلهم!».

بعد أن أمضى «ج» ليلته في التفكير، اتصل به في صباح ذلك اليوم مبديًا موافقته. ولأنه لم يكن قد أخبره بالتفاصيل بعد، فلم يكن «ج» في قرارة نفسه قادرًا على مجرَّد تخيل ذلك المشهد الجنسي بالفعل.

***

«أليستْ متأخرة قليلًا؟».

سأله «ج» بينما ينظر ناحية النافذة. كان واضحًا أنه هو نفسه

قد اعتراه القلق أيضًا. لقد قالت إنها تستطيع الوصول إلى هنا بمفردها، ولذلك بقي في انتظارها ولم يذهب إلى محطة المترو.

«حسنًا! أنا ذاهب إلى الخارج».

بينما كان يلتقط الجاكيت بيديه، سمع صوت طرق على الباب الزجاجي الشفاف.

«آه، ها قد وصلت».

وضع «ج» كوب القهوة.

جاءت مرتدية سروال الجينز الذي لبسته ذلك اليوم مع جاكيت أسود ثقيل هذه المرّة. شعرها كان معقودًا. ومع أنه لم يكن مصبوغًا، فقد كان لونه الأسود الطبيعي لامعًا جدًا. كما بدا مبتلًا. نظرت إليه أولًا ثم نظرت إلى «ج» ثم ابتسمت.

تحسّست شعرها قائلة:

«بدا أنّ الرسم الذي على رقبتي سيزول... لذلك لففته بحرص».

ابتسم «ج»، إذ يبدو أن مظهرها البسيط بشكل مفاجئ تمامًا قد جعله أكثر ارتياحًا.

توجّهت إلى «ج":

«اخلع ملابسكَ».

رد «ج» وقد اتسعت عيناه:

«أنا؟».

«لقد قمت بالرسم على جسدها، وعليَّ أنْ أرسم على جسدك. هذا ما في الأمر».

استدار «ج» وخلع ملابسه.

«عليكَ أنْ تخلع السروال أيضًا».

على استحياء، خلع «ج» سرواله وجورَبَيْه أيضًا.

على غير ما توقع تبين له أن جسد «ج» كان نحيلًا؛ دونما عضلات أو شحوم. ومن البطن نزولًا حتى أعلى الفخذين، باستثناء اللحم والجلد الناعم الأبيض، هناك شعر كثيف نابتٌ. لقد أحسّ بأنه يحسد «ج» على مثل ذلك الجسد.

مثلما فعل معها تمامًا، طلب من «ج» أن يستلقي، وبدأ برسم الورود على قفاه، وقد اختار الأزرق الفاتح هذه المرة، ثم رسم باللون الأرجواني الخفيف زهرة الكوبيه، وقد أحسَّ بأنها تتداعى على ظهر «ج» كما لو كانت قد اقتلعتها عاصفة. ولكي يفرغ من رسمه في أقصر وقت ممكن، استخدم فرشاة كبيرة.

«استدِر بجسدك».

جعل من عضو «ج» مركزًا، وقام برسم زهرة واحدة كبيرة باللون القرمزي، فبدا شعر عانته الأسود كما لو كان كأس الزهرة، بينما بدا عضوه كمدقّها. كانت لا تحرك ساكنًا وهي تحتسي بعض الشاي جالسةً على الأريكة تتابع ما يقوم به باهتمام. عندما كان يضع الفرشاة جانبًا اكتشف أنّ عضو «ج» قد انتصب بشكلٍ ما.

نهض ملتقطًا أنفاسه، فقد بقي الكثير ليتم عمله؛ غيّر شريط الفيديو بآخر جديد، والتفت نحوها قائلًا:

«اخلعي ملابسك».

ومن دون أي مظهر توتر، خلعت ملابسها. اليوم لم تكن أشعة

الشمس قوية بنفس الدرجة مثل اليوم السابق. لا تزال الورود الذهبية التي رسمها في وسط صدرها تتلألأ لامعة، وفي حالة تقابل مع رسومات «ج»، وقد كان سلوكها متّسمًا بالهدوء، كما لو كان من التلقائي تمامًا بالنسبة لها أن تظل عارية من دون ارتداء ملابس. جثت على ركبتيها، فبدا من ملامح «ج» أنها قد سلبته لبَّهُ لوهلة، لكن ذهنه لم يشرد.

من دون أن يطلبَ منها، اقتربتْ من «ج»، الذي كانت هيئة جسمه في وضعية الجلوس على ركبتيه فوق الملاءة البيضاء. كان هناك شيء كئيب بيّنه ذلك التقابل بين وجهها الصامت وجسدها المشرق.

سأله «ج»:

«ماذا نفعل الآن؟».

ربما بسبب أنه لم يكن يعلم ما الذي ينبغي عليه القيام به في وضعية القيادة بذلك الموقف، تورَّد وجه «ج»، وانتصب عضوه ثانية.

«أجلسها على ركبتيكَ».

آثر أنْ لا يشير إليها بـ«الشقيقة الصغرى لزوجته»، فذلك ما لا يعرفه «ج»، وبكل أريحية نعتها بـ«هي». الآن قام بحمل كاميرا الفيديو مقتربًا منهما. كانت في وضعية الجلوس على ركبتي «ج»، فإذ به يصيح من دون صخبٍ:

«قرِّبها منكَ أكثر!».

سحبها «ج"من كتفيها بيدين مرتعشتين.

«اللعنة! ألم تقم بذلك من قبل، حاول أنْ تمثّل، تحسَّس صدرها».

مسح «ج» جبهته بظهر يده. آنذاك. دارتْ من خلفه بهدوء تام ثم امتطته. بإحدى يديها طوقت رقبته، ثم باليد الأخرى بدأتْ تملّس الوردة الحمراء على صدره. ليس في المكان سوى أصوات أنفاس ثلاثتهم، بينما الوقت يمر من دون أن يحسب له أحد حسابًا. انتصبت حلمتا «ج» بهدوء كما تصلّب عضوه. في النهاية، كما لو كانت رأت ذلك الشخص في تلك الأوضاع الحميمة برسوماته من قبل. وكطائرين يتعانقان، حكّت رقبتها برقبته.

«جيّد. حقًّا جيد».

قام بالتصوير من زوايا عديدة. ثم في النهاية وجد أكثر الزوايا استحسانًا لتصوير المشهد.

«جميل... استمرا. استلقيا فوق بعضكما على ذلك النحو».

بنعومةٍ دفعت صدر «ج» ليستلقي فوق الملاءة، وبيديها مالت منبطحة، ثم راحت تداعب الزهور الحمراء على أسفل بطنه واحدةً تلو الأخرى.

لكنه عاد وحمل الكاميرا ودار حولها من الخلف، والورود الأرجوانية الغامقة متناثرة على ظهرها، بينما البقعة المنغولية تتماوج مع حركاتها. ثم قال في قرارة نفسه وهو يكزّ على أسنانه:

«هكذا، نعم هكذا سيكون حسنًا».

كان عضو «ج» منتصبًا تمامًا، ولهذا السبب بدا مقطّب الجبين. دارت بجسمها في خفة وهدوء، وعلى صدر «ج» تمطّت بصدرها

ملتصقة به. ثم تحركت رافعة ردفيها إلى أعلى، بينما هو في وضعية تصوير جسَدَيْهما من الجانب. وقد كان هناك فراغ أبيض في المسافة بين أسفل بطن «ج» وانحناءة ظهرها الذي بدا أشبه بظهر قطة. وفي الأعلى عضو «ج» المندفع، فداهمه إحساس غريب بأنهما ظهرا كنبتتين هائلتين في التحام جسدي. وبينما كانتْ بخفّةٍ وهدوء ترفع جسدها لتجلس فوق «ج» بشكل مستقيم، تمتم قائلًا:

«ربما... أقصد ربما».

متطلعًا إليها وإلى «ج» أكمل قائلًا:

«أيمكنكما فِعل ذلك بشكل كامل؟».

لم يبدُ على وجهها ما يدل على الاستهجان. بينما نهض «ج» كما لو أن هناك سخونة ما لفحته من جهتها. ثم جثا على ركبتيه لكي يخفي عضوه المنتصب قائلًا:

«ما هذا؟ هل ستصوّر فيلمًا إباحيًّا؟».

«إنْ لم تشعر بذلك ولا تريد أن تفعله فلا بأس إطلاقًا. لكن إن كان ذلك ممكنًا بشكل تلقائي وطبيعي...».

«سأكتفي بهذا القدر!».

ثم نهض «ج» بالفعل.

«انتظر قليلًا. لن أطلب منك أن تفعل شيئًا أكثر. افعل كما كنت تفعل الآن فحسب».

ثم جذب «ج» من كتفه بقوة مبالَغ فيها نوعًا ما وأكبر مما كان ينوي. فامتعض «ج» وأزاح يديه بعيدًا.

«مهلًا! لا تتصرف على هذا النحو».

صوته المستحث ذو النبرة الاستعطافية هدّأ من روع «ج» بشكل ما.

«أتفهّم ذلك... أنا أيضًا أعمل في المهنة ذاتها. لكن، لا يمكن القيام بهذا. وماذا بشأن هذه المرأة؟ إنها لا تبدو كعاهرة. حتى لو كانت عاهرة، أيمكنها القيام بذلك؟».

«فهمتُ. فهمتُ ذلك حقًّا. أنا آسفٌ.. أرجوك لا تتوقف».

رجع «ج» إلى الملاءة مرة ثانية. وكانت فورة الحميمية الجسدية التي شكّلت الجو العام هناك قبل قليل قد بهتت تمامًا. على الفور، وبملامح وجه جافّة، احتضنها ثم طرحها على الملاءة. بينما كان جسداهما يلتفان كورقتي شجرة، أغمضتْ عينيها. كان يعتقد آنذاك لو أنّ «ج» ولجها لما أبدتْ أيّ اعتراض.

«حرِّكا جسدَيْكما على هذا النحو».

ببطءٍ تحرك«ج» بجسمه إلى الأمام ثم الوراء بأفضل ما يمكنه، محاكيًا القيام بوضع حميمي مكتمل. كان يرى باطن قدميها تلتفان نحو الأعلى ويديها تطوّقان خصر «ج» بغنج. كان جسدها مفعَمًا بالحيوية بينما كان جسد «ج» هامدًا بشكل ملحوظ. استمرا على ذلك النحو، وقد أحسّ بالوقت يمضي بسرعة. لكن قرابة العشر دقائق على ذلك الوضع كانت صعبة جدًا بالنسبة لـ«ج»، وقد تمكّن خلال تلك الفترة من تصوير مشاهد من زوايا جيدة لذلك الشريط.

سأله «ج» بينما يتوهّج جسده، من دون أن يكون السبب في ذلك الإحساس بالاستثارة الجنسية:

«هل انتهينا الآن؟».

«مرة واحدة أخرى فحسب... هذه آخر مرة».

ابتلع «ج» ريقه الجافّ.

«من خلفها، اجعلها تنبطح على بطنها. هذا بالفعل آخر مشهد. هذا أهم مشهد. لا تقُلْ إنك لن تستطيع!».

انفجر «ج» في ضحك يشبه البكاء قائلًا:

«لقد انتهيتُ. انتهيتُ حقًا. سأتوقفُ قبل أنْ يصير الوضع أسوأ. هذا القدر من الإلهام يكفيك. لقد أدركتُ الآن بالفعل ما يحسّه ممثلو الأفلام الإباحية. أمر في غاية البؤس!».

حاول أنْ يضع يده على كتف «ج» لكنه أزاحها وشرع في ارتداء ملابسه. كزّ على أسنانه. فعمله ما زال لم يكتمل؛ فتلك الزهور الدوّامية قد اختفت تحت قميص «ج» أمام ناظريه الآن.

«ليس لأنني لا أتفهّم موقفك... لا تتهمني بأني شخص ضيّق الأفق. لقد أدركتُ بنفسي اليوم أني أكثر انصياعًا مما كنت أحسَبني. لقد فعلتُ ذلك بدافع الفضول، ولكن التعامل مع هذا الأمر مُتعبٌ إلى أبعد حدٍّ. هناك أشياء أريد القيام بها لأجل نفسي... لكني في حاجة لبعض الوقت أولًا. سون بيه! أنا آسف».

كان واضحًا أنّ «ج» صادق. لكنه بدا مجروحًا بالفعل. حنى «ج» رأسه بالتحية، وألقى نظرة عابرة باتجاهها وكانت واقفة بالقرب من النافذة، ثم مضى في عبوسٍ متّجهًا نحو الباب.

«أنا آسفٌ». ومضى.

بينما كان هدير سيارة «ج» يشير إلى رحيله، خاطبها معتذرًا.

كانت ترتدي السُّترة ولم تردّ عليه. كانت تضع ساقيها في سروال الجينز، ثم بعد ذلك وضعت الجاكيت عليها من دون أن تقفل سحّابه. تنسمت بعض الهواء وراحت تقهقه ضاحكةً.

«لماذا تضحكين؟».

«أنا مُبتَلّة تمامًا...».

تطلع إليها، شعر بالدوار وكأنه قد تلقّى ضربة على رأسه للتو. بدت في هيئة مَن لا حيلة له، فلم تجرّ سحّاب الجاكيت إلى أعلى ولا إلى أسفل وظلت واقفة هناك في تردد. أدرك ساعتها أنه ما زال يحمل كاميرا الفيديو. وضع الكاميرا وخطا خطوات واسعة نحو الباب الذي كان «ج» قد تركه مفتوحًا قبل قليل، وأغلقه. ثم أقفله من الداخل بسلسلة الأمان أيضًا، وسار مسرعًا كما لو كان يركض. بدت مغشيًا عليها فوق الملاءة. جذب سروالها حتى الركبة تقريبًا، فإذ بها تخاطبه:

«لا تفعل هذا».

لم يقف رفضها عند الكلام فحسب، بل دفعته بقوة ونهضت واقفة وارتدت سروالها، ثم زرَّرت سترتها وجرّت سحّاب الجاكيت وهو يتطلع فيها. نهض واقفًا وخطا بالقرب منها ودفع جسدها الذي لا يزال ساخنًا قبالة الحائط. لكن عندما ضغطت شفتاه شفتيها محركًا لسانه نحوهما دفعته ثانية.

«لماذا لا نفعل؟ ألأنّي زوج شقيقتك الكبرى؟».

«ليس هذا هو السبب».

«قلتِ إنك مُبتلّة تمامًا!».

«...».

«هل أعجبك هذا الصبي؟».

«ليس هكذا.. إنها الورود...».

«الورود؟».

على الفور بدا وجهها شاحبًا بشكل مخيف. وقد عضّت شفتها السفلية الحمراء تحت أسنانها من فرط القلق، وبينما ترتجف قالت:

«لقد أردتُ فعلًا القيام بذلك... لم أرغب في ذلك على هذا النحو من قبل. إنها تلك الزهور التي على جسمه... لم أستطع أنْ أقاومها. هذا كل ما في الأمر».

كان يشاهدها بينما استدارت بظهرها نحوه متجهة إلى الباب في مشية محتدّة، ثم وضعت قدميها في الحذاء الرياضي.

«لو فعلتُ ذلك...».

خاطبها وقد أحسّ أنه غير قادر على أنْ يجعل صوته أكثر حدّة:

«لو رسمتُ ورودًا على جسمي، أَتَقْبَلينني ساعتها؟».

التفتت إليه في خجلٍ.

«بكل تأكيد».

هكذا فهم من عينيها ذلك المعنى الذي لا يُفهم سواه. بل، لقد أحسّ بذلك على الأقل.

«وهذا... لا مانع عندكِ من تصويره؟».

ابتسمتْ ابتسامة باهتة، فأحسّ كما لو أنه ليس هناك شيء

تعجز عن القيام به، أو أنّ كل الأشياء الأخرى، وفي غاية الهدوء، أصبحت تافهة.

***

أتمنّى لو أنني متّ.
أتمنّى لو أنني متّ.
مُتْ إذًا.
مُتْ فحسب.

لم يكن يدري لماذا كل تلك الدموع المنهمرة من عينيه. أمسك بعجلة القيادة بإحكام وشغل المسّاحات الأمامية لعدة دقائق حتى أدرك أن السبب ليس في الزجاج الأمامي بل في عينيه هو. لم يستطع أنْ يتعرف على سرّ ترديد تلك العبارات في رأسه دونما توقف «أتمنى لو أنني متّ»، كما لو كانت أمرًا يجب تنفيذه! كما لو أن هناك شخصًا آخر يقول تلك العبارات، فيسمعها ثم يرددها. ومن ثم لم يفهم معنى الغضب الذي صاحب عبارة «مُتْ إذًا» التي رددها باستمرار. كما لو أنّه حوار لأشخاص آخرين، وهو يردده كأمر واجب التنفيذ من دون أنْ يدرك له مغزى.

أحسّ في صدره، لا، بل في كل جسمه، بنيرانٍ تخمدُ، ففتح زجاج شبابيك السيارة على آخرها. ووسط نسمات الليل وزئير السيارات مضى مسرعًا على الطريق الرئيس المُظلم. وقد سرت رعشة في جسمه كله بدءًا من يديه، فكزّ على أسنانه وقبض بإحكام على عجلة القيادة. وقد كان يندهش بشدة في كل مرة ينظر فيها إلى عداد السرعة، ويفرك عينيه بأصابعه المرتعدة.

***

مرتديةً فستانًا من قطعة واحدة وفوقه سترة من الصوف كانت «ب» تمشي ناحية مدخل عمارتها السكنية. كانت «ب» قد واعدته لقرابة الأربع سنوات ثم تزوّجت من أحد زملاء الدراسة من المرحلة الابتدائية، الذي تمكن من اجتياز اختبارات نقابة المحامين. كان زوجها يتحمّل مسؤوليته في إعالة الأسرة. لكنها، ومع المضيّ قدُمًا في زواجها، كان لها أيضًا عملها الخاص. فقد نظّمت عددًا من المعارض الفنية وصارت لها سمعة طيبة بين عشاق جمع اللوحات الفنية بمنطقة «كانغ نام»، وهو ما أثار حفيظة بعض المحيطين بها ليتقوَّلوا عليها الأقاويل.

كان جالسًا في السيارة وقد شغَّل مصابيح إضاءة الانتظار، فتعرفت «ب» عليه.

أنزل الزجاج قائلًا لها:

«اركبي».

«يعرفني الكثيرون هنا. بدءًا من حارس العمارة. فما هذا التصرّف بحق السماء؟ وفي هذا الوقت!».

«اركبي أولًا. أريد أنْ أتحدث إليك في أمرٍ ما».

بامتعاض ركبت «ب» وجلست على المقعد المحاذي له.

«لقد مرّ وقتٌ طويل. عذرًا لأني اتصلتُ بكِ فجأة!».

«صحيح. مرّ وقتٌ طويل. هيونغ[1]! ليس هذا أسلوبك. مستحيل أن تكون جئت من فرط الشوق لرؤيتي!».

(1) ينادي الأخ أخاه أو الصديق صديقه المقرب بـ«هيونغ»، وفي حالة نداء الفتاة لشاب على هذا النحو فذلك يعني أنه مقرَّب منها جدًا أو أنه حبيبها (المترجم).

تحسّسَ جبهته ومن دون أي انتظار قال:

«أريد منك خدمةً!».

«تفضَّل ما الأمر؟...ماذا تريد؟».

«ليس هنا، فالأمر يحتاج إلى شرح طويل. لنذهب إلى مرسمكِ. إنه قريب من هنا، أليس كذلك؟».

«يبعد خمس دقائق مشيًا على الأقدام من هنا... لكن لماذا؟».

رفعت نبرتها في وجهه. بدا أن نبرتها الحادة تطالبه بإجابة صريحة بسرعة. كانت دائمًا عصبية. فجأة صار مبتهجًا بسبب حيويتها، وبسبب شخصيتها القوية، التي كان يجدها مضجرة في مرات سابقة. اعترته رغبة مفاجئة في احتضانها، ثم راحت الرغبة فجأة كما أتت. مجرد ذكرى غامضة لشعور قديم.

«مِن حسن الحظّ أن زوجي لديه وردية عمل ليلية. وإلّا، أنا أعلم تمامًا، أنه كان سيحدث سوء فهم».

أضاءت «ب» نور المرسم وقالت:

«أرني كرّاس الرسم الذي كنت تتحدث عنه قبل قليل».

ناولها كراس الرسم، فراحت تتطلع فيه باهتمام بالغ ثم قالت:

«... مُبهِر! أنا مندهشة. هيونغ! لم أكن أعلم أنك تستخدم الألوان على هذا النحو. لكن...».

وبينما تتحسَّس فكّها الحادّ تابعت قائلة:

«هيونغ! هذا ليس أسلوبك. أيمكنكَ حقًّا أنْ تعرضَ هذا؟ لقد

لقبوكَ بـ«راهب مايو[1]». فمن إحساس الراهب إلى صور إباحية مباشرة! لا أنكر أنها تعجبني أنا أيضًا ولكن..».

ثم نظرت إليه من وراء النظارة قائلة:

«هيونغ! أنتَ الآن أيضًا تتحول إلى هذه الدرجة؟ لكن أليس هذا حادًّا جدًّا؟ بالطبع أنا لا أجادلك في ذلك الأمر ولكن...».

لم يكن يريد أنْ يسقط في فخ الجدال معها في تلك اللحظة، فأغمض عينيه وراح يخلعُ ملابسه. اندهشت نوعًا ما، فلم تكن تتصوّر أنه جاّإلى هذا الحد.

أخيرًا أذعنت لرغبته ووضعت الألوان على لوح التلوين ثم أمسكت بالفرشاة وقالت:

«هيونغ! لم أرَ جسدك منذ مدة طويلة!».

سرّه أنها لم تضحك. لكنها عادت وضحكت فجأة، فتقبّل ذلك كما لو كان نوعًا من التَّهكّم القاسي.

بتأنٍّ شديد بدأت «ب» تمرّر الفرشاة على جسده بعنايةٍ. كانت الفرشاة باردةً، وكان إحساسه بالرعشة كالخدَر، كلمسة حانية متواصلة. ثم قالت:

«سأرسمها من دون أنْ تظهر شخصيتي أنا فيها، أنا رسمتُ الكثير من الزهور لأني أحببت ذلك جدًّا ولكنْ... هذه الزهور مفعَمة بطاقتك. سأرسمها على نحو يساير رسومك».

---

(1) مايو هنا إشارة إلى ثورة الثامن عشر من مايو عام 1980م، والتي اندلعت شرارتها من مدينة كوانغ جو في جنوب البلاد ضد الحكم الديكتاتوري القمعي، وقد ضحّى الآلاف بأرواحهم لأجل أن تنتقل كوريا إلى حكم ديمقراطي. (المترجم).

حينما قالت في النهاية: «أعتقد بأني انتهيتُ»، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بكثير.

«شكرًا.. أشكرك كثيرًا».

عبّر عن امتنانه لها، بينما جسده الذي بقي عاريًا لفترة طويلة كان يرتعد من البرد.

«كنتُ أريد أنْ أريك إياها، لكن للأسف ليس عندي مرآة هنا».

نظر إلى الأسفل، نحو صدره وبطنه وساقَيْه وقد غُطِّيَتْ جميعها ببثور الأوزّ التي رسمت عليها ورودًا حمراء كبيرة الحجم.

«إنها تعجبني. لقد رسمتِها أفضل منّي».

«لا أدري كيف يبدو الظهر. فحسب رسوماتك في كراس الرسم، بدا أنك ركزت عليه كثيرًا».

«سيعجبني. ألّا يُعرَفُ مَنْ رسمها؟!».

«لقد حاولتُ ما وسِعَني الجهد أنْ تكون بمثل أسلوبك، ولكن لم يكن بيدي حيلة. فعلى ما يبدو تسرّبَت رائحتي إليها».

«أشكركِ جزيل الشكر حقًّا».

ضحكت «ب» قائلة:

«بصراحةٍ عندما خلعتَ ملابسك من قبل، سرَت فيَّ استثارة ما...».

«فعلًا؟».

شرع في ارتداء ملابسه بينما بدا شارد الذهن. أحس ببعض الدفء بعد أن ارتدى الجاكيت، لكن جسمه كان ما زال متصلّبًا.

«الآن، ولسبب ما...».

«ماذا تريدين أن تقولي؟».

«لا يبدو ذلك صوابًا! هيونغ! منظر جسمك وكل تلك الورود مرسومة عليه... جعلتني أرثو لحالك. لم ينتابني مثل هذا الشعور حيالك أبدًا».

اقتربتْ «ب» منه، وقد تحسّست زرّ القميص العلوي الأخير قائلة:

«قبِّلنِي قبلة واحدة على الأقل. لقد طلبت أن تراني بعد منتصف الليل!».

قبل أن تسمع منه أي ردٍّ، طبعت شفتيها على شفتيه. وقد فاحت رائحة الذكريات على تلك القبلة لمئات المرات. بينما بدا وكأن عينيه تذرفان دموعًا من دون أن يدري السر الذي وراءها؛ أيكون ذلك بسبب ذكرياتهما؟ أو بسبب صداقتهما الآن؟ لو لم يكن الأمر كذلك، أيكون السبب هو تلك الحدود، التي وبشكل مرعب، هو على وشك أن يتجاوزها؟

***

كان الوقت متأخرًا، ولذا لم يضغط زر جرس الباب، بل طرقه بيده، وقبل أنْ ينتظر الردّ قام بدفعه.

في طريقه بدت غرفة المعيشة حالكة الظلام إلّا من ضوء خفيف متسرِّب من زجاج الشرفة الكبيرة، لم يكن كافيًا ليمكّنه من عمل أي شيء، وقد ارتطمت قدمه بخزانة الأحذية.

«هل أنت نائمة؟».

وضع معدات التصوير التي كان يحملها بكلتا يديه قبالة الباب. حالما خلع حذاءه واتجه نحو الفرشة البيضاء. وقد رأى هيئة الشخص القاعد وسط الظلام هناك. ورغم ذلك، كان بوسعه أنْ يعرف أنها عارية.

اقتربتْ منه بجسدها العاري تمامًا. بينما بصوتٍ فيه بعض خشونة ورغبة قال:

«هل أضيء النور؟».

«... تفوح رائحة حلوة. رائحة طلاء الألوان».

متأوّهًا راح يبحثُ عنها في الأرجاء، متناسيًا الإضاءة وكاميرا الفيديو، وكأنما يرتشف الحماسة المتدفقة في داخله. أضجعها على الفرشة بصوت يشبه الزمجرة، وبيدٍ واحدة تحسس صدرها، وراح يمص شفتيها وأنفها بلهفة شديدة أدت إلى اقتلاع أزرار قميصه، إلى أن تمكن من فك بقية الأزرار في الأسفل.

بعد أن تخلّص من ملابسه، باعدَ بين ساقيها ثم ولجها مع صوت تأوه متواصل كما لو كان حيوانًا بريًّا. ارتجف عندما أدرك أنّ هذا الصوت صادر منه هو، إذ لم يسبق له أبدًا أن أخرج مثل هذا الصوت وهو في وضع حميمي، فقد كان يعتقد بأنه صوت غنج خاص بالنساء وحدهنّ في تلك الأوضاع. كان يحس بتشنجاتها وانقباضها المصحوبَين ببللها الداخليِ حتى أكمل ما بدأه ببلوغ قمة النشوة ثم هدأ جسده منطرحًا لاهثًا فوقها.

«أنا آسف».

بدا وجهها رغم الظلام هادئًا، وبدلًا من الرد عليه سألته:

«هل تمانع إذا أضأتُ النور؟».

ردّ بصوتٍ هادئ سائلًا:

«... لماذا؟».

«أريد أنْ أراك بوضوح».

نهضت واقفة تتحسّس موضع مفتاح الإضاءة، ولأن ذلك الوضع الحميمي لم يدم لأكثر من خمس دقائق فلم يبدُ عليها الإرهاق.

وضع يديه على عينيه تحاشيًا للنور الذي أضاءته فجأة، ثم بعد وقتٍ ومن دون أن يفتح عينيه أنزل يديه عنهما، بينما كانت متكئة على الحائط تتطلع فيه، والورود المنثورة على جسده تبدو في غاية الجمال.

في وهلة من الأحساس بنفسه، وضع راحتَيْ يديه على أسفل بطنه.

«لا تفعل هذا... إنها تعجبني. الورود عليه تبدو متجعّدة». مالت عليه، كما فعلت من قبل مع «ج»، في هدوء وببطء حتى لامسته، ثم راحت تتحسّسُ الورود على صدره بأصابعها.

«انتظري قليلًا».

نهض واقفًا واتجه نحو الباب. ثم نصب الحامل ثلاثي القوائم في الوضع المناسب وثبّت كاميرا الفيديو فوقه. ثم أزاح الفرشة نحو الشرفة الكبيرة، وفرش الملاءة البيضاء على الأرضية، وضبط الإضاءة مثلما كانت من قبل في استوديو «م».

«أيمكنكِ أنْ تستلقي؟».

بعد أنْ استلقتْ، حدّد بالتقريب المكان الذي يمكن لجسدَيْهما في الوضع الحميمي بلوغه، ثم ضبط كاميرا الفيديو على هذا الأساس.

بسطت جسدها تحت الإضاءة المبهرة، ثم بعناية كبيرة مدّ جسده فوقها. أكان جسداهما بتلتين ملتفّتين على النحو الذي كانتْ عليه مع «ج» من قبل؟ أيبدوان كما لو كانا وردتين أو حيوانَيْن بريّيَنْ أو إنسانين في جسد واحد؟

كلما غيّرا وضعَيهما، قام بضبط كاميرا الفيديو على الفور. وقبل أنْ يلجها من الخلف، تلك الوضعية التي أثارت حفيظة «ج»، قام بتقريب أبعاد الصورة من ردفيها. ثم بعد أنْ تأكد عبر شاشة الكاميرا من وضعية ولوجه، أكمل الحالة الحميمية للنهاية.

كل شيء كان مثاليًا كما رسمه بالضبط. والورود الحمراء عليه تتفتح وتنغلق على بقعتها المنغولية. وعضوه يتحرك كما لو كان في ميسم لزهرةٍ. كانت أقبح الصور هي أروعها في الوقت نفسه؛ صورة تلك الوحدة الجسَدية البشعة. في كل مرة كان يُغمض عينيه، كان بإمكانه أنْ يرى الطلاء باللون الأخضر على الجزء الأسفل من جسده؛ وصمغ الأغصان بدءًا من فخذيه إلى أسفل بطنه.

في النهاية، استلقى على الملاءة ثم امتطته. بينما زاوية التصوير كانت قد التقطت بقعتها المنغولية.

إلى الأبد. سيحمل كل هذا على كاهله... إلى الأبد... عندما ارتعد جسده غير متحمّل كل ذلك، أجهشت في البكاء، مع أنها لقرابة نصف ساعة لم يصدر عنها أيّ صوت، كانت شفتاها

ترتعدان دائمًا، وعيناها مغمضتان، بينما عبّرت عن نشوة حماستها بحركات جسدها التلقائية. على كل ذلك أنْ ينتهي الآن. عدَّلَ من جسده ليكون في وضعية الجلوس، وبينما ما زال يحتضنها، تحسس أزرار كاميرا الفيديو وأوقف تشغيلها.

قمة الصور لم تكن قد التُقِطتْ بَعد، تلك التي كان يريد تكرارها مرارًا إلى الأبد، ولذا يتوقف التصوير عندها، إذ يكون عمله هذا قد بلغ تمامه. انتظر حتى فرغت من نحيبها ثم امتطاها. في الوضع الحميمي الأخير كانت تصرّ على أسنانها، ثم محتدّة في نبرة تبدو كالمشاحنة صاحت: «**توقّف...**».

ثم شرعت في البكاء من جديد.

بعد ذلك تمكّن الصمتُ من كل شيء.

***

في زرقة ضوء الفجر الحالكة، ظل يلعق ردفيها لفترةٍ طويلة قائلًا:

«ليتني أستطيع نقلها إلى لساني!».

«... ماذا؟».

«هذه البقعة المنغولية».

في هيئة بدا الاندهاش فيها واضحًا على جسدها، استدارت ناظرةً إليه، بينما تابع قائلًا:

«كيف تسنّى لها أنْ تبقى على ردفيكِ حتى الآن؟».

«... لا أعرف. كنت أعتقد بأن كل الناس كذلك، ولكن ذات

يوم وأنا في الحمّام العمومي... لاحظت أنني كنتُ الوحيدة التي على ردفيها تلك البقعة».

أمسكها من خصرها بيديه، وراح يملّس على البقعة المنغولية متمنيًا لو تشاركها معه على جلده.

«أريدُ أنْ أبتلعك في جوفي، فتذوبين وتجرين في عروقي».

تمتمتْ بصوت كان بالكاد مسموعًا:

«... ألن يعاودني الحلم بعد الآن؟».

«الحلم؟ آه. الوجه... صحيح. لقد قلتِ إنه وجه».

ثم قال بينما يحسّ بالنعاس يزحف تدريجيًا داخله:

«أيّ وجه ذاك؟ وجه مَنْ؟».

«إنه مختلفٌ دائمًا... أحيانًا يبدو مألوفًا، وأحيانًا أخرى يبدو غريبًا كأني أراه للمرة الأولى. أحيانًا يبدو مُلطخًا تمامًا بالدماء. وأحيانًا يكون وجهًا لجثة متعفّنة».

بعينين ثقيلتين غلبهما النعاس نظر في عينيها، بينما لم يبدُ عليها أي آثار للتعب، وبعينين مضطربتين رمقته بنظرة قصيرة جدًّا:

«ظننتُ أن ذلك بسبب اللحوم».

ثم تابعت قائلة:

«كنتُ أعتقد بأنني لو امتنعتُ عن أكل اللحوم فقط، لن يظهر هذا الوجه، لكن ذلك لم يفلَح».

كان يعتقد أنه يجب عليه التركيز على ما تقوله، لكنه لم يستطع فتح عينيه المتثاقلتين.

«... أنا أعرف الآن. إن ذلك الوجه قابع في أحشائي. إنه يبزغُ منطلقًا من أحشائي».

ومن دون أنْ يُدركَ أي شيء من كلماتها التي بدت له وكأنها تهويدة، لم يستطع أن يحرّك ساكنًا حتى غلبه النوم في النهاية.

«الآن لم أعد خائفة. لن يكون الأمر مخيفًا بعد الآن».

***

عندما استيقظ، كانت أشعة الشمس مشرقة، بينما لا تزال هي نائمة. شعرها الأشعث منسدلٌ كعُرف حيوانٍ، والملاءة المُكَرمَشة تلفّ جسدها الذي فاحت رائحته في أرجاء المكان؛ مزيج من رائحة حارّة منعشة مع رائحة زكية لا تخلو من المرارة، كل ذلك كان يملأ جوفه.

كم كانت الساعة حينئذ؟ التقط الهاتف المحمول من جيب الجاكيت، كانت الواحدة بعد الظهر. لقد نام في السادسة صباحًا، هذا يعني أنه استغرق في النوم لسبع ساعات متواصلة. ارتدى لباسه الداخلي وسرواله أولًا. ثم بدأ يرتب معدّات التصوير ومصابيح الإضاءة والحامل ثلاثي القوائم، غير أنه لم يرَ كاميرا الفيديو. كان يتذكر أنه وضَعَها بجوار الباب بعد أن فرغ من التصوير لكن لا أثر لها في المكان.

ربما أنها استيقظت في الصباح وأرادت أن تنظف المكان فوضعتها في المطبخ. وقبل أن يبحث وراء حوض الأطباق، وقعت عيناه على شيء لفت انتباهه على الأرض؛ شريط الفيديو مقاس 6ملم. أحسّ بشيء غريب! وعندما بلغ الحائط غير المثبّت،

اكتشف أن امراة كانت تجلس على طاولة الطعام، وقد لمح رأسها من الخلف؛ كانت زوجته!

كانت تضع صندوق طعام ملفوفًا بجانبها، ممسكة بهاتفها المحمول بيدها، بينما كاميرا الفيديو تحت الطاولة ومكان وضع الشريط فيها مفتوح. لا بد أنها سمعت صوته قادمًا لكنها لم تتفوه بكلمة.

«حبيبـ...».

لم يكن يصدق أنه في مثل هذا الموقف، ثم بإحساس الموشك على الإغماء قال:

«حبيبتي».

عندئذ رفعت رأسها ونهضت واقفة. لكنها لم تكن متجهة نحوه أو إلى مكان بالقرب منه، بل كانت تريد أن يكون هناك ما يحول بينهما، ثم في غاية الهدوء قالت:

«لم أسمع أي شيء من يونغ هيه... وقد أحضرت لها بعض الخضروات الطازجة قبل ذهابي إلى المحل».

كان صوتها حادًا تمامًا، وكانت تصارع في داخلها لتبقى متماسكة. كان يعرف تلك النبرة جيدًّا. نبرة متباطئة ومنخفضة وضئيلة تدل على أنها تبذل جهدًا لتتغلب على مشاعرها المحتدّة.

«كان الباب مفتوحًا فدخلتُ، وقد رأيتُ جسد يونغ هيه مغطى بالألوان تمامًا بشكل غريب جدًّا. حتى تلك اللحظة لم ألحظ وجهك ناحية الحائط هناك، بينما اللحاف يلفّ جسمك كله فلم أستطع التعرف عليك».

كانت زوجته لا تزال تَمسك بهاتفها المحمول، وقد أزاحت شعرها إلى الوراء بيدين مرتجفتين بوضوح.

«ذلك الرجل الذي صارت ليونغ هيه علاقة به، وجسدها على ذلك النحو كما لو أنها أرادت أنْ تمضي في جنونها ثانية، وددتُ لو تغافلت عن كل ذلك وخرجتُ ولكن... لم أعرف من هذا الرجل، وكان لزامًا عليّ أن أحميها... ثم لمحتُ كاميرا الفيديو عند الباب، وعلى نحو ما علّمتَني من قبل، شغّلت الشريط».

كانت تمارس ضبطًا رهيبًا للذات، معتصرة كل مقدار من الشجاعة لكي تواصل الكلام:

«ثم رأيتك فيه».

كانت عيناها تعبّران عن صدمة مختلطة برعب يصعب وصفهما. إنهما معًا بالفعل. كان يرى تعبيرات وجهها تنم عن إحساس متبلّد. أحسّ بأن جسده العاري يصيبها بالقرف، فبحث عن قميصه بأسرع ما يمكنه.

وجد القميص مكرمشًا في الحمام، وبينما يضع ذراعيه ليرتديه قال:

«حبيبتي! سأشرح لك الأمر. أعلم أن استيعابه ليس سهلًا ولكن...».

فجأة قاطعته زوجته بصوت مرتفع قائلة:

«لقد اتصلت بخدمات الطوارئ الطبية».

«ماذا تقولين؟».

بوجه مترنّح يبدو عليه الإعياء، تجنبَت محاولته الاقتراب منها بالتراجع إلى الخلف، ثم قالت:

«يونغ هيه، وأنت أيضًا، في حاجة إلى تلقّي العلاج».

أدرك بعد بضع ثوانٍ مرّت أنها كانت جادة.

«... أستضعينني في مصحة الأمراض العقلية؟».

في تلك اللحظة، كان هناك صوت آتٍ من فوق الفرشة، فحبس هو وزوجته أنفاسهما؛ لقد أزاحت الملاءة، وكانت لا ترتدي أي شيء، وقد رأى الدموع تنهمر من عيني زوجته.

«وغد!».

قالتها بينما تبتلع دموعها، ثم بصوت عالٍ قالت:

«عقلها ما زال لم يتعافَ... كيف تسنّى لك؟».

كانت شفتا زوجته ترتعشان وقد علاهما البلل.

عند ذاك، أدركت هي وجود شقيقتها الكبرى في المكان، ثم تطلعت فيهما بوجه شاردٍ تمامًا. عيناها كانتا خاليتين تمامًا. لأول مرة يرى عينيها كعيني طفل صغير، فإن لم تكونا كذلك، فإنهما لا تحويان أي شيء مطلقًا. تحويان كل شيء، وفي الوقت نفسه فارغتان تمامًا. لا. ربما قبل أنْ تصيرا عينَيْ طفلٍ، لم يكن فيهما أي شيء يتسنّى رؤيته أبدًا.

استدارت عنهما في هدوء وخرجت إلى الشرفة الكبيرة. تسللت نسمات الهواء البارد إلى الداخل عندما فتحت المصراع الجانبي لباب الشرفة. بينما كان يحدق إلى البقعة المنغولية المشرقة على ردفيها، وقد رأى عليها ما يشبه صمغ النبات بعد أن جفّت آثار

بصاقه، ومنيه. أحسّ فجأة أنه قد مرّ بكل التجارب، وبأنه صار كهلًا، وأنه حتى لو مات الآن فلن يشعر بالخوف.

رفعت نهديها الذهبيين اللامعين فوق الحاجز المعدني للشرفة الكبيرة، وباعدت بين ساقيها المليئتين بالورود البرتقالية وتسمّرت لدقائق كما لو كانت في وضع حميميّ مع نسمات الهواء أو أشعة الشمس. بينما كان صوت آلة تنبيه الإسعاف يُسمع من قريب، مع أصوات صراخ، ونظرات، وصياح الأطفال، وكل الفوضى من الزقاق الأمامي في الأسفل، والأقدام المتسارعة على السلالم.

ركض إلى الشرفة الكبيرة. كان يريد أن يلقي بنفسه من فوق الحاجز المعدني حيث تقف الشقيقة الصغرى لزوجته. سيسقط لثلاثة طوابق فيتهشم رأسه إلى قطع صغيرة. بإمكانه أن يقوم بهذا. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تنظّف كل شيء. لكنه ظل واقفًا متسمّرًا هناك، وقد أحس لأول مرة بأنها آخر لحظات حياته بينما راح يحدّق إلى الورود المتلألئة على جسدها؛ ذلك الجسد الذي يشعّ صورًا أكثر إشراقًا وكثافة من تلك التي صوَّرها طوال الليل.

لَهيبُ الأشجَارِ

كانتْ تقف محدقةً في الريح التي تكنسُ الطريقَ، في الناحية المقابلة لمحطة أوتوبيس «ماسوك»، وشاحنات البضائع الضخمة تمر مسرعةً في الحارة المخصّصة للسرعة العالية، بينما قطراتُ المطر تقرعُ مظلتها كما لو أنها ستخترقها.

بات واضحًا أنها لم تعُد صغيرة، ومن الصعب الادعاء بأنها جميلة، لكن انحناءة عنقها ما زالت جذّابة، ونظرة عينيها ودودة. الناظر إليها سيعرف تلقائيًا أنها لم تبالغ في وضع مساحيق الزينة، وبلوزتها البيضاء النصف كُمّ أنيقة، والانطباع الطيب النابع من مظهرها المناسب يثير فضولًا ما، بينما الظلال الباهتة حول وجهها تُبعد عنه تركيز الناظر إليه.

تلتمع عيناها في هدوء؛ فقد لاح الأوتوبيس الذي تنتظره في الأفق، فخطت نحو طريق السيارات، ناظرة إليه وهو يُقلِّل من سرعته.

«أنت ذاهبٌ إلى مصحة تشوك سونغ للأمراض النفسية، أليس كذلك؟».

أومأ سائق الأوتوبيس -رجلٌ في أواخر منتصف العمر- برأسه

إليها كي تصعد. دفعت الأجرةَ ثم جالت ببصرها بين الركاب بحثًا عن مقعدٍ خالٍ. كانوا يتطلعون فيها عن قرب؛ أهي مريضة، أم إنها ممرّضة؟ لا يبدو عليها ما يثير الاستغراب. بينما بكل اعتيادية، كانت تتجاهل تحديقهم المرتاب المشوب بالحذر وفضولهم الممزوج بالتأفف.

هزّت المظلة كي تنفض عنها الماء، وقد بدت أرضية الأوتوبيس مبتلة ولامعة. ولأن المظلة لم تحُلْ بينها وبين مثل هذا المطر جيِّدًا، فقد كانت بلوزتها وسروالها نصف مبتلَين تقريبًا. شقّ الأوتوبيس طريقه مسرعًا. حاولت المحافظة على توازنها في طريقها للبحث عن مقعد. وجدت مقعدًا لشخصين كان خاليًا، فاختارت الجلوس بالقرب من النافذة. وعلى الفور أخرجت منديلًا من حقيبتها ثم مسحت به زجاج النافذة. كانت تتطلع بشغفٍ عبر النافذةِ للوصول إلى أولئك الذين اعتادوا العزلة لوقتٍ طويل، بينما قطراتُ ماء المطر كأنها تصفعُ النافذة. وعند بلوغ منطقة «ماسوك»، لاحت نباتاتُ أواخر يونيو على جانبي الطريق، وجلبة المطر الثقيل الذي يهطل على الغابة كزئير حيوان عملاق. يضيق الطريق إلى جبل «تشوك سونغ» تدريجيًّا، بينما الريح تزيدُ الإحساس باقترابِ نباتات الغابة المبتلّة المتماوجة. فبأيّ بقعةٍ في تلك الغابة عُثر على شقيقتها الصغرى «يونغ هيه» قبل ثلاثة أشهر؟ كانت الأشجار تهتزّ وسط الأمطار العاتية، وقد اختفت المواضع المظلمة تحتها، عندما أشاحت بوجهها عن النافذة.

تم إبلاغها بأن «يونغ هيه» مفقودة منذ خرجت في الوقت المخصَّص للتمشية بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر. في ذلك الوقت كانت الغيوم قد بسطت أجنحتها على الأرجاء وتوقف

هطول المطر. ففي أيام محددة طبقًا لجدول أعدّته المستشفى، يُسمح للمرضى غير الخَطرين بالتمشية. وعند الساعة الثالثة بعد الظهر، كانت الممرضات يتحققن من رجوع المرضى، وتبين لهن غياب «يونغ هيه». في ذلك الوقت كان المطر قد بدأ يتساقط على هيئة رذاذ خفيف. أعلنت المستشفى حالة الطوراىٔ، وتم وضع حاجز طريق بالرّكن الذي تمرّ منه سيارات التاكسي والأوتوبيسات. فعندما يتغيب أحد المرضى، هناك احتمال أنه سيتجه إلى الأسفل عبر الجبل حتى منطقة «ماسوك»، أو ربما على العكس من ذلك يمضي متوغلًا بين الجبال.

مع قرب انتهاء فترة ما بعد الظهر، كان هطول المطر قد تزايد بشدة. ولأنه شهر مارس، فقد حل الظلام بسرعة. وكان من حسن الحظّ أن توجّت إحدى الممرضات إلى الجبل على الفور حتى عثرت على يونغ هيه. لا، لقد قال الاستشاري المسؤول عن أختها إنّ الممرضة قد تعثّرت في جسد يونغ هيه في عمق الجبل وبموضع ما عند حافّته تغطيه الأشجار. كانت مبتلّة وواقفة بلا حراك كما لو أنها، من دون مبالغة، شجرة من الأشجار هناك. نحو الساعة الرابعة مساءً تلقت الاتصال بشأن تغيّب أختها، وقد كان بصحبتها ابنها «جي وو» ذو السّتّة أعوام آنذاك. كانت حرارته قد ارتفعت إلى أنْ بلغت الأربعين درجة مئوية، فاصطحبته لإجراء أشعة للرئتين. كان يقفُ مرتبكًا بينها وبين اختصاصي حجرة الأشعة، بينما كانت تنظر إليه وهو يقفُ وحده أمام جهاز الأشعة.

«أنتِ السيدة كيم إنْ هيه؟».

«نعم».

«أنا ممرضة السيدة كيم يونغ هيه».

منذ دخلت يونغ هيه المستشفى، كانت تلك هي المرة الأولى التي يتصل بها أحدٌ من هناك. فقد كانت هي مَن تتصل بهم لتحديد مواعيد الزيارة أو للاطمئنان على أحوال أختها من وقت لآخر. كانت الممرضة تبلغها عن ذلك الموقف الطارئ بخصوص اختفاء أختها بمنتهى الحرص:

«إننا نبذل أقصى ما في وسعنا للبحث عنها، ولكن لو أنها ذهبت إليكم، فنرجو منكم أن تبلغونا على الفور».

ثم قبل أنْ تُنهي الاتصال سألتْ:

«أهناك احتمال أنها ذهبت إلى مكان آخر؟ إلى والديها مثلًا».

«منزل والدينا بعيدٌ... يمكنني الاتصال بهما لو أردتِ مني ذلك».

طوت الهاتف ووضعته في حقيبتها، ثم اتجهت إلى غرفة الأشعة واحتضنت جي وو الذي فقد بعضًا من وزنه منذ ارتفعت حرارة جسمه في الأيام القليلة الماضية.

«أمي! لقد فعلتُ كل شيء جيِّدًا».

ربما ذلك بسبب الحمّى ولكن توهّج وجهه الآن يعني أنّه ينتظرُ مكافأة.

كان ما قاله صحيحًا، فهو لم يحرّك ساكنًا فعلًا.

بعد أنْ أبلغها الطبيب أن جي وو لا يعاني من التهاب رئوي، احتضنته ثانيةً واستقلت تاكسي وسط هطول المطر وعادت به إلى البيت. بسرعةٍ حمّمَته وأعطته الدواء مع بعض الثريد ثم جعلته ينام

باكرًا. شغلتها التفاصيل المتعلّقة بمرض ابنها عن التفكير في أختها الغائبة. بل إنها لخمسة أيام لم تستطع النوم منذ أنْ حلّ المرض بابنها. وقد عزمت تلك الليلة على أنْ تأخذه إلى المستشفى في حال لم تنخفض درجة حرارته. شرعت في تجهيز حقيبته وحرصت على أنْ تأخذ بطاقة التأمين الصحي الخاصة به في حال استدعى الأمر واحتاجتها. ثم في نحو التاسعة مساءً، وبينما تضع بعض ملابسه في الحقيبة، رنّ جرس الهاتف.

«لقد وجدناها».

«يا له من خبر طيّب فعلًا. سوف آتي لزيارتها في الأسبوع القادم كالمعتاد».

كان تعبيرها عن الامتنان والشكر صادقًا من دون شك، ولكن صوتها كان باهتًا من فرط ما حلّ بها من تعب. لقد أدركت عقب انتهاء المكالمة أنّ المطر الذي كان ينهمر طوال اليوم حتمًا كان يهطل في الجبل حيث عثروا على يونغ هيه.

كان من المستحيل أن تتحقق من دقة المشهد الذي رأته في خيالها فقط، ولم تره أبدًا في الواقع. كانت تضع منشفة مبللة على جبهة ابنها الذي لم يتوقف أنفه عن الخشخشة طوال الليل، وقد أخذتها سنة من النوم كما لو كان مغشيًّا عليها، فرأت ما يشبه روحًا لشخصٍ وسط الأمطار في الغابة. مطر أسود، وغابة مظلمة، وتشبّع بالماء، ورداء مريض ضارب في البياض، وشعر مبلّل، ومنحدر جبل مظلم، ووسط فوضى من الظلام والماء كانت أختها تقف في هيئة شبحٍ منتصب!

في النهاية، عندما حلّ الفجر، تحسّست جبهة ابنها براحة يدها فاطمأنّ قلبها. خرجت من غرفة النوم، وراحت تتطلع في الضوء

المائل إلى الزرقة المنبعث من الشرفة الكبيرة في غرفة المعيشة. وكوّمت جسمها على الأريكة وحاولت أنْ تنام، فقد كان عليها أنْ تغفو ولو لساعةٍ قبل أن يستيقظ جي وو.

يا أختي! أنا أقفُ على يديّ، وأوراق النبات تنمو خارجةً من جسمي، والبذور تبزغُ من يدَيّ... وتشق طريقها إلى باطن الأرض. بلا نهاية... نعم، بلا نهاية. وقد باعدتُ بين ساقيَّ حتى تُزهر الورود. باعدت بينهما إلى أقصى ما يُمكنني.

أثناء نومها، كان صوتُ يونغ هيه في البداية منخفضًا ودافئًا، ثم بعد ذلك بريئًا كصوت طفل صغير، لكن في الجزء الأخير كان أشبه بصوت حيوان غير واضح، لم تفهم منه شيئًا. ولأنها لم تشعر من قبل بمثل هذا النفور الشديد في الحقيقة، فقد فتحت عينيها بشكل غريب قبل أنْ تغفو ثانيةً. هذه المرة كانت تقفُ أمام مرآة الحمام، وعينها اليسرى -كما تظهر في المرآة- تذرف دمًا. بسرعة مدّت يدها ومسحت عينها، ولكن في المرآة لم تتحرّك يدها قيد أنملة، وظلت عينها تذرف دماءً حارّة على ذلك النحو. استدارت مستيقظة على صوت سعال جي وو، واتجهت إلى غرفة النوم. منذ مدة بعيدة، كانت يونغ هيه تجلس في زاوية هذه الحجرة وظهرها محنيّ على ركبتَيْها. أمسكتْ يد ابنها الصغيرة وراحت تداعبها قائلة... لا بأس الآن. كانت تُتمتمُ بذلك من دون أنْ تدري أكانت تخفّف عن ابنها أم عن نفسها!

***

انعطف الأوتوبيس مع الطريق، وتوقّف عندما بلغ التَّل. نزلت بخطوات تزداد اتساعًا عبر سلّم الأوتوبيس حالما انفتح الباب

فاتحةً مظلّتها. كانت الراكب الوحيد الذي نزل هناك. ودونما تأخيرٍ انطلق الأوتوبيس مبتعدًا فوق الطريق الذي يكسوه المطر.

يتفرّع الطريق الضيّق هناك إلى طريقين أحدهما يتجه صعودًا نحو التلّ. بعد عبور النفق بامتداد خمسين مترًا تقريبًا، يلوح موضع المستشفى الصغير على الناحية الأخرى. هدأت حِدّة الأمطار نوعًا ما ولكنها لا تزال تنهمر. انحنت لتطوي سروالها كي لا يبلله المطر وقد لمحت أوراق نبات الكتان مبعثرة على الأسفلت. عدّلت وضع حقيبة الظهر على كتفَيْها، ورفعت مظلتها ثم شرعت في السير باتجاه المستشفى.

هذه الأيام، تذهب لزيارة يونغ هيه كل أربعاء ولكنها قبل ذلك اليوم المطير الذي اختفت فيه يونغ هيه ثم عثروا عليها، كانت تزورها مرة كل شهر تقريبًا. هذه المرّة جهّزت الفواكه وكعك الأرزّ والـ«توفو» المحشو بفول الصويا وأحضرتها معها. ولم يكن هناك أثر لأحد على الطريق سواها. عندما أخرجت ما أحضرته من مأكولات من الحقيبة ووضعته على الطاولة في غرفة الزيارة، شرعت يونغ هيه في الأكل من دون كلامٍ وكأنها طفلٌ صغير يقوم بالواجبات المدرسية. كانت تلفُّ شعر يونغ هيه وراء أذنيها، فتنظر إليها مبتسمة في هدوء تامّ. هناك لحظات في ما يبدو كان قلبها ينعم فيها بعدم وجود ما يعكر الصفو تقريبًا. فإلى متى تستطيع يونغ هيه أنْ تنعم بالعيش على هذا النحو يا تُرى؟ في هذا المكان تتحدّث يونغ هيه عندما تريد الحديث فحسب. ألا يتسنى لها هنا الامتناع عن تناول اللحوم إن أرادت ذلك؟! أليس في استطاعتها أحيانًا أنْ ترى شقيقتها الصغرى على هذا النحو ثم تعود من حيث أتت؟!

كانت يونغ هيه تصغرها بأربعِ سنواتٍ، وقد كان لإدراك ذلك الفارق العمري بينهما دور في أنْ تقضيا معظم الأوقات باستمتاعٍ من دون مشاحنات تُذكر. كان أبوهما يصفعهما بيده الخشنة على خدَّيهما مباشرة منذ كانتا صغيرتين، مما دفع يونغ هيه لأن تحثّ شقيقتها الكبرى على العناية بها إلى أبعد حدٍّ ممكن، فكانت شقيقتها الكبرى تحتضنها بمسؤولية ممزوجة بعاطفة الأمومة. كما كانت تتأمل باندهاش ينشرح له القلب شقيقتها الصغرى، وكعبَيْ قدمَيْها أسودين، والطفح الجلدي على أنفها صيفًا، وقد كبُرت سريعًا حتى تزوّجت. لكنها كانت كلما تقدم بها العمر صارت قليلة الكلام أكثر فأكثر. صحيح أنها شخصية حذرة بطبعها، لكنها كانت تتأثر بالجو العام المحيط بها فتصبح شخصيتها مشرقة ومبهجة. من الصعب عليها أنْ تتعرّف الآن على ما يدور داخل شقيقتها الصغرى، بل إن هذا صعب جدًّا. فما تحسّه في تلك اللحظات أنها شخص غريب تمامًا.

يوم ميلاد جي وو مثلًا، حضرت يونغ هيه إلى المستشفى لترى أول أبناء أختها، وبدلًا من كلمات التهنئة قالت:

«أول مرّة أرى، مثل هذا الطفل ضئيل الحجم... أيكونون على هذا النحو عندما يُولدونَ؟».

كانت تُتمتِمُ وهي تطرح تلك الأسئلة ثم تابعت:

«أيمكنكَ أنْ تصحبَ أمك التي تحتضنك ذاهبة إلى مدينة «ج» الصغيرة؟ وزوج شقيقتي يقود السيارة، ولكن... لو أحسّ بالإرهاق.. أنذهبُ جميعًا معًا؟».

على ذلك النحو عبّرت عن سرورها بالطفل باقتراحها اللطيف،

وقد كانت ابتسامة طفولية هادئة تظلّلُ فمها آنذاك على نحو غير مألوف. في النهاية كانت تحسّ بالغرابة تجاه يونغ هيه، ربما بالقدر نفسه الذي أحسّته يونغ هيه تجاهها على ما يبدو. بينما أعياها عن الرد الانطباع الذي تركه الإحساس بالصمت عند رؤية وجهها. وقد أحسّ زوجها بما يشبه ذلك علاوة على كآبة من نوعٍ ما. ففي أي جزء من شخصية شقيقتها الكبرى تساويا في الإحساس بالإحباط؟ كان الواضح في تلك اللحظة أنهما تساويا في شيء واحد: قِلَّة الكلام!

***

دخلت النَّفق. وبسبب الطقس كان النفق مظلمًا بدرجة أكثر من المعتاد. طوت مظلّتها ومضت ذاهبة وهي تسمع وقع أقدامها بوضوحٍ. وإذ بها لأول مرة ترى على الحائط وسط الظلام المشبَع بالبلل عُثَّة بهذا الحجم الكبير ترفرف هناك. توقَّفت للحظة تتطلع في أجنحتها المرفرفة في الهواء، بينما استقرَّت العثَّة على سقف النفق الحالك من دون أنْ تحرّك ساكنًا.

كان زوجها يطرَبُ لتصوير أي شيء يحلّق في الهواء؛ طيور، فراشات، طائرات، عُث، ذباب. وكشخصٍ عاديّ ليست لديه دراية واسعة بالفن كانت تشعر بالحيرة، فلم تكن ترى وجود علاقة بين مثل تلك الموضوعات في أعماله الفنية سوى مشهد الطيران الذي يجمعها يجمعهما فحسب. سألته في إحدى المرات سؤالًا مقتضبًا: «لماذا أدخلت هذا المشهد؟». -ظلّ طائر يحلّق مرتفعًا في هدوء تام كان قد أدخله بين مشهدَيْن لجسر متهدّم وجنازة في مقطع لم تتجاوز مدته ثانيتين-. فكان رده عليها ببساطة:

«من دون سبب».

ثم تابع قائلًا:

«وضعته من دون سبب. فقط لأنني أحسستُ براحة عندما وضعته».

وقد أعقب ذلك صمته المعتاد.

هل تسنّى لها أنْ تتفهم لاحقًا مكنون ذلك الصمت الجوهري في شخصية زوجها؟ كانت تدرك أنْ ما لديها من معرفة بطبيعة أعماله الفنية محدود. كان يعدّ مقاطع فيديو بمدد تتراوح بين دقيقتين وساعة ثم يقوم بعرضها. في الحقيقة، وقبل أنْ تقابله، لم تكن تعرف بوجود مثل هذا النوع من الأعمال الفنية أصلًا. وقد بذلتْ جهودًا لأجل أنْ تفهمها ولكنها لم تستطع.

ما زالت تتذكر أول مرّة قابلته مع اقتراب حلول المساء. كان جسمه نحيلًا كقصبة الذرة، وبدا من وجهه أنه لم يحلق شاربَيه لعدة أيام، بينما كانت عيناه متثاقلتين بوضوح. دخل محلها معلقًا كاميرا فيديو بحقيبة يحملها على ظهره وراح يبحث عن مرطّب ما بعد الحلاقة. أحضر المرطب إلى طاولة دفع الحساب وأراح ذراعيه على زجاجها، فأحست بأن الزجاج سيتداعى مع سقوطه لا محالة. لذا ومن دون سابق خبرة بمثل تلك المواقف حدّثته بشكل ودّيّ قائلة:

«هل تناولتَ الغداء؟». اندهش قليلًا لوهلةٍ، لكنّ ما تبقّى لديه من قوة أعجزه عن التعبير فاكتفى بالنظر إلى وجهها مباشرة. أغلقت باب المحل وذهبت معه لتناول غداء متأخر. دقّقت بكلّ تأكيد في تفاصيل دعوتها له إلى الغداء في ذلك اليوم، وبدا لها أنّ سرّ انجذابها نحوه كان في تركه نفسه على سجيته متحررًا من أي حدود تحمي كيانه الخاص أمامها.

ما أرادته في مساء ذلك اليوم هو أنْ تكرّس كل طاقتها لإراحته، ورغم قيامها بذلك على النحو الأمثل، حتّى بعد زواجهما، كانت تراه دائمًا منهَكًا. لا ينشغل عادة بغير أعماله، وخلال الفترات البسيطة التي يمضيها في البيت، يبدو كالمسافر لا المقيم، خاصة لو أنّ عمله كان قد سار على نحو غيرِ المأمول، ففي هذه الحالة يتمدد صمته كقطعة مطاط ويصبح ثقيلًا كصخرةٍ.

في وقتٍ قصيرٍ أدركتْ شيئًا حقيقيًّا؛ لماذا هو الشخص أرادت له بفارغ الصبر، أَنْ يرتاح؟ أليس هناك احتمال أنها أرادت ذلك لنفسها أيضًا؟ ألم تُترك لحالها في منزل في سيول في التاسعة عشرة من عمرها من دون أدنى قدر من المساعدة من أحد، وفي ظل حياة تنعكس كل متاعبه فيها عليها وحدها؟! على ما يبدو هي لم تكن واثقة من عاطفتها تجاهه، كما لم تكن واثقة أيضًا من أنّه يكنّ لها أي عاطفة بشكل من الأشكال. اعتاد أن يعتمد عليها، كونها من ذلك النوع من الناس الذي يعيش حياة من الكفاح المستمر، حياة مليئة بالمشكلاتِ المتوقَّعة. كان أمينًا إلى درجة السذاجة، لا يعرف المبالغة أو التملُّق. لكن بالنسبة لها كان دومًا طيب القلب، لم يصرخ غاضبًا منها قط، وكان دائمًا ينظر لها نظرة تحمل الكثير من الاحترام.

«أنتِ عظيمة بالنسبة إليَّ». يكرر قول ذلك!

كما كان يقول لها قبل الزواج:

«طيبة القلب، متّزنة، هادئة، تجعلين الحياة اليومة في غاية اليسر... هذا هو انطباعي عنكِ».

فهمتْ من كلامه أنه كان يقصد الاحترام. ولكن ربما كان يعترف لها بكلامه ذاك، أنه أيًا كان يشعر به تجاهها فإنه لم يكن حبا ولا بأي معنى من المعاني.

ربما حبه الحقيقي هو تلك الصور التي لم يلتقطها بعد، أو تلك التي التقطها بالفعل. بعد زواجهما، وعند ذهابها لأول مرة إلى أحد معارضه كانت قد اندهشت بشدّة، فحالما جلست، شاهدت تصويرًا لأزمة ما. ولم تكن قادرة على تصديق أنه كان يحمل كاميرا الفيديو على كتفيه ليصور كل ذلك. مشَقّة وأماكن متنوعة حتمًا كان في قلب أحداثها. لقد كان من الصعب أنْ تتخيّل أنه قادر حتى على مجرّد التفاوض لأجل أنْ يُسمح له بالتصوير في مثل تلك المواقع الحساسة، ناهيك بالشجاعة وهدوء الأعصاب لعرضها، بل والمثابرة، عدا عن أمور أخرى لم تكن قد عرفتها عنه بعد. فلم تكن في الحقيقة تصدّق مدى حماسته وشغفه الواضح بعمله إلى حدّ أن يُعرِّض نفسه لكل ذلك.

تتذكر ذات مرّة التماع عينيه في المنزل. فعندما بدأ جي وو المشي، وبينما يترنّح وسط إشراق الشمس في غرفة المعيشة، أحضر كاميرا الفيديو وقام بتصوير تمايله الخطير. كما صوّر احتضانها لجي وو، وكذلك تقبيلها لرأسه. لقد حدثتها عيناه آنذاك بإشراق الحياة الذي لم يعرفه في الحقيقة. وبعد ذلك كان في كل مرة يخطو فيها جي وو يقول:

«ماذا لو جعلته كفيلم من أفلام هاياو ميازاكي وجعلتُ الورود تبزُغ من موطئ قدمَيْه؟ لا، بل فراشات تطير. سيكون هذا أفضل. حسنًا! في هذه الحالة سيكون من الأحسن أنْ أقوم بتصويره من جديد فوق العُشب».

علّمها كيفية تشغيل كاميرا الفيديو، ثم أعاد تشغيل المقطع الذي فرغ من تصويره للتوّ متحدِّثًا بنبرة حماسية:

«أنت وهو عليكما أنْ ترتديا ملابس بيضاء. لا، لا، بدلًا من ذلك ربما من الأفضل أنْ ترتديا ملابس قديمة جدًّا. نعم، نعم، هذا جيّدٌ. يرتدي الولد قبعة تنزّه متواضعة، وكلما وضع قدميه بترنّحٍ. بدا مثل فراشة غنية بالألوان بشكلٍ عجيبٍ وهي ترفرف...».

لكنهم لم يحضروا ذلك العُشب أبدًا، فضلًا عن أنّ جي وو كان قد تجاوز مرحلة الترنّح في السير، فبقي مقطع الفيديو ذاك عن بزوغ الفراشات من موطئ قدميه في مخيّلتها فحسب. منذ لحظة معينة فصاعدًا، صار أكثر صرامة في القيام بعمله. في العطلات الأسبوعية، وطوال الليل، لا يعود إلى المنزل. بل كان يحبس نفسه في الاستديو، من دون أنْ يُنجزَ عملًا ليقدّمه للعرض. ظل يجوب الشوارع حتى صار حذاؤه الرياضي أسود اللون. أحيانًا، وبينما تدخل الحمّام وتضيء النور وقت الفجر، كانت ترتعب من هول المفاجأة؛ فهي لم تشعر بموعد رجوعه، وإذا به يرقد بملابسه في حوض الاستحمام لينعم بقسطٍ من النوم.

بعدما تركها زوجها، اعتاد جي وو أن يسألها: «أيوجد والد في عائلتنا؟». طرح هذا السؤال كل يوم، حتى عندما كان زوجها لا يزال موجودًا، إنما الصبيّ لم يره إلا نادرًا.

وكانت ترد عليه بشكل مقتضب: «لا». ثم تضيف بلا صوت: «لا أحد على الإطلاق. أنا وأنت فحسب. سيكون هذا كافيًا الآن».

***

بدت المصحة وسط الأمطار كئيبة ومهجورة، وحوائطها الخرسانية الرمادية وسط البلل والظلمة بدت داكنة أكثر من

المعتاد. في الأيام المشرقة، ورغم صعوبة الأمر، يضع المرضى رؤوسهم بين القضبان المعدنية على نوافذ الأجنحة في الدَوْرَين الثاني والثالث متطلعين نحو الأفق في المنظر هناك. أما في مثل هذا الجو الغائم، فعدد قليل منهم، بوجوه غائمة أيضًا، يتطلعون من بين القضبان ناظرين إلى المطر.

نظرتْ بسرعة إلى أعلى باتجاه نافذة الغرفة التي تنزل فيها يونغ هيه في الطابق الثالث الملحق بالمبنى تقريبًا. عبرت المدخل والمحل الصغير[1] وغرفة الزيارة متجهةً إلى غرفة الاستقبال:

«عندي موعد مع الدكتور باك إن هو!».

تعرّفت عليها موظفة الاستقبال وقامت بتحيتها. نفضت مظلتها المبلّلة بالماء ثم أحكمت طيّها. خلال انتظارها مجيء الطبيب إلى غرفة الاستشارة، التفتت متطلعة إلى أشجار الـ«زيلكوفا» في حديقة المصحّة الأمامية كما لو كانت تريد أنْ تنظر نحوها إلى الأبد. وقد بدا أنّ تلك الأشجار التي تجاوز عمرها أربعمئة عام تتواصل معها كأنها تتحدث إليها على نحو ما؛ في الأيام المشرقة تنثر أغصانها الكثيرة لأجل أنْ تنعم أوراقها بأشعة الشمس. بينما في أيام المطر، فتبدو كشيء منكمشٍ يشبه إنسانًا صموتًا يكتم حديثًا داخله. واللحاء القديم في أسفلَ الأشجار مطمورٌ في البلل كمساء مظلم، بينما تهتز الأوراق على الأغصان مع قطرات المطر.

---

(1) في كافة المستشفيات الكورية تقريبًا، في الطابق الأول محل صغير يبيع المياه المعدنية والمشروبات والمقرمشات والقهوة وغيرها مما قد يحتاجه الزوار أو العاملون في المستشفى، أو حتى المرضى الذين تسمح حالتهم بتناول الوجبات الخفيفة من دون مشكلات. (المترجم).

كانت تحدّق في صمت إلى هيئة يونغ هيه كشبحٍ جاثمٍ على قمة تلك الصورة.

أغمضت عينيها الحمراوين لفترة طويلة. كانت الأشجار التي تملأ محيط رؤيتها لا تزال صامتة. بعد تلك الليلة التي تعافى فيها جي وو ثم عاود الذهاب إلى روضة الأطفال لم تنعم بنومٍ عميق قطّ. لذا فمنذ ثلاثة شهور كاملة حتى الآن لم تنم إلّا لفتراتٍ قصيرة خاطفة من حين إلى آخر. كان صوت يونغ هيه مع صوت المطر الداكن الذي يهطل فوق الغابة هناك، ووجهها وعيناها اللتان تذرفان دمًا، يجعلان تلك الليلة الطويلة ترتعش كما لو أنها شظايا آنية فخارية مكسورة.

في النهاية، وعندما كانت تستسلم للأرق، تنهض في الثالثة صباحًا؛ تغتسل، وتغسل أسنانها، وتعدّ أطباق فواتح الشهية، ثم تنظف كل أرجاء المنزل وترتّبها، ومع ذلك تحس بأنّ بندول الساعة ثقيل كأنه مقيَّد بحيث لا يستطيع الوقت أنْ يمضي بسرعة. ثم أخيرًا تذهب إلى غرفته لتستمع إلى بعض الموسيقى المسجَّلة التي تركها قبل رحيله، أو تشبك يديها وراء ظهرها وتدور في الغرفة كما كان يفعل، أو ترقد مرتدية ملابسها في حوض الاستحمام؛ حيث كان بإمكانها أنْ تستوعب لأول مرة، على ما يبدو، رقدته في ذلك الحوض. فربما آنذاك لم تكن لديه القوة الكافية لكي يخلع ملابسه. تمامًا كما كانت تعوزه القوة ليضبط درجة حرارة المياه عند الاستحمام. كان يدهشها أنْ تدركَ أنّ تلك البقعة الضيقة المقعَّرة كانت أكثر مكان أحس فيه بالدفء داخل شقتهما بمساحة اثنين وثلاثين بيونغ!

«مِن أينَ تحديدًا بدأ الخطأ؟».

تسائل نفسها أحيانًا، كما في تلك اللحظة:

«متى بالضبط بدأ كل هذا؟ بل متى بدأ الانهيار؟».

قبل ثلاثة أعوام تقريبًا بدأت يونغ هي الامتناع عن تناول اللحوم بشكل غريب. صحيح أنه من الشائع وجود النباتيين، ولكن يونغ هيه كانت حالة فريدة من نوعها، لأن دوافعها للتحول إلى نباتية كانت غامضة.

لقد فقدت وزنها إلى حد أنه بعينين مفتوحتين لا تكاد أنْ تراها! كما لم تعد تنام تقريبًا. شخصيتها هادئة بطبعها، لكنها لم تعد تتحدّث بالقدر الذي يسمح بأيّ نوع من التواصل. والدها، وأفراد الأسرة جميعًا كانوا قلقين عليها بكل تأكيد. لكن في نهاية الأمر، وعندما انتقلت شقيقتها الكبرى إلى شقتها الجديدة، وأقيمت حفلة للتهنئة بتلك المناسبة، وأثناء اجتماعهم، صفعها أبوها على خدّها. ثم فتح فمها عنوة وحشا فيه قطعة من اللحم. آنذاك ارتعش جسدها كما لو كان الذي يحدث ليونغ هيه يحدث لها هي شخصيًّا. كانت تشاهد بحدّةٍ وألمٍ يونغ هيه وهي تنتفض واقفة كحيوان بريّ وتبصق قطعة اللحم منً فمها، ثم تلتقط السكين وتقطع معصمها.

أكان بإمكانها منع ذلك؟ كانت تتشكّك باستمرار في ذلك. أكان بمقدورها أن تمسك يد أبيها؟ أكان بإمكانها أن تمسك بالسكين في يد يونغ هيه؟ أكان باستطاعتها أن تمنع زوجها مِن حملِ يونغ هيه والجري بها إلى المستشفى بينما دماؤها تنسال عليه؟ ثم عندما تم احتجازها بمصحة الأمراض النفسية والعصبية، أكان بوسعها أنْ تحول بين رَمْيها هناك على ذلك النحو؟ ثم أيضًا

ما فعله زوجها مع يونغ هيه، أيمكنها أن تمحوه من ذاكرتها قبل أن يستحيل إلى فضيحة رخيصة تافهة؟ كل شيء، وكل هؤلاء الذين يعيشون حولها، ينهارون كجبلٍ من الرمل. أكان باستطاعتها أنْ تحول دون حدوث ذلك كله؟!

لم تكن تريد أنْ تعرف أي إحساس ذلك الذي أَحَسّه زوجها تجاه البقعة المنغولية الصغيرة الزرقاء في ردفيّ شقيقتها الصغرى. وعندما ذهبت تبحث عن المسكن الذي استأجرته يونغ هيه صباح ذلك الخريف، حاملةً الأعشاب الملفوفة لأجلها، ورأت ذلك المشهد بكل وضوح؛ يونغ هيه عارية طوال الليلة السابقة وجسدها مغطًى بالزهور الملوّنة، بينما التف جسده بجسدها في التحام على نحو ما ظهر في شريط الفيديو ذاك.

أكان بمقدورها منع كل ذلك؟ ألم تكن تصرفاته بالفعل تنذر برائحة شيء ما مفقود ولو على نحو ضئيلٍ؟ ألم يكن بمقدورها أنْ تجعله يدرك بشدة أنّ يونغ هيه مريضة حقًا، وأنها ما زالت تتناول الأدوية؟!

في ذلك الصباح، كان جسد يونغ هيه عاريًا، وقد كساه طلاء الورود الحمراء والصفراء، وإلى جانبها يرقد رجلٌ تحت اللحاف. لو كانت قد رأت في الحلم أنه هو لما صدّقت ذلك! وللتغلب على كل ما أحست به من خوف على شقيقتها الصغرى البريئة فقد فكرت في شيء واحد هو مسؤوليتها نحوها، تلك المسؤولية التي لم تستطع أن تتجاهلها.

أحضرتْ كاميرا الفيديو الموضوعة إلى جانب الباب، ولم تكن قد تعلمت منه سوى كيفية تشغيلها، فقامت على الفور بذلك.

ثم تخلصت من كل الأشياء التي تشبه النيران المستعِرة بذلك الشريط، وأمسكت بهاتفها المحمول وضغطت مفاتيحه، وبتلعثم أبلغت عن اثنين من المختلّين عقليًا. ولم تكن، خلال ذلك الوقت، تصدق أبدًا أنّ شيئًا ممّا يحدث آنذاك كان حقيقيًّا. بل إن عينيها لا تكادا تصدقان ما تراه. كان الشيء الواضح بالنسبة لها، أن ذلك السلوك الذي ارتكبه زوجها لا يمكن أنْ تسامحه عليه.

عندما استيقظ زوجها كان ذلك وقت الظهيرة، ثم استيقظتْ يونغ هيه بعده. تبع ذلك على الفور وصول ثلاثة أشخاص من خدمات إسعاف الطوارئ مع معدات الحماية اللازمة. اتجه اثنان منهما إلى يونغ هيه، وقد كانت تميل بجسمها بشكل غير مستقرّ على سياج الشرفة الكبيرة. قاومتهم بعنف بينما كانوا يضعون سُترة المجانين على جسدها العاري الملطّخ بالألوان. وراحت تعضّ أذرعهما بوحشية، مطلقةً زئيرًا غامضًا، ولكن رغم كل تلك المقاومة تمكنا من غرس إبرة في ساعدها. وأثناء حدوث كل ذلك، كان زوجها يحاول أن يتجاوز المُسعف الثالث الذي كان واقفًا أمام الباب، وقد انقضَّ عليه على الفور فأمسكه بسهولة، لكنه بكل ما أوتي من قوة استطاع أنْ يتخلص منه وجرى بسرعة نحو الشرفة الكبيرة، ثم كما لو كان طائرًا، حاول أنْ يرمي بنفسه من فوق السياج، لكن المسعفين أسرعوا وأمسكوا برجليه.

ظلّتْ واقفة ترتعد حتى انتهى ذلك المشهد. في النهاية عندما كانوا يسحبونه، والتقت عيناها بعينيه، رمقته بكل طاقة الغضب، لكن ما لمحته في عينيه لم يكن ينطوي على شهوةٍ ولا جنونٍ، كما لم يكن ينطوي على ندمٍ ولا إحساس بالاستياء. وما كانت تحسه في تلك اللحظة مباشرةً هو الخوف فحسب.

على ذلك النحو انتهى الأمر. بعد ظهر ذلك اليوم، كانت حياتهم جميعًا قد اتخذت وجهة يستحيل معها أنْ تعاود سيرتها الأولى من جديد.

سُمح له بالخروج من المستشفى بعد أنْ ثَبُتت سلامة قواه العقلية، ثم قامت الشرطة باحتجازه. استغرق الأمر عدة أشهر في دعاوى قضائية مملة حتى تم الإفراج عنه، ومنذ ذلك الحين لم تره قطّ. بينما حالة يونغ هيه كانت تحتّم وضعها في جناح لا يُسمح لها فيه بالخروج. ثم بعد نوبة مرضها النفسي تلك، استعادت بعضًا من هدوئها فسُمِح لها بالكلام، ولكنها بدلًا من التحدّث إلى الآخرين، كانت تجلس القرفصاء وحدها في بقعةٍ مشمسةٍ ثم تتمتِمُ بأصواتٍ غير واضحة.

منذ امتناعها عن تناول اللحوم، لو وضع طبق فواتح شهية محتويًا على لحوم تظلّ تصرخ ثم تهرول مبتعدةً. في الأيام المشرقة جدًا، تضغط جسدها على حافة النافذة بينما تفتح أزرار رداء المستشفى وتعرّض صدرها لأشعة الشمس. حتى ذلك الوقت لم يذهب والداها لزيارتها، وهي ابنتهما الثانية التي مرضت بشكل مفاجئ، لكنهما أيضًا لم يتواصلا مع ابنتهما الكبرى التي في ما يبدو تذكّرهما بطريقتهما الوحشية في معاملة أختها، فضلًا عن أنهما سلكا المسلك نفسه مع ابنهما الصغير وزوجته. لكنها لم تستطع التخلي عن يونغ هيه. فقد كان على شخصٍ ما إن يدفع نفقات علاجها في المستشفى، وعلى شخص ما أيضًا أن يحميها ويعتني بها.

واصلت مسيرة حياتها. كانت تثابر بعد أنْ ألقت وراء ظهرها بتلك الفضيحة التي علقت بها، وحرصت على بقاء محلها مفتوحًا. كان الوقت يمرّ قاسيًا مثل موجة عاتية، قاسيًا وعديم الشفقة كما لو أنّه يهشّم حياتها، لكنها كانت تقاوم باستمرار كي

تمنع حدوث ذلك. أما ابنها جي وو الذي كان في الخامسة من عمره في الخريف الماضي فقد صار في السادسة الآن.

نُقلت يونغ هيه إلى مستشفى آخر، جوّه العام أفضل، وذلك بعد تحسّن حالتها بشكل واضح، فضلًا عن أنّ نفقات علاجها فيه كانت مقبولة.

منذ طفولتها، كانت لا تروم لنفسها أن تكون كبقية الناس من حولها. كانت تريد أنْ تتولى زمام أمورها بنفسها، فتمتعت بشخصية قويّة. كما كانت تستطيع القيام بكل شؤون بحياتها بنفسها. شخصية صادقة بالفطرة. كابنة، وكأخت كبرى لشقيقها وشقيقتها، وكزوجة وأم. ومع طبيعة حياتها المتكدسة بالعمل في المحل، وخلال تنقلاتها المستمرة بمترو الأنفاق، كانت تبذل في كل ذلك أقصى ما لديها. فلو أنّ يونغ هيه لم تختفِ فجأة في شهر مارس الماضي! ولو لم يُعثَر عليها مصادفةً وسط الأمطار المنهمرة في الغابة ليلًا! ولو أنّ كل الأعراض المرضية لم تهاجمها فجأة بهذا القدر من السوء بعد ذلك اليوم!

لو أنّ ذلك كله لم يحدث فحسب!

***

كان الطبيب صغير السّن بردائه الأبيض قادمًا من الناحية المقابلة في الممر. وكان وقع أقدامه يشيرُ إلى حضوره مسرعًا. انحنى بخفةٍ عندما نهضت واقفةً لتحيته. وعلى الفور أشار إليها مادًّا ذراعه باتجاه حجرة الاستشارة، فتبعته داخلةً إلى الحجرة.

كان في النصف الثاني من ثلاثينات عمره، وقد بدا ممشوق

القوام متمتعًا بجسدٍ ينمّ عن عناية بنفسه. هيئته وملامحه ومشيته تدلّ على ثقته واعتداده بذاته. كان قد نظر إليها جالسة أمام مكتبه، بينما انتابها إحساس بانقباض في قلبها من أنّ المقابلة لن تسير على النحو الذي تمنته.

«شقيقتي الصغرى..».

«لقد فعلنا كل ما في وسعنا، لكنها لا تزال كما هي».

«إذًا، اليوم...».

احمرّ وجهها كأنها ارتكبت خطأً. وبدلًا من تركها تكمل حديثها قال الطبيب:

«سنحاول أنْ نطعمها اليوم بعض العصيدة عن طريق الوريد، لو تم ذلك فمن المفترض أنْ تتحسن حالتها نوعًا ما، ولو لم يحدث ما نرجوه، فمن الأحسن أن يتم نقلها إلى جناح الطوارئ في أحد مصحّات الأمراض النفسية والعصبية العامة».

توجهت بسؤالها:

«قبل ذلك، هل يمكنني أن أتحدث إلى يونغ هيه قليلًا لكي أشرح لها طبيعة الموقف؟».

نظر إليها الطبيب بعينين يحدوهما أمل كبير في نجاح محاولتها تلك. كان يبدو منهَكًا، وكأنما يحاول أن يُخفي سخطه على أولئك المرضى الذين لا يواصلون العيش على النحو الذي يأمله لهم. نظر إلى ساعة يده وقال لها:

«سأمنحك نحو نصف ساعة. لو نجحت محاولتك، اعلميهم رجاء في غرفة الممرضات. ولو لم يسِر الأمر على ما يرام، فسنلتقي في الثانية».

توقعتْ أن يعتذر مُنهيًا الحوار عند ذلك الحدّ تاركًا مقعده على الفور متجهًا إلى الخارج، لكنه تابع الحديث:

«ذكرتُ ذلك في المرة السابقة. إن خمسة عشر إلى عشرين في المئة من مرضى فقدان الشهية العصبي يتضوَّرون جوعًا حتى الموت. فحتى مع بقاء العظام والجلد فقط، يظنّون أن لديهم وزنًا. هناك تأثير لعوامل نفسية كثيرة، منها مثلًا الصراع القوي مع الأم المسيطرة... لكن السيدة كيم سونغ هيه واحدة من الحالات الخاصة من بينهم؛ حيث يرفض المريض تناول الطعام بينما يعاني من انفصام الشخصية. كنا متأكدين أنّ حالة الفصام التي تعانيها ليست حادّة، ولكن ليست لدينا أيّ مقدرة على التنبؤ بما قد يؤول إليه الأمر في ما بعد. في بعض حالات هوَس الشك يتصوّر المريض أنّ الطعام مسموم فيمتنع عن تناوله، وفي هذه الحالة يتناول الطبيب من الطعام نفسه أمام عينيه. ومع ذلك ما زلنا غير قادرين على اكتشاف السبب وراء امتناع السيدة كيم يونغ هيه عن الطعام، كما أنه ليست هناك تأثيرات ظاهرة لما تتناوله من أدوية. لم يكن من السهل علينا إبلاغك بهذا الأمر، إنما ليس أمامنا أيّ وسيلة أخرى. إن واجبنا أن نحافظ على حياة المرضى هنا... لكننا غير واثقين من قدرتنا على إبقائها حيّة في هذه المستشفى».

ثم قبل أنْ ينهض واقفًا، توجّه إليها بسؤال ينطوي على حساسية واهتمام مألوفَيْن بحكم طبيعة عمله على نحو ما شعرت:

«بشرتك ليست على ما يرام، ألا تنالين قسطًا وافرًا من النوم؟».

لم تستطع أنْ ترد عليه على الفور، فعقّب قائلًا:

«الذين يعتنون بغيرهم، عليهم أن يظلوا أصحّاء!».

تبادلا انحناءة التحية، وعلى نحو ما بدا من وقع أقدامه، أسرع نحو باب حجرة الاستشارة ثم فتحه وخرج أولًا. تبعته خارجة بينما كانت هيئته من الخلف تدل على أنّه قد ابتعد كثيرًا.

عندما رجعتُ إلى ذلك المقعد الكبير في الاستقبال، رأيت امرأة غضّة في منتصف العمر ترتدي ملابس مزركشة تدخل من الباب متأبطة ذراع رجل في مثل عمرها. أهما قادمان لزيارة مريض؟

في اللحظة التالية، بدأ فم تلك المرأة يتفوّه بالسباب! وقد بدا الرجل معتادًا على ذلك فلم يلقِ لها بالًا. أخرج شهادة التأمين الصحي من محفظته الكبيرة ومدّها عبر الفتحة تحت شباك موظفة الاستقبال.

«اللعنة على تلك الأشياء! لن تكوني مرتاحة حتى لو مصصتِ أحشائي! سأهاجر! لن أستطيع قضاء يوم واحد مع شخصٍ مثلك!».

لا يبدو أنه زوجها، أيكون حبيبها أو أخوها؟! لو تمّت إجراءات دخول تلك المرأة إلى المستشفى اليوم، فستقضي ليلتها في غرفة الحالات غير المستقرة، وستوثق أطرافها، وستُحقن بمهدئ الأعصاب. كانت تتأمّل القبعة المزركشة بالورود التي كانت تلك المرأة ذات الصوت العالي تعتمرها. لقد أدركت آنذاك أنها أصبحت لا تُبالي بالمختلّين عقليًا. فبعد كل تلك المرات التي ذهبت فيها إلى المستشفى تشعر أحيانًا بالاستغراب تجاه البشر الطبيعيين الهادئين الذين يملأون الشوارع.

تذكرت اليوم الذي أحضرت فيه يونغ هيه إلى تلك المستشفى للمرة الأولى. كان الوقت بعد ظهر يومٍ مشرق في مطلع الشتاء.

حيث كانت مستشفى «جونغ هاب» للأمراض النفسية والعصبية في سيول قريبة من بيتها. لكنها لم تستطع أنْ تدّبر نفقات دخول أختها الصغرى إليها، فراحت تسأل عن مستشفى تُحسن معاملة المرضى وتُوفّر لهم سبل الراحة، فأخبروها عن تلك المستشفى. كان الاستشاري المسؤول في إحدى المصحات المجاورة قد أبلغها خلال المقابلة بأنه يفضّل أن تنقل أختها الصغرى إلى مصحة خاصة قائلًا:

«حتى الآن، ها هي النتائج التي لاحظناها جيدة. صحيح إنه من الصعب أن تمارس حياتها الاجتماعية الآن. لكن سيكون لدعم العائلة دور كبير في ذلك».

ردّت عليه قائلة:

«لقد صدّقتُ ذلك الكلام آخر مرة ونقلتها من المصحة. والآن أعتقد بأنه كان من الأفضل لو أبقيتها هناك».

أدركت ساعتها أن السبب الظاهري الذي قالته للطبيب يتعلّق بما أحسّته تجاه احتمال تكرار يونغ هيه تلك النهاية المأسوية. لم تكن قادرة على التغلب على كل الأشياء التي تُذكّرها بها تلك الطفلة الصغيرة. بصراحةٍ كانت تبغضها سرًّا. فلم تكن قادرة على أنْ تسامحها على ذلك التصرف غير المسؤول؛ وتمنت لو كان بإمكانها أن تقطع كل الروابط وترحل بكل بساطة وتتركها هناك على الناحية الأخرى وسط ذلك الوحل.

كانت الشقيقة الصغرى ترتدي ملابس عادية. عيناها جافتان وشكل فمها مستقرّ. تناقص وزنها جراء كميات الطعام المحدودة التي تتناولها فبدت نحيفة، ولكن باستثناء ذلك كان من الصعب تمييزها عن الأشخاص الطبيعيين.

خلال ذهابهما إلى هناك بالتاكسي. كانت أختها تحدّق عبر النافذة في هدوء من دون أن يبدو عليها أيّ نوعٍ من القلق. ثم بعد أن غادرا التاكسي، كانت تسير وراءها على قدمَيْها بكل براءة حتّى إنّ موظفِ الاستقبال توجّه إليهما بتلقائية سائلًا:

«من منكما المريض؟»..

أثناء انتظار إعداد الأوراق الخاصة بدخولها تلك المستشفى، قالت ليونغ هيه:

«الهواء طيّب منعش هنا، ولذا فستكون شهيّتك أحسن. إن أكلتِ أكثر قليلًا، سيزداد وزنك نوعًا ما».

كانت يونغ هيه تحدّق عبر النافذة مركّزة نظرها على أشجار الـ«زيلكوفا» قبل أن تفتح فمها على استحياء قائلة:

«حسنًا... توجد هنا أشجار كثيرة».

استدعاها موظف الاستقبال، وكان أحد الممرضين في منتصف العمر قد جاء إليها، وراح يتحقق من محتويات حقيبة أختها قبل دخولها إلى المصحة: ملابس داخيلة، وملابس عادية، وخفّ، وحاجيات الحمام. ثم نثر الملابس وقام بفرزها قطعة قطعة بعناية، متحققًا من عدم وجود أيّ خيوط أو دبابيس معدنية. قام باستبعاد حزام المعطف الصوف الطويل، وطلب منهما أن تتبعاه.

فتح الممرض الباب المؤدي إلى جناح المرضى. ثم دخل، ومن خلفه تبعته هي مع يونغ هيه. أثناء عبورها قامت بتبادل التحية مع الممرضات. كانت يونغ هيه هادئة تمامًا.

في النهاية كانت في جناح يضم ستة مرضى. أنزلت الحقيبة وألقت نظرة عن قرب على قضبان النافذة وإطارها ثم عادت. في

تلك اللحظة، كانت لا تزال لم تشعر بالذنب، لكنها كانت تشعر بحملٍ ثقيلٍ على صدرها. بينما يونغ هيه ظلّت لا تتفوه بكلمة واحدة وهي تسير إلى جانبها.

«هنا أيضًا يمكن مشاهدة الكثير من الأشجار!».

بينما كانت تطبق شفاهها بحدّة محدّثة نفسها: «لا تكوني ضعيفة القلب. إنها على أية حال حملٌ لا تستطيعين حمله. لن يلومك أحد. لقد فعلتِ كل ما في وسعك لأجلها. يكفي إلى هذا الحدّ».

لم تكن تنظر إلى وجه يونغ هيه الواقفة إلى جوارها تنظر إلى أسفل نحو انعكاس أشعة شمس مقدم الشتاء الساطعة على أشجار الأرز التي كانت تحتفظ بنظارة وخضرة أوراقها.

في النهاية وبصوت هادئ منخفض حدثتها يونغ هيه كأنها تواسيها:

«يا شقيقتي الكبرى!».

كانت تفوح من جاكيت يونغ هيه الأسود القديم رائحة أشبه برائحة النفتالين.

لم تردّ عليها، فحدثتها يونغ هيه ثانية:

«يا شقيقتي الكبرى!». ثم همست قائلة: «يا أختي الكبرى! كل الأشجار في العالم أشقّاء!».

***

مشت متجهة نحو ملحق المبنى رقم واحد بعد أن تجاوزت الملحق رقم اثنين. كانت ترى المرضى يلتصقون بالأبواب

الزجاجية بشدّة ناظرين إلى الخارج. فبسبب هطول الأمطار لعدة أيام لم يتمكنوا من التمشية ولذا ربما أحسّوا بالسأم. ضغطت الجرس في بهو الطابق الأول، فجاء أحد المكلفين بالحراسة من غرفة التمريض حاملًا المفتاح، وكان في أواخر الأربعينات من العمر. أعلمتها موظفة الاستقبال بأنها ستصحب أختها الصغرى إلى الطابق الثالث لإتمام الإجراءات الناقصة في ملف دخولها المستشفى، بينما بقيت هي هناك تنتظر.

فتح الحارس الباب، ثم باستخفاف واضح أدخل المفاتيح ثانية وأقفله. لاحظتْ أنّ مريضة شابّة كانت تلصق خدّها بالناحية الأخرى من زجاج الباب وتتطلع باستغراق فيها، وتتفحصها بعينين خاويتين. بكل تأكيد لو كانت شخصًا متعافيًا لما حدَّقت إلى غريب عنها على هذا النحو. ثم بينما تطلعُ السلالم إلى الطابق الثالث سألت الحارس:

«كيف أحوال شقيقتي الصغرى الآن؟».

التفت الحارسُ إلى الوراء، هازًا رأسه وقال:

«امتنعتْ عن الكلام. وحاولت أمس نزع إبرة الوريد الموصولة بكيس المحاليل، لكننا استطعنا إعادتها. من أين تأتيها تلك القوة التي قاومتنا بها؟!».

«إذًا هي في غرفة الحالات غير المستقرة؟».

«لا، لقد استيقظت قبل قليل، وقمنا بنقلها إلى الجناح. لعلهم أبلغوك بأنهم سيضعون لها أنبوبًا أنفيًّا في الساعة الثانية، أليس كذلك؟».

تبعت الحارس إلى ردهة الطابق الثالث. في الأيام المشرقة يجلس المرضى كبار السنّ على المقعد الكبير باحثين عن الشمس

كأنهم نباتات عبّاد الشمس، وآخرون يكونون منهمكين في لعب تنس الطاولة، مستمتعين بحماسة بالموسيقى المبهجة المنبعثة من غرفة التمريض. لكن اليوم، يبدو أنّ المطر قد ابتلع كل أشكال النشاط. فالردهة هادئة تمامًا. ربما دخل معظم المرضى إلى أجنحتهم. كان المصابون بفقدان الذاكرة يطوون أكتافهم ويقضمون أظافرهم ناظرين إلى أقدامهم، بينما بعض المرضى صامتين ملتصقين بالنافذة، وكانت طاولة التنس خاوية.

نظرتْ إلى الأسفل بامتداد ممرّ الجناح الغربيّ، حيث كانت شمس بعد الظهيرة تسطع في آخره عبر النافذة الكبيرة أكثر من أي بقعة أخرى في المكان.

قبل أنْ تختفي يونغ هيه في الغابة في مارس الماضي وسط انهمار الأمطار، وعندما جاءت لزيارتها، لم تأتِ يونغ هيه إلى غرفة الزيارة. أبلغتها مسؤولة التمريض في الاستقبال على الناحية الأخرى بأنّ شقيقتها الصغرى ترفض، منذ عدة أيام، أنْ تبرح الجناح في تصرّفٍ غريب. حتّى في وقت التمشية المحببة جدًّا لدى المرضى، والذي تسمح به المستشفى في ساعة محدَّدة هي ترفض الخروج. طلبتْ من مسؤولة التمريض أن تراها بعد أن أخبرتها أنها قد قطعت مسافة طويلة لأجل ذلك. فجاء حارسٌ لمرافقتها.

في نهاية الممر الغربي لمحتْ مريضةً تقف على يديها. عندما دقّقت في هيئتها لم تصدّق أنها يمكن أن تكون يونغ هيه إلى أنْ تحققت الممرضة منها بعد أن تعرّفت على شعرها الطويل؛ تلك الممرضة التي كانت قد تكلمت معها منذ قليل وأرشدتها إلى تلك الوجهة. كانت يونغ هيه في وضع معكوس بحيث كان كتفاها على

الأرض، بينما كان وجهها متوهجًا بحمرة ما يسري فيه من دماء. ثم بصوت ممزوج بالإحساس بالسأم قالت لها الممرضة:

«إنها على هذا النحو منذ نصف ساعة!».

ثم تابعت:

«بدأ الأمر منذ يومين. إنها ليست كباقي مرضى الفصام الكتاتوني، لا يدركون ما يحدث حولهم وصامتون دائمًا. حتى أمس كنا نُدخِلها الجناح بالقوة، لكنها حالما تدخل الجناح، تُعاود الكرّة من جديد وتقف على يديها... من دون أن يكون بيدنا حيلة لمنعها».

قبل أنْ تتركها الممرضة عائدة إلى غرفة التمريض، توجهت إليها بالحديث قائلة:

«... لو دفعتِها بقوّةٍ نوعًا ما ستسقطُ. افعلي ذلك إن لم تُولِ اهتمامًا لحديثك إليها. وإلّا سيكون علينا أن نجبرها على دخول الجناح».

تُركت وحدها جالسة القرفصاء تنظر في عيني يونغ هيه. ستبدو ملامح أي شخصٍ مختلفة إن انقلب ووقف على يديه. كان وجه يونغ هيه يبدو نحيلًا، لكن الجلد في أسفل وجهها كانت حمرةٌ من نوعٍ ما تندفع فيه. عيناها تلتمعان بوضوح، محدقتين إلى موضع ما فيٍ الفراغ، ولم يبدُ عليها أنها انتبهت لوجودها.

«... يونغ هيه!».

لم تردّ عليها، فعاودت مناداتها بصوت أعلى:

«يونغ هيه! ماذا تفعلين الآن؟ انهضي حالًا».

ثم مدّت يدها نحو خدّ يونغ هيه المتوهج:

«انهضي يونغ هيه! ألا يؤلمك رأسك؟ وجهك محمَرٌّ جدًّا!».

أخيرًا، دفعت جسد يونغ هيه بقوّة، فاعتدلت بعد أنْ لامست قدماها الأرض، وقامت هي على الفور بتدليك رقبتها.

«... يا شقيقتي الكبرى!».

انفرجت أسارير يونغ هيه ثم تابعت قائلة:

«متى حضرتِ؟».

بدت وكأنها قد أفاقت للتو من حلمٍ جميل، في حين أن وجهها بدا مشرقًا.

أرشدهما الحارس الذي كان يتابعهما إلى غرفة الكشف الملاصقة للبهو، حيث غرفة الزيارة التي تقع إلى جانب الاستقبال والتي خُصصت لأولئك المرضى الذين يصعب عليهم مقابلة ذويهم في غرفة الزيارة أثناء الوقت المخصص للزيارة. ربما كانت هي تلك الحجرة ذاتها التي قابلت فيها الطبيب الاستشاري من قبل على ما يبدو.

وضعت الطعام الذي أحضرته على الطاولة، فإذا بيونغ هيه تقول: «يا شقيقتي الكبرى! ليس عليك أنْ تُحضري هذه الأشياء!».

ثم ضحكت وأكملت بمرَح: «فأنا من الآن فصاعدًا لن آكلَ».

«ما هذا الذي تقولينه؟».

لاحظت مشدوهة وهي تحدّق في وجه يونغ هيه، أنها لم تره مشرقًا على هذا النحو منذ مدة طويلة. لا، بل لم تره هكذا من قبل.

لكن يونغ هيه بدلًا من الرد عليها سألتها:

«يا شقيقتي الكبرى! أتعلمين؟».

«... ماذا؟».

«أنا! لم أكن أعرفُ. كنتُ أعتقدُ بأنّ الأشجار تقف بنفسها منتصبة... لكني أدركتُ الآنَ أنها جميعًا تقف على ذراعين ثابتتين فوق الأرض. انظري، انظري هناك، أليس هذا مدهشًا؟!».

نهضتْ يونغ هيه واقفة، وأشارت إلى النافذة:

«جميعها.. جميعها تقف على ذراعيها!».

ضحكت يونغ هيه بصوت يشبه العواء. فتذكرت هي لحظات من الطفولة عندما كان تعبير وجه يونغ هيه يشبه تعبير وجهها الآن، وكانت عينها بجفنٍ واحد، وضحكتها البريئة تندفع من فمها بتلقائية في ما يشبه العواء.

«هل تعلمين كيف عرفتُ ذلك؟ إنه الحلم. كنتُ أقف على يديّ... والأوراق تنبتُ من جسدي. والجذور تبزغ من يديّ... حفرتُ في باطن الأرض. حفرت باستمرارٍ دائمًا وأبدًا... ولكي تزهر الورود من أعلى فخذيّ، باعدتُ بين ساقيّ. باعدتُ بينهما بأقصى ما استطعتُ».

نظرتْ بامتعاضٍ إلى عينَي يونغ هيه المحمومتين، وهي تتكلم:

«أنا، يجبُ أن أروي جسدي. يا شقيقتي الكبرى! أنا لا أحتاجُ إلى مثل هذا الطعام. أحتاجُ إلى الماء فحسب».

***

«شكرًا جزيلًا على جهودكم».

كانت تتوجّه بالشكر إلى رئيسة التمريض. قدّمت إليها كعك الأرز الذي أحضرته، ثم حيّت كل الممرضات. وكانت تطرح أسئلتها الاعتيادية عن حالة يونغ هيه وتتلقى منهم الرّدود.

تقدمت نحوها مريضة في الخمسينات من العمر كانت تسير ناحية النافذة. لقد ظنّتها خطأً إحدى الممرضات، فانحنت لتحيتها ثم قالت لها:

«رأسي يؤلمني. اطلبي من الطبيب أن يغيّر دوائي من فضلك».

«أنا لستُ ممرضةً. لقد جئتُ لزيارة شقيقتي الصغرى».

حدّقت المرأة في عينيها بعمق.

«أنقذيني من فضلك... رأسي يؤلمني. لا أستطيع العيش هكذا. كيف لي أنْ أعيش على هذا النّحو».

ثم إن مريضًا في العشرينات من العمر التصق بظهرها. هذه الأمور تحدث في مثل تلك المستشفيات بين الحين والآخر ولكنها أحسّت بالقلق. فمثل هؤلاء المرضى لا يقدّرون المسافات والأبعاد المناسبة بين أجسامهم وأجسام الآخرين، كما لا يقدّرون الزمن المناسب لمواصلة النظر إلى الآخرين، فيحدّقون كما يحلو لهم. ومن ناحية أخرى، إن تحديق الكثير منهم إلى الآخرين لا يعني أكثر من شرود الذهن في عوالمهم الخاصة.

كثيرون منهم تكون رؤيتهم البسيطة جدًّا للعالم غير سليمة، فيحسبون البعض وسط الحشود المرئية مِن أفراد الطاقم الطبي المعالج. على هذا النحو رأتها إحدى المريضات ذات مرة فتوجهت إليها:

«أيتها الممرضة! لماذا بحقّ السماء لا يفعل أحدٌ شيئًا لهذا الشخص؟ إنه يواصل الالتصاق بي!».

على ما يبدو، كانت حالة التوهّم عند هذه المريضة تزداد سوءًا في كل مرّة تذهب فيها إلى المستشفى.

انحنت ثانية لتحية الممرضين والممرضات، ثم قالت:

«سأذهب أولًا وأتحدّث إلى شقيقتي الصغرى».

لكن بدا أن تعابير وجوه الممرضين والممرضات ظلّت غير مكترثة! فربما قد أتعبتهم كلهم يونغ هيه، كما كان واضحًا أنه ليس لديهم بريق أمل في إمكانية تأثير محاولتها تلك على شقيقتها الصغرى. شقّت طريقها بحذر وسط المرضى. كانت حريصةً ألّا ترتطم بجسد أحد منهم. فبحذرٍ تفسح لنفسها الطريق وتمضي سائرة نحو الممر الشرقيّ، حيث جناح يونغ هيه. كان باب الجناح مفتوحًا، وكانت امرأة صغيرة السن بشعرٍ قصيرٍ قد تعرفت عليها فور دخولها:

«ها أنتِ قد جئتِ؟».

إنها السيدة «هي جو» التي تتلقّى علاجًا من إدمان الكحوليات والهوَس الخفيف. بنيانها الجسدي قوي، وصوتها أجشّ، لكنّ عينيها المستديرتين قد منحتاها ملامح امرأة لطيفة. في هذه المستشفى يقوم المرضى الذين يحسنون توظيف قدراتهم برعاية المرضى المصابين بالخبل نظير بعض النقود تكفي لمصروف الجيب. فعندما واصلت يونغ هيه الامتناع عن تناول الطعام، قامت «هي جو» برعايتها والعناية بها.

«شكرًا على جهودك».

كانت على وشك أنْ تضحك حينما مدت هي جو يدها الرطبة لتمسك يدها.

«ماذا نفعل؟ يُقال إن يونغ هيه على وشك أنْ تموت!».

كانت عيناها المستديرتان مشبعَتَيْن بالدموع.

«كيف حالها اليوم؟».

«لقد تقيأت دمًا قبل قليل. إنها لا تتناول الطعام، ولذا فإن عصارتها المعوية تلتهم جدار المعدة، فضلًا عن تلك التشنجات المستمرة، وهذه الدماء التي تنزفها؟».

كانت هي جو قد أوشكت على النحيب، ثم تابعت:

«لم تكن على هذه الحال عندما بدأتُ أرعاها... لو أنني أحسنتُ الاعتناء بها، أكانت ستصير بحالٍ أفضل؟ لم أكن أدري أنه سينتهي بها الحال على هذا النحو! ربما لم يحدث لها كل هذا لو أني لم أتحمّل مسؤولية العناية بها».

كانت نبرة السخط في صوت هي جو تزداد حدّة. سحبت يدها من يد هي جو واتجهت بهدوء نحو سرير شقيقتها الصغرى بينما تفكر أنه من الأحسن لو لم تلتقِ عيناهما، ولكن مَن ذا الذي يستطيع أنْ يُخفي عينيه؟!

ترقد يونغ هيه ممدِّدة جسمها على السرير وعيناها تتطلعان باتجاه الخارج عبر النافذة. ولكن عندما تأملتها بدقةٍ وجدت أنها لا تنظرُ نحو شيء تقريبًا. بدا نقص الوزن واضحًا عليها، فلم يبقَ شيء على وجهها وكتفيها وذراعَيْها وساقَيْها، وقد بدت هيئتها عن قربٍ كإحدى لاجئات كوارث المجاعات. لاحظتْ أن شعرًا طويلًا نما بغزارة على ساعدَيْها وخدَّيها، كذلك الذي يكون على أجساد الأطفال عند مولدهم، وقد فسر لها الطبيب ذلك بأن جوعها لفتراتٍ طويلةٍ تسبب في اختلال هرموناتها.

أتريد أن تستحيلَ إلى طفلةٍ ثانيةً؟! كانت الدورة الشهرية قد انقطعت عنها منذ مدة طويلة، وأصبح وزنها أقل من ثلاثين كيلوغرامًا، ولم يتبقّ شيء يُذكر من صدرها، وها هي ترقد كطفلةٍ من دون أدنى علامة من علامات الأنوثة.

قلبت جسم يونغ هيه، الذي لم يهتزّ حتى. قلبته على الناحية الأخرى، وتحققت من عدم إصابتها بقرحة الفراش على ظهرها وفقراتها العصعصية، بينما ما زالت المنطقة التي كانت ملتهبة في آخر مرة لم تتحسن بعد. ثم تطلعت في البقعة المنغولية الباهتة على ما تبقى من إليتيها الهزيلتين، بينما الورود المرسومة التي بزغت من تلك البقعة وانتشرت على جسدها كانت تومضُ بوضوح أمام عينيها.

«شكرًا جزيلًا هي جو».

«... أنظّف جسمها كل يوم بمنشفةٍ مبللة، وأرطّب جلدها ببعض مساحيق الترطيب، ولكنّ لأن الجوّ رطبٌ، فلم يتعافَ هذا الالتهاب بسرعةٍ».

«شكرًا جزيلًا لكِ، حقًّا».

«اعتدتُ أن أطلبَ مساعدة من إحدى الممرضات عند تحميمها. كان ذلك متعِبًا. الآن وقد صارت خفيفة جدًّا، لم يعد الأمر شاقًّا على الإطلاق، فأنا أحسّ بأني أرفع طفلة صغيرة. كنتُ أريدُ أنْ أحمّمها اليوم، لكني سمعتُ أنك ستقومين بنقلها إلى مستشفى أخرى. لذا قد تكون هذه آخر مرة».

احمرّت عينا هي جو من جديد.

«حسنًا! هيًّا سنحمّمها معًا بعد قليلٍ».

«نعم. بعد قليلٍ ففي الساعة الرابعة سيكون هناك ماء ساخن».

ثم مسحتْ عينيها المحمرّتين.

«إذًا. أراكِ لاحقًا.. عند الرابعة».

أومأت برأسها إلى هي جو التي كانت في طريقها إلى الخروج، ثم غطّت جسم يونغ هيه بالملاءة وعدّلتها بحيث لا تظهر ساقاها

من تحتها. ثم وجدت أوعية دموية متهتكة في ذراعيها وباطن قدمَيْها وكوعَيْها، وتحققت من عدم وجود آثار مماثلة في المنطقة الحساسة من جسمها. لو كان ذلك جرّاء إعطائها البروتينات والغلوكوز بالحقن، فليس هناك آثار تهتك في المواضع المحتملة لإدخال الإبر. السبب المرجّح أنهم وصّلوا أنبوب الحقن بأحد شرايين كتفها. لقد أبلغها الطبيب المسؤول خلال اتصال هاتفي معها أنهم سيجرون ليونغ هيه عملية جراحية خطيرة، حيث سيُدخلونَ أنبوبًا طويلًا في أنفها. لقد حاولوا ذلك عدة مرات، لكن باءت كل محاولاتهم بالفشل، لأنّ يونغ هيه كانت تغلق مريئها. ولذلك سيقومون بمحاولة أخيرة اليوم، وإن لم ينجحوا، سيكون من الصعب إبقائها في هذه المستشفى.

قبل ثلاثة أشهر، وبعد أنْ تم العثور على شقيقتها الصغرى في الغابة، وكانت آنذاك قد جاءت للزيارة في موعد الزيارة المحدَّد، أبلغتها يومها موظفة الاستقبال أنّ الطبيب الاستشاري المسؤول يريد مقابلتها. ولأنها لم تقابله منذ أدخلت يونغ هيه هذه المستشفى، فقد ساورتها مخاوف شديدة.

«... نحن نعلم أنّه يزعجها جدًّا لو رأت لحومًا في أطباق فواتح الشهيّة، ولذا فالمستشفى تنتبه إلى هذا جيدًا في كل مرّة يُقدَّم فيها الطعام. لكنها الآن لم تعد تأتي إلى البهو في أوقات الوجبات، وحتى لو أخذنا أطباق الطعام إلى جناحها، لا تتناول شيئًا. انقضت أربعة أيام على هذه الحالة الآن، وقد بدأ الجفاف ينالُ منها منذ بدأت تقاوم كل محاولاتنا لإطعامها بالحقن... الأبعد من كل ذلك أنها لم تعد تتناول الدواء بشكل مناسب».

آنذاك، كان الطبيب يتشكك في تناول يونغ هيه الدواء طوال

الوقت من الأساس. كانت الأمور تسير في تحسُّن تلقائي يطمئن قلبه، لكنه فيما يبدو أحسّ بأنه ارتكب خطأً ما. صباح ذلك اليوم، خطر للممرضة أن تتحقّق من تناولها الدواء، فطلبت منها أنْ تُخرِجَ لسانها، لكن يونغ هيه لم تستمع إليها، وعندما رفعت الممرضة لسانها عنوة، وتفحّصت فمها بواسطة مصباح يدوي، كانت أقراص الدواء لا تزال هناك.

في ذلك اليوم، كانت يونغ هيه راقدة في جناحها، وإبرة المحاليل مغروزة في ظهر يدها، سألتها قائلة:

«لماذا تتصرّفين هكذا؟ ماذا كنتِ تفعلين في الغابة المظلمة؟ ألم تشعري بالبرد؟ وماذا لو أصابك مرضٌ خطير؟».

كان وجه يونغ هيه جافًّا بالفعل، وشعرها المنطفئ الخشن ملبّدًا كأعشاب بحريّة.

«عليك أنْ تأكلي. أتفهّم أنك تكرهين تناول اللحوم، فلماذا تمتنعين عن تناول الأطعمة الأخرى؟».

كانت شفتا يونغ هيه تهتزّ بخفةٍ وهدوء، وقالت:

«أشعر بالعطش. أعطيني ماءً».

ذهبتْ إلى البهو وأحضرت الماء وعادت، وبعد أن شربت يونغ هيه، أخذت نفسًا قصيرًا، وفي لهاثٍ سألتها:

«يا شقيقتي الكبرى! هل تحدّثتِ مع الطبيب؟».

«نعم، تحدثتُ معه. لماذا لا تتناولين الطعـ...».

فقاطعتها يونغ هيه قائلة:

«أنا! يُقال إنّ كلَّ ما بداخلي أصابه الضمور».

لم تستطع أنْ ترد عليها ولو بكلمة واحدة، بينما حرّكت يونغ هيه وجهها الشَّاحب بالقرب منها قائلة:

«يا شقيقتي الكبرى! الآن. أنا لستُ حيوانة!».

تطلّعتْ يونغ هيه في الجناح الذي لا يوجد فيه أحدٌ غيرهما كأنها ستُفشي سرًّا مهمًّا قائلة:

«لستُ في حاجةٍ إلى تناول الطعام وما شابه ذلك. يُمكنني أنْ أعيش على أشعة الشمس فحسب».

«ما هذا الذي تقولينه؟ أتعتقدين حقًّا أنك قد أصبحتِ شجرة؟ كيف يمكن لنباتٍ أنْ يتكلَّم؟ كيف تفكرين على هذا النحو؟».

التمعت عينا يونغ هيه، وارتسمت على وجهها المشرق ابتسامة غامضة ثم قالت:

«يا شقيقتي الكبرى! كلامك صحيح..! فورًا الآن؛ الكلام والأفكار ستختفي جميعها حالًا».

ثم اندفعت ضاحكةً ملتقطةً أنفاسًا لاهثة قائلة:

«فورًا بالفعل. انتظري قليلًا يا شقيقتي الكبرى!».

***

يمرُّ الوقتُ.

لم تكن نصف الساعة التي منحوها إيّاها بالوقت الطويل. عندما جاءت كانت الأمطار تتساقط خفيفةً. الآن لم تعد تنزل على شبكة الناموس خارج النافذة، فعلى ما يبدو أن المطر قد توقّف قبل قليلٍ.

جلسَتْ على الكرسي الموضوع ناحية رأس يونغ هيه. ثم فتحت حقيبتها وأخرجت العديد من العُلب مختلفة الأحجام. كانت عينا يونغ

هيه فارغتين ولم تتطلعا إلى أي شيء على الإطلاق. فتحتْ أصغر العُلب أولًا، ففاحت رائحة زكيّة عبر هواء الجناح المفعَم بالرطوبة.

«يونغ هيه! إنه خوخ. خوخ «هونغ دو» المُعلّب. أنت تحبينه. لقد اعتدتِ شراءه وأكله كالأطفال حتّى في موسم الخوخ الطازج!».

أخذت قطعة من الخوخ بالشوكة، ثم قرّبتها من أنفها.

«شُمّي هذه الرائحة... ألا ترغبين في تناولها؟».

العُلبة التالية كانت تحتوي على مكعبات البطيخ المقطعة التي تحبُّ يونغ هيه أكلها. فتحتها وقالت:

«وأنتِ صغيرة، في كل مرة كنتُ أقوم بتقطيع البطيخة إلى نصفين، كنتِ تأتين وتشمّينها. ألا تتذكرين؟ كان البطيخ الذي نقطعه بالسكين ينشر رائحته في كل أرجاء المنزل».

ظلّت يونغ هيه ساكنة. وتساءلتْ كيف يتأتى لشخصٍ أنْ يتضوّر جوعًا لثلاثة أشهر؟ الرأس يضمرُ. وجه البالغين يضمرُ إلى حد أنه لا يكاد يُرى؟! هذا هو وجه يونغ هيه الصغير الآن.

حاولت أن تفتح فم يونغ هيه بكل حذرٍ لتضع قطعة بطيخ داخله بعصاتي الأكل، لكن فم شقيقتها الصغرى كان مطبقًا بإحكام.

«... يونغ هيه!».

راحت تناديها بصوتٍ هادئ:

«يونغ هيه! أجيبيني».

هزّت كتفي شقيقتها الصغرى، وقاومت اندفاعها لتفتح فمها عنوةً. لقد أرادت أنْ تصرخَ في طبلة أذنها مباشرة: ما هذا الذي تفعلينه الآن؟ هل تسمعينني؟ أتريدين أنْ تموتي؟ هل حقًا تريدين الموتَ؟!

ظلّت في حيرة من أمرها، وبداخلها فوران يغلي كالزّبَد من الغضبِ.

***

يمرُّ الوقتُ.

أدارتْ وجهها وراحتْ تنظرُ عبر النافذة، وعلى ما يبدو كان المطر قد توقّف تمامًا. لكن السماء لا تزال ملبدة بالغيوم، والأشجار المبلّلة صامتة، وكذلك الطابق الثالث، والغابة الترفيهية الشهيرة بجبل «تشوك سونغ» ذي الحواف العديدة تبدو بعيدةً في الأسفل، كما أن تلك الحواف تبدو أيضًا صامتة.

فتحتْ وعاءً حافظًا للحرارة أخرجته من حقيبتها، ووضعت في كوب معدنيّ مقاوم للصدأ وحافظ للحرارة بعضًا من شاي السَّفرجل كانت قد أعدَّته.

«يونغ هيه! جرِّبي بعضًا منه. طعمه طيّبٌ فعلًا».

ارتشفت بعضًا منه بنفسها أولًا، بينما كان المتبقي على طرف لسانها حلو الطعم وزكي الرائحة. ثم سكبت بعض الشاي على منديل ورطّبت به شفاه يونغ هيه التي ظلّت لم تحرّك ساكنًا.

«أتريدين أنْ تموتي على هذا النحو؟ هذا ليس جيِّدًا. إن كنتِ تريدين أن تصبحي شجرة، عليكِ أنْ تأكلي، وأنْ تبقي على قيد الحياة».

توقفت عن الكلام لِتَحَشْرُج أنفاسها. أخيرًا انتابها شكٌّ لم تكن تريد الاعتراف به؛ أكانت تفكر على نحو خطأ؟ ألم يكن ذلك الموت تحديدًا هو ما تتعقبه يونغ هيه منذ البداية؟

«لا». كانت تحدّث نفسها فحسب. «أنتِ لا تحاولين أن تموتي».

قبل أن تصمت تمامًا عن الكلام، قبل شهرٍ من الآن، حدثتها يونغ هيه قائلة:

«يا أختي الكبرى! أخرجيني من هنا رجاءً».

الآن، وفي وقتٍ قصيرٍ جدًّا، فقدت وزنها، وصارت شخصًا مختلفًا تمامًا، فقد ضَمُرَ وجهها، كما لم تعد تتحدث كثيرًا. فربما صارت الجمل الطويلة تُتعبها، فضلًا عن حشرجة لهاثها الواضحة عند التحدّث. وقالت لها حينها:

«الجميع يطلبون مني دائمًا أنْ آكلَ... أنا أبغضُ الطعام، ومع ذلك يجبرونني على تناوله. في المرة الماضية تقيأتُ فور تناولي الطعام... وبالأمس، حالما أكلتُ أعطوني حقنة منوّمة. يا شقيقتي الكبرى! أنا أكره هذه الحقنة. حقًا أكرهها... أخرجيني من هنا من فضلك. أنا أكره هذا المكان».

أمسكتْ يد يونغ هيه النحيلة، ثم خاطبتها قائلة:

«أنتِ لا تستطيعين المشيَ جيِّدًا الآنَ. وبفضل هذه الحقن تمضين قُدمًا... إذا رجعتِ إلى المنزل، هل ستتناولين الطعام؟ لو تعدينني بذلك فسوف أخرجك من هنا!».

آنذاك، لم تفُتها فرصة أنْ ترى خفوتَ الضوء في عيني يونغ هيه:

«يونغ هيه! أجيبيني. لو تعديني فحسب!».

أشاحت يونغ هيه بوجهها بعيدًا، وبصوتٍ يُسمع بالكاد قالت:

«أنتِ أيضًا يا شقيقتي الكبرى مثلهم!».

«ما هذا الذي تقولينه؟ أنا...».

«لا أحد يفهمني... الطبيب، والممرضات... كلهم سواء... لا يحاولون حتى أنْ يفهموني... يعطونني الدواء، ويخزونني بالحقن».

كانت تتحدث ببطءٍ وهدوء، لكن صوتها كان حاسمًا. ولم تستطع شقيقتها الكبرى أنْ تكبح جماح غضبها أكثر من ذلك، فصاحت فيها قائلة:

«أنتِ! ستموتين على هذا النحو!».

أشاحت يونغ هيه بوجهها، بينما كانت تحدّق إليها كأنها مجرد امرأة غريبة، ثم بعد لحظاتٍ سألتها:

«وهل الموت أمر سيئ؟».

***

هل الموت أمر سيئ.

كيف تستطع شقيقتها الكبرى أنْ تجيب عن ذلك السؤال. كيف تسنّى ليونغ هيه أن تتفوّه بمثل هذا الكلام؟ هل عليها دائمًا أنْ تتكفّل بكل شيء وحدها؟

منذ وقتٍ طويل. كانت تتمشى معها في الجبل. وكانت يونغ هيه في التاسعة من العمر. وأثناء مشيهما قالت لها:

- «لم لا نبقى هنا؟».

لكنها حينها لم تستطع أن تفهم مقصدها. فردت على الفور:

«ماذا تقولين؟ سيحلّ الظلام قريبًا. علينا أن نُسرعَ بحثًا عن طريق العودة».

الآن، وبعد مرور كل هذا الوقت، تستطيع أنْ تفهم ما قالته يونغ هيه آنذاك.

كانت شقيقتها الصغرى تتلقّى صفعات أبيها العنيفة بألم أكثر من بقيتهم. كان يونغ هو مثلًا يرد صفع أبيه بأن يوجّهه إلى أولئك

الأطفال الآخرين الذين يلعب معهم في القرية، ولذا كانت معاناته أقل من يونغ هيه. وكانت بحكم كونها الابنة الكبرى تساعد أمهم المنهكة، وتعدُّ لوالدهم حساءً يساعد على التخلص من الآثار الضّارة الناتجة عن تناول الكحوليات. فكان يوليها عناية مختلفة لكنه لم يثنِ على حنوّ يونغ هيه وفطنتها قطّ، مع أنها وحدها من بين ثلاثتهم التي لم تقاومه؛ كانت تستوعب كل تلك المعاناة التي تنخر عظامها. كابنة كبرى أصبحت تدرك كل ذلك الآن. فقد تدربت بنفسها، لا بقدر من الكدّ السابق جدًّا لأوانه، وإنما بالجُبن. كان الجبن هو الطريق الأوحد للنجاة فحسب.

ألم يكن بوسعي منع ذلك؟ كل تلك الأشياء التي تستعصي على التخيُل والتي نخرت عظام شقيقتها الصغرى ألمًا!

ها هي الآن ترى هيئة يونغ هيه من الخلف بينما كانت تقف في الخارج وحدها عند بوابة البيت وقت غروب الشمس. كما تتذكّر كيف تمكنتا من النزول من ذلك الجبل، ولكن من ناحية كانت عكس اتجاه القرية، فكان عليهما أنْ يركبا جرّارًا زراعيًّا على طريق غير مألوفٍ في ظلمة الليل. كانت قد أحسّت براحة في قلبها عند وصولها، بينما يونغ هيه كانت تعيسة، ولا تتكلم، وجلست تتطلّع في أشجار الحور المتوهجة بالأضواء الليلية.

لو أنها نفّذت ما طلبته يونغ هيه ذلك المساء بأن يفرّا من البيت إلى الأبد، أكانت الأمور مختلفة الآن؟

ثم خلال اجتماع العائلة في ذلك اليوم، لو أنها أمسكت ذراع أبيها بكل ما أوتيت من قوّة قبل أنْ يصفع يونغ هيه على خدّها، أكانت كل الأشياء تغيّرت؟!

وعندما قابلت عريس يونغ هيه، وكان الانطباع الأول عنه أنه

شخص بارد ولم يعجبها على نحو ما، لو أنها حالت دون حدوث هذا الزواج مُتَّبِعةً حدسها، أكانت كل الأمور تغيّرت؟!

على ذلك النحو كانت تستدعي كل ما يمكن فعله لأجل تعديلٍ مستحيلٍ لمسار قدَر يونغ هيه المحتوم. فقد كانت حياة يونغ هيه كأحجار «بادوك»[1]، كل واحدةٍ منها موضوعة على حدة ودونما حساب.

ظلّت تفكر على هذا النحو مستمرّةً في تخيّلاتها. آه! لو أنها هي شخصيًّا لم تتزوج بزوجها.. في النهاية، وبينما كانت تدور بعقلها كل تلك الأفكار، أحسّت بأنّ رأسها ثقيل، وأنّ كل ما في داخله قد توقّف عن الحركة تمامًا.

لم تستوثق من حبّه لها قطّ. ومن دون أن تعرفه حق المعرفة، وبلا وعيٍ، تزوجت منه. ألم تكن في حاجة ماسّة إلى مواساته تخفيفًا عنها ولو بدرجة بسيطة؟ رغم أنّ عمله لم يكفل أيّ دعم مادي لبيتهما، لكنها كانت تحب الجو العام داخله، كما لو كانا زوجين أحدهما معلّم والآخر طبيب. أسلوبه، وميوله، وتفضيلاته، وذائقته، واليعاسيب التي يتعلّق بتصويرها، لأجل ذلك كله كانت تمنحه كل قدراتها. في البداية كانا مجرد زوجين عاديَّيْن، ورغم أنّ الجدال بينهما كانت تتفاوت حدته بين الشّدة والبساطة، وعلى الرغم من أنه لم يكن قد مرّ وقت طويل بينهما، إلا أنّ إمكانية تخليها عن كل شيء، وأي شيء، كانت مطروحة أمامها. لكن ألم

(1) أحجار صغيرة باللونين الأسود والأبيض توزَّع على اللاعبين المتنافسين على رقعة مقسمة إلى مربعات تشبه لعبة الشطرنج، وتُرص قطع الأحجار على الرقعة طبقًا لحسابات معينة ووفقًا لهدفين أساسيين؛ الأول هو تنفيذ مخطط الفوز، والثاني منع أو إفشال خطط المنافس، وهي لعبة شهيرة ولها شعبية كبيرة في شرق آسيا بشكل عام. (المترجم).

يكن ذلك كله من أجله هو؟! عاشا معًا ثماني سنوات، وبقدر ما أحبطها هو، ألم تتسبب له في إحباطات في المقابل؟!

اتصل بها مرة واحدة بعد مرور تسعة أشهر. كان ذلك في منتصف الليل تقريبًا. بدا أنه كان يتصل من مكانٍ بعيد، لأن صوت سقوط قطع العملات المعدنية كان مسموعًا عبر طقطقات خط الاتصال.

«أريدُ أن أرى جي وو».

تنهيداته ذاتها كما هي. كان يحاول أنْ يتماسك بأقصى ما لديه من قوّة كي يبدو هادئًا، فكان صوته كسكينٍ حادٍّ ينغرس في صدرها.

«ألا يُمكنك أنْ تسمحي لي برؤيته ولو لمرة واحدة؟».

كان هذا ما قاله. لم يعتذر معترفًا بخطئه، ولم يستجدِها طلبًا للصفح عنه. كان يتحدث عن ابنه فحسب. بل لم يسأل حتى عمَّ آلت إليه أحوال يونغ هيه.

كانت تدرك تمامًا إلى أي درجة هو شخص حسّاس، كما كانت تعلم جيدًا إلى أي حدٍ يمكن أن يُجرحَ كبرياؤه بسهولة. وكانت متأكدة من أنها لو رفضت طلبه لمرة واحدة، لن يعاود الاتصال ثانية إلّا بعد وقتٍ طويلٍ جدًّا.

تعرف ذلك. لا، بل لأنها تعرف كل ذلك، فقد وضعت سماعة الهاتف. ومن دون أن تردَّ على طلبه، أنهت الاتصال.

كشك هاتف عمومي في منتصف الليل. حذاء رياضي. ملابس رثّة. وجه بائس لشخص يبدو في منتصف العمر. هزّت رأسها محاولةً مسح هيئته تلك من داخلها. بينما كانت تطفو على السطح صورته عندما كان واقفًا باستكانةٍ يريد أنْ يرمي بنفسه من شرفة يونغ هيه الكبيرة كما لو كان طائرًا. ومع أنّ أعماله التصويرية قد

تضمّنت العديد والعديد من المشاهد عن الطيران، بيد أنه عندما كان في حاجةٍ ماسَّة إلى الطيران، ولم تواته الجرأة!

في النهاية، تذكرت عينيه في تلك اللحظة بكل وضوح. بينما خوف من نوع غريب كان قد استولى على ملامح وجهه. كانت هي الشخص الذي حاول أن يحترم كل شيء، لكن وجهه ساعتها لم يكن وجه إنسان طبيعي، كان وجهًا لشخص لديه كل هذا الصبر والاهتمام لأجل أن يُفتَنَ بجسد شقيقتها الصغرى! كانت تدرك جيدًا أنه لم يعد بالنسبة إليها أكثر من ظلّ فحسب.

«أنتَ لا تعرفني!».

وعندما وضعت سماعة الهاتف تمتمت لكي تمنح يدها قوّة كي تطاوعها: «لست في حاجة إلى أنْ أسامحك. أنا لا أعرفك». وعندما دقّ جرس الهاتف ثانيةً، فصلت السلك عنه، ثم أعادته في صباح اليوم التالي. ولكن، كما توقعت، لم يتصل من جديد مطلقًا.

***

يمرُّ الوقتُ.

عينا يونغ هيه مُغمضتان الآن. هل هي نائمة؟ هل يا تُرى أحسّت شفتاها بتلك الروائح التي قُرِّبت منها قبل قليل؟

تطلّعت في خدّيها الغائرَيْن والعظام الناتئة فيهما، وفي عينيها الخاويتين، وأحسّت بأنها تتنفّس بصعوبة. نهضت واقفة ومشَت نحو النافذة. كان لمعان اللون الرمادي الكثيف للسماء محدودًا. وراحت تتطلعُ في ذلك الضوء المنبعث من غابة جبل تشوك سونغ صيفًا، حيث تم العثور على يونغ هيه في مكانٍ ما عند حافته.

«لقد سمعتُ صوتًا».

قالت يونغ هيه، وهي راقدة وقد تم تعليق أكياس المحاليل الدوائية لها. ثم تابعت:

«سمعتُ صوتًا يدعوني فتبِعتُه... ولما لم أعد أسمعه... وقفتُ هناك في انتظاره!».

«ما الذي كنتِ تنتظرينه هناك؟».

حالما سألتها، كان ما يُشبه الحُمّى قد توهّج في عيني يونغ هيه فجأة. ثم مدّت يدها التي لم تكن أكياس المحاليل موصولةً بها وجذبت يد شقيقتها الكبرى التي أدهشتها القوة التي تتمتع بها شقيقتها الصغرى رغم حالتها في تلك الساعة:

«لقد ذابت في المطر... ذابت كلها تمامًا... كانت في طريقها إلى باطن الأرض. ولم يكن أمامي خيار آخر غير الانقلاب رأسًا على عقب».

هزّ صوت هي جو المحتدّ ما تبقى دائرًا في رأسها من ذكريات:

«ماذا سنفعل؟ يُقال إن يونغ هيه ستموت؟».

كان صوت هي جو قد أزعج أذنيها كأنه صوت طائرةٍ لحظة الإقلاع.

كانت لديها ذكرى واحدة لم تستطع أن تتفوّه بها لأحد من قبل، وربما ستحتفظ بها لنفسها إلى الأبد.

في شهر أبريل قبل عامين. في ذلك الربيع الذي التقط فيه زوجها مقاطع الفيديو ليونغ هيه. كانت هي على مدار شهر تقريبًا تنزف دمًا. وكلما غسلت الدّم الذي يبلل ملابسها الدّاخلية، لم تستطع أن تفهم أبدًا سبب اندفاع الدماء الحارّة إلى الأعلى في الهواء حالما قطعت يونغ هيه معصمها. كانت خائفة جدًا من

الذهاب إلى المستشفى، ولذا راحت تؤجل يومًا بعد يوم. تُرى لو كان مرضها في مرحلة متأخرة، فكم من الوقت سيكون قد تبقّى لها؟ سنة، ستة أشهر، أم ثلاثة أشهر؟

لقد أدركتْ للمرة الأولى كم من الوقت عاشته مع زوجها. ذلك الوقت الذي كان خاليًا من السعادة ومن أبسط أشكال الحياة الطبيعية. وقتٌ واصلت فيه المضيّ قُدُمًا بكل ما لديها من صبرٍ واهتمام ورعاية. لكنه على أية حال كان خَيارها.

في النهاية. قرّرت ذات صباحٍ أنْ تذهب إلى قسم أمراض النساء والولادة الذي كانت قد وضعت فيه ابنها.

كانت تقف على الرصيف المفتوح في محطة السكك الحديد في «وانغ شم ني» منتظرةٍ القطار الذي لم يأتِ بعد. وعلى الناحية الأخرى كان هناك صفٌّ من البنايات التي يتم رفع الدّعامات الحديد عنها، بينما أعشاب بريّة تبزغ في المواضع التي لا تمرّ القطارات فوقها. أدهشها إحساسها أنها لم تعِشْ في هذا العالم بشكل فعليّ. كان ذلك حقيقيًّا. حتّى لو عادت بذاكرتها إلى وقت طفولتها، فهي لم تعِش حياتها أبدًا.

لم يكن بوسعها سوى الصمود. كانت تعتدُّ دائمًا بما تتمتعُ به شخصيتها من نوازع إنسانية، وعلى هذا الأساس عاشت من دون أنْ تُلحِقَ الأذى بأحد قطّ. وانطلاقًا من إيمانها بذاتها استطاعت أنْ تخطوَ بنجاحٍ على دربها الخاص حتى ذلك الوقت. لكن كان هناك شيء تعذّر عليها فهمه، هناك أمام تلك البنايات في الناحية الأخرى، وذلك العشب البريّ. لم تكن سوى طفلةٍ لم تعِش حياتها قطّ.

وارت إحساسها بالارتجاف والخجل حالما طلعت فوق السرير. وقد راح الطبيبُ -وكان في منتصف العمر- يدفعُ منظارًا

طويلًا باردًا داخلها بعمقٍ منتزعًا ورَمًا كاللسان كان ملتصقًا بجدار المهبل. ارتعد جسمها جرّاء ما أحسَّته من آلام حادّة.

«هذا هو سبب نزيفك. لقد تم استئصاله من دون أثرٍ لبقاياه، ولذا ستقلّ حدّة النزيف تدريجًا إلى أنْ يتوقّف خلال أيام. أما عن مبايضك فهي سليمة، وليس هناك ما يدعو إلى القلق أبدًا».

أحسّت في تلك اللحظة بألمٍ مفاجئ. فعلى ما يبدو، وبعد أنْ زالت مخاوفها من دنوّ الموتِ، أصبح لديها المزيد من الوقت لتعيشه من جديد. لم يكن في ذلك ما سبّب لها السعادة ولو بشكل بسيط، فذلك المرض السيّئ الذي ظنت أنه قد ألمّ بها، والذي سبَّب لها قلقًا لا يوصف طوال الشهر الماضي، لم يكن سوى إزعاج ثانويّ.

في محطّة قطارات السكك الحديد بـ«وانغ شم ني»، ارتعشت ساقاها. لم يكن ذلك بسبب ألم الجراحة فحسب، فعندما صفّر القطار معلنًا وصوله أخيرًا إلى الرصيف، تمايلت خلف كرسيّ معدنيّ وأخفت نفسها، كأن هناك شخصًا ما في داخلها قد يحثّها على إلقاء نفسها على تلك الكتل الصلبة أمام القطار. لهذا السبب كانت ترتعش خوفًا.

ما زالت تعجز عن تفسير كيف قضت الشهور الأربعة التي تلت ذلك اليوم. كان نزف الدم مستمرًّا بشكل بسيط بينما الجُرح قد شفيَ فلم يعد يزعجها. لكنها كانت تحسّ بأنّ جُرحًا في داخلها ما زال مفتوحًا. جرحٌ يفوقها حجمًا، بدا كما لو كان يسحب جسدها نحو هوّة سحيقة حالكة السّواد.

كانت تتطلع في هدوء إلى مقدم الخريف بعد انقضاء الصيف. والسيدات اللاتي يشترين مستحضرات التجميل يرتدين ملابس

فاتنة تزداد قصرًا بمرور الزّمن. كانت تبتسم في وجوههنَّ دائمًا، وتقترح على كل منهنَّ ما يناسبها من منتجات بحماسة واهتمام، وتمنحهنَّ خصومات مُرضية، وتحرص على وضع عيّنات مجانية في أكياس مشترواتهن. وضعت ملصقات دعائية في مواضع تجذب العين والانتباه. وبنفسٍ راضية كانت تستبدل أيّ منتجات للعناية بالجلد اشتكى الزبائن منها. عندما كانت تترك المحل للموظفين وتذهب لإحضار جي وو في المساء، كانت تحس بالإرهاق قد حلّ عليها حدّ الموت تعبًا. أثناء سيرها في الشوارع التي تضجّ بالموسيقى وتفيض بالمحبّين والعشاق، كانت تحسُّ بتلك الهوّة حالكة السّواد تلعقها بتلك المنطقة داخلها باستمرار. عندما اجتازت الشارع كان جسدها قد تصبَّبَ عرَقًا.

كان الجوُّ يصير باردًا نوعًا ما في صباحات ذلك الصيف ومساءاته. بينما كان زوجها يعود خلسةً متحسِّسًا طريقه داخل الشقةِ كأنه لص. وكلما حاول أن يحوطها بذراعيه كانت تدفعهما بشدة قائلة:

«أنا مُتعَبَة».

لكنه يحاول مرة أخرى.

«قلتُ إنني مُتعَبَة حقًّا».

وكان يردّ بصوتٍ هادئ:

«تقبّلي ذلك قليلًا فحسب».

تذكّرتْ ذلك، وتذكّرت تلك الكلمات التي لا تُحصى وقد سمعتها منه أثناء نومه. كانت تتغلّب عليها في تلك اللحظات بالاعتقاد أنّ كل شيء على ما يُرام. كانت تمحو كل ذلك الألم

والخجل بالاستغراق في النوم العميق على الفور. وفي الصباح التالي، كانت وهي تجلس إلى مائدة الإفطار تودُّ لو غَرستْ عصاتي الأكل في عينيها بكل عفويّة، أو سكبت الماء المغلي من الإبريق الكهربائي على رأسها.

حالما كان يروح في النوم، تصبح الغرفة هادئة. تضع ابنها النائم على جانبه الآخر، فترى وسط الظلام الخافت ذلك الشبه الواضح بينه وبين أبيه بشكل يدعو إلى الشفقة.

لم يعد هناك شيء يزعجها بالفعل. كان ذلك حقيقيًّا. فهي تواصل المضي قُدُمًا كما دأبت أن تفعل، فضلًا عن أنه لم تكن أمامها سبلٌ أخرى.

بدلًا من أن تستيقظ بنفسٍ مشرقة تمامًا، أحسّت بتعبٍ شديد يقبض على عنقها، ونداوة جسمها قد جفّت. جفاف في جسمها كلّه أحسّته كما لو كان مهترئًا.

خرجت من غرفة النوم وراحت تتطلع في الزرقة الدّاكنة عبر الشرفة الكبيرة. اللعَب التي كان يلعب بها جي وو الليلة الماضية، والأريكة، والتلفاز، والباب الأسود تحت حوض المطبخ، ولطخات الشّحم على محبس أنبوب الغاز، بدت تلك الأشياء جميعًا كما لو أنها تراها للمرة الأولى. كانت تتنقل في أرجاء المنزل كما لو أنها لم تره من قبل. ثم أحسّت بوجع غريبٍ يخز صدرها. فقد شعرتبضيق وبضغط رهيب كما لو أنّ المنزل يُطبِق على جسدها.

فتحت خزانة الملابس وأخذت القميص الأرجواني النصف كُمّ الذي كانت ترتديه عادة في المنزل خلال فترة رضاعة ابنها. بعد ذلك كان يحلو لها أن ترتديه عندما لا تشعر أنها بخير. ومع أنها غسلته عددًا لا يحصى من المرات، غير أن رائحة لبن الرضاعة

ومولودها الذي حملته في أحشائها ما زالت باقية فيه وتُشعِرها بالأمان، لكنه لم يجدِ نفعًا هذه المرّة. كان الألم في صدرها حادًّا، حتّى إنه كان عليها أنْ تلتقط أنفاسها بعمق شديد لكي تواصل القدرة على التّنفّس.

جلست على الأريكة، وقد تعلّقت عيناها بحركة دوَران عقرب الثواني في الساعة أمامها، وحاولت أن تزيح الأفكار من رأسها، لكن لم تفلح محاولاتها لالتقاط أنفاسها. أحسّت في تلك اللحظة بما عانته لمرات لا تُحصى من خَطل الذَاكرة. كان في ذلك إثبات على أن ألمها الدّاخلي قد وُضع أمامها تمامًا كما لو أنّه شيء كانت تُعدُّ له منذ أمدٍ بعيد. كما لو كانت تنتظره كذلك في تلك اللحظات.

«كل هذا لا معنى له.

لا أستطيع أنْ أتحمّله أكثر من ذلك.

لا أستطيع المُضيَّ قُدُمًا،

بل الأدهى من ذلك أني لا أريد المضيّ أصلًا!».

طافت بنظرها مرّة ثانية في أرجاء المنزل. لم يكن هناك شيء مما رأته يتعلّقُ بها. كما بدا أنّ الحياة التي عاشتها لم تكن تتعلّق بها كذلك.

بعد ظهر يوم ربيعيّ، بينما كانت تقفُ على رصيف محطّة قطارات السكك الحديد، بعد عدّة شهور من إحساسها ذاك بدنوّ أجلها، أدركت أن ذلك الدم الحارّ الذي تنزفه يثبتُ بما لا يدع مجالًا للشك ما قد شعرت به أو صدّقته بالفعل. لقد كانت تحسّ بالموتِ منذ وقتٍ طويلٍ جدًّا.

حياتها الصعبة كانت كشبحٍ لا يبارحُ، أو كعرضٍ مسرحيٍّ لا

ينتهي، والموت مُرابِضٌ إلى جوارها جنبًا إلى جنبٍ بوجهٍ كما لو أنّه لأحد أقاربها الذين عادوا بعد غيابٍ طويلٍ جدًّا.

ارتعشت كما لو أنها أحسّت بلسعةِ بردٍ. تركت اللُعَب متناثرة على حالها وغادرت الحجرة. أخذت الهاتف المحمول وبدأت تنزع عنه الزينة التي كان جي وو قد ساعدها في وضعها على الهاتف طيلة مساءات الأسبوع الماضي، والتي كانت قد بدأت في التقشّر عنه. فكّت الخيطَ الذي ثُبِّتَ بطرف الهاتف بإحكام حتّى إن عقدته كانت تؤلم أطراف أصابعها. نزعت الغطاء المزدان بالنجوم، وذلك الخيط، ثم طوتهما في كيس بلاستيك ووضعت الكيس في جيب سروالها.

لبست حذاءً خفيفًا، ثم دفعت باب الشقة الثقيل وخرجت. نزلت من الطابق الخامس عبر السلالم، بينما كان الجوّ لا يزال مُظلمًا، والعمارة السكنية التي تقطنها انطفأت أضواؤها إلا من القليل جدًّا. واصلت السّير حتى بلغت باب التّجمّع السكني الذي كان ما وراؤه مظلمًا، ثم سلكت الطريق الضَّيق الصَّاعد إلى الجبل.

بدت خلفية الجبلِ أكثر عُمقًا من المعتاد بسبب الظلمة الحالكة. كان الوقتُ مبكرًا جدًّا حتّى إنّ كبار السنِّ المُكِدّون الذين يصعدون مع مطلع الفجر لجلب المياه المعدنيّة لا يزالون نائمين. أمالت رأسها وواصلت المشي، وبظهر يدها مسحتْ بهدوءٍ ذلك الماء الذي كان على وجهها. ولم تكن تعرف هل كان عرقًا أم دموعًا؟ في حين كان الألم كهوّة سحيقةٍ تبتلعها. خوفٌ حادٌّ مع إحساسٍ بحَدْسٍ غريبٍ بالسَّلام.

***

يمرُّ الوقتُ.

جلست على المقعد. فتحت غطاء آخر عُلبة. وبالقوّة مررت يد أختها المُتيبّسة على قشرة البرقوق الزلقة، ولفّت أصابعها الهزيلة على واحدة منها وجعلتها تُطبق عليها.

لم تنسَ أنّ البرقوقَ هو أحد الفواكه التي تحبها يونغ هيه. تذكّرت يونغ هيه وهي طفلة صغيرة، عندما كانت تضعُ أحيانًا برقوقةً في فمها لبعض الوقت من دون أنْ تقضمها قائلة إنها تحبّ إحساسها بها على ذلك النحو. لكن يد يونغ هيه الآن ليس لها أيّ رد فعل على الإطلاق. لقد أحسّت بأظافرها كما لو أنها من ورق.

«يونغ هيه!».

كان صوتها جافًا في جناح المرضى الهادئ. ولم تتلقّ ردًا. دنت من وجه شقيقتها الصغرى، ولوهلة لم تصدّق أنّ جفني يونغ هيه مفتوحان. تطلّعت في بؤبؤي عينيها الأسوَدَين الفارغين، فبدت علامات الذهول وقد كست ملامح وجهها من فرط إحساسها بخيبة الأمل.

«... لقد جُننتِ. أنتِ حقًّا مجنونة».

ثم سألتها بالفعل للمرة الأولى، ذلك السؤال الذي كان يلحّ عليها ولم تصدّقه طيلة السنوات الماضية أبدًا:

«هل أنتِ فعلًا مجنونة؟».

أحسّت بخوفٍ مجهولٍ يدفعها مبتعدةً عن شقيقتها الصغرى، لكنها ما زالت لم تبرح مكانها. وجناح المرضى لا يُسمع فيه ولو صوت التقاط الأنفاس، كما لو أنّ قطعة قطنٍ مبلّلة قد سدّت أذنيها تمامًا.

«... ربما».

ثم تمتمت قائلة لنفسها:

«... ربما الأمر أكثر بساطة مما ظننت».

تردّدت وبقيت للحظات صامتة ثم تابعت:

«مجنونة، لذلك...».

وبدلًا من أنْ تُكمل كلامها، مدّت ذراعها، وبسبابتها تحسست المنطقة بين أسفل أنف شقيقتها الصغرى وشفتها العليا، فأحست بأنفاسها البطيئة المنتظمة على أصبعها، فسرَت رعشة خفيفة في شفتَيْها.

الأرق والألم اللذان قد لا يعرفهما الآخرون، وقد مرّت بهما شخصيًّا، بلغا حدّهما عند يونغ هيه الآن. بيد أنها قد تجاوزتهما أسرع من الآخرين، فهل يا تُرى يمكن لشقيقتها الصغرى ذلك؟ أم إنها في لحظةٍ ما، ستترك هذا الخيطَ الرَّفيع الذي يصلها بهذه الحياة وما فيها على نحو طفيف؟ خلال الأرق الذي عانته هي شخصيًّا، كانت في حالة من الحيرة والتشوّش. ولولا جي وو -لولا مسؤوليتها تجاهه- ربما لكانت قد تركت ذلك الخيط بالفعل.

يتوقف الأحساس بالألم بأعجوبة للحظاتٍ بعد نوبة ضحكٍ؛ حيث يقول جي وو شيئًا أو يفعل شيئًا ليحثّها على الضحك. وبعد ذلك تحس بالخواء فجأة. أحيانًا لم تكن تصدق حقيقة أنها هي التي تضحك بالفعل، ومع ذلك كانت تواصل الضحك؛ ضحكٌ ينم عن حيرة أكثر منه تعبيرًا عن الشعور بالسعادة. بينما جي وو يعبّر عن فرحه برؤيتها تضحك:

« عندما فعلتُ مثل هذا ضحكتِ يا أمي؟!».

ثم يشرع في تكرار السلوك نفسه؛ يضم فمه مع جبهته مستخدمًا يديه ليصنع بوقًا، ومن دون أدنى مبالاة باحتمال سقوطه يضع رأسه

بين ساقَيْه، ثم بصوتٍ عالٍ وبلكنة يكسوها حسّ المزاح يناديها «أمي! أمي!»... وكلما ضحكت ارتفعتْ حرارةُ مزاحه. وفور أن ينتهي من حركاته تلك، يدخل في نوبة ضحك تحتشد فيها كل أسرار الفكاهة في رأسه أثناءها على ما يظهر. لكنه على أي حال لا يعرف مدى إحساسها بالذنب بسبب كل ما يبذله هذا الطفل من جهود مضنية لكي ينتزع ضحكاتها؛ تلك الضحكات التي لم تعرف أسبابها.

عجيبٌ أمر الحياة. فحالما انتهى الضحك، راحت تفكّر في أنّه حتى بعد وقوع أشياء حقيقية لهم، وبغضّ النظر عن بشاعة تلك الأشياء، فما زالوا يأكلون ويشربون ويقضون حاجاتهم في الحمام كما يستحمّون ويواصلون العيش! بل إنهم أحيانًا يضحكون على هذا النحو، بينما يتأملون أحداث حياتهم، ومن المحتمل أنهم يستدعون حالة الندم الذي تمكنوا من نسيانه للحظات مع أنه قابع وحده كما لو كان منكمشًا في مكانٍ ما بداخلهم.

بينما هي مستلقية إلى جانب جسد ابنها الصغير المسمرّ، بعدما ارتسم النوم على وجهه النضِر البريء، بدأ الليل مرة أخرى بالنسبة إليها. حيث لا مرأى ولا صوت لأي شيء آخر حي. مستمرًا إلى الأبد، كمستنقع بلا قاع. استلقت في حوض الاستحمام وعينيها مغمضتين، والغابة المظلمة تحيط بها عن قرب. خطوط المطر الداكنة تخترق جسد يونغ هيه كالسهام، والطين يغطي قدميها العاريتين النحيلتين. عندما تهز رأسها كي تبدِّد الصورة، تتلألأ الأشجار الصيفية في ضوء النهار الباهر أمام عينيها، وكأنها ألعاب نارية خضراء هائلة. أهذا بسبب الهلاوس التي حدثتها عنها يونغ هيه؟ الأشجار العديدة التي رأتها طوال حياتها، الغابات المتموّجة

التي تغطي القارات كبحر بلا رحمة، كلتاهما تغلّفان جسدها المرهق وترتقيان به. لا ترى إلا أجزاء من المدن والقرى والطرق، تطفو فوق الغابات وكأنها جزر أو جسور، تنجرف ببطء إلى مكان ما، تحملها تلك الأمواج الدافئة.

لن تعرف أبدًا ما تقوله تلك الأمواج. أو ما اعتادت على قوله تلك الأشجار التي رأتها عند نهاية الممر الجبلي، متجمعة وكأنها لهيب أخضر في نور أول النهار الخافت.

أيًا كان الأمر، لم يكن ثمة دفء فيه. أيًا كانت الكلمات، لم تكن كلمات مريحة، كلمات تساعدها على التقاط نفَسها. وبدلًا من ذلك، كانت كلمات بلا رحمة، والأشجار التي تفوَّهت بها كانت نوعًا مفزعًا من الكائنات الحية، حتى عندما تلفتت وبحثت حولها، لم تجد شجرة واحدة تقبل بأن تأخذ روحها. بعض الأشجار التي رفضتها استقرت ساكنة، عنيدة ومهيبة، ومع ذلك كانت حية كالحيوانات، تحمل أوزان أجسادها الهائلة.

***

يمرُّ الوقت.

غطّت كل العُلبِ، وأحكمت إغلاقها. وضعت كل شيء في الحقيبة بادئةً بإناء حفظ المشروبات، ثم أغلقت الحقيبة أيضًا.

تُرى إلى أيّ حدٍّ بلغت روح يونغ هيه في الزمان والمكان، بعدما نزعت اللحم من جسدها، كما ينزع الثعبان جلده. تذكرت كيف بدت يونغ هيه عندما كانت تقف على يديها في وضع مقلوب. هل أخطأت شقيقتها الصغرى الظنَّ فحسبت أرض المستشفى بقعةً في تلك الغابة؟ هل صار جسدها جذعًا صلبًا، والجذور البيضاء

تبزغ من يديها، وتنفذ إلى باطن التُربة السوداء؟ تُرى هل امتدت رجلاها عاليًا في الهواء، بينما كانت يداها قد تمددتا إلى جوف الأرض، وظهرها مشدود لكي يدعم بكل ما أوتي من قوة أطرافها في الأعلى والأسفل؟

هل كانت أشعة الشمس قد انسربت داخل جسم يونغ هيه؟ هل كان ماء البئر، على نحو معاكسٍ، يتجه صاعدًا إلى حيث تزهر الورودُ في تلك المنطقة بين أسفل بطنها وأعلى فخذَيها؟ وعندما كانت تقف على يديها في وضع مقلوب، هل كانت تلك الأشياء قد أيقظتْ روحها؟

«ولكن ما هذا؟».

ثم تابعت بصوتٍ عالٍ:

«أنت تحتضرين على فراش الموت هنا!».

وبصوتٍ أعلى هذه المرّة قالت:

«إنك تحتضرين بالفعل راقدة على هذا السرير، لا أكثر ولا أقل!».

عضّت شفتيها، حتى لكأن الدم قد بدأ يسيل منهما، وكزّت على أسنانها، لكي تقمع رغبتها الشديدة في الإمساك بوجه يونغ هيه الذي يُرثى له، وتهزّ جسدها، الذي يشبه جسد شبحٍ، بمنتهى القوّة.

الآن. لم يتبقَّ من الوقت الكثير. أزاحت الكرسيّ، ووضعت حقيبتها على ظهرها الذي أمالته إلى الأمام، ثم مضت مسرعة في طريقها للخروج من الجناح. وعندما التفتت نحو يونغ هيه، كان جسدها ما زال متصلّبًا من دون حراك تحت الملاءة. صرَّت على أسنانها بعنفٍ، ثم اتجهت نحو البهو.

***

في البهو. كانت ممرضة بشعرٍ متماوج تسيرُ نحو طاولةٍ موضوعة هناك حاملة كيسًا بلاستيكيًّا داخلَه عدد من مقصّات الأظافر. جلست أمام الطاولة بينما اصطف المرضى في طابورٍ وأخذ كل واحد منهم مقصّ أظافر وذهب. كان اختيار كل منهم للمقصّ الذي يعجبه يستغرق وقتًا طويلًا. أما في الناحية الأخرى، فكانت ممرضة بشعرٍ مضفورٍ تقلِّم أظافر المرضى المختلين عقليًّا.

كانت واقفة بهدوء تتطلع في ذلك المشهد. وقد تذكرت ما قيل لها عند تفتيش حقيبتها وقت زيارة أختها من أنّ أيّ شيء حادّ من الممكن أن يجرح، وأيّ شيء على هيئة خيط أو حبل يمكن لفه حول العنق، ممنوع بأوامر من المستشفى، وذلك حتى لا يُلحِق المرضى الأذى بأنفسهم، بل الأبعد من ذلك ألا يُلحقوا الأذى بالآخرين. كانت تتطلع في وجوه المرضى المستغرقين في تقليم أظافرهم خلال الوقت الذي مُنِح لهم لذلك، وكانت الساعة آنذاك قد بلغت الثانية وخمس دقائق بعد الظهر. انفتح باب البهو الزجاجي ولاح منه طبيبٌ برداء أبيض كان الاستشاري المسؤول عن يونغ هيه. توقف لحظة، ثم استدار إلى الوراء بحركةٍ تنم عن سابق خبرة وقام بإغلاق الباب. من الممكن أن تبدو المستشفيات الكبرى على هذا النحو من الحرص، ولكن في مستشفى للأمراض النفسية والعصبية فإن الأمر يمضي إلى ما هو أبعد، لذا فإن مسؤولية الأطباء الاختصاصيين كبيرة جدًّا. قد يكون السبب وراء ذلك أنّ المرضى هنا محتجَزون في الأساس. احتشد جمع من المرضى حوله كأنهم اكتشفوا وجود المسيح نفسه وسطهم على حين غرّة.

«لحظة من فضلك أيها الطبيب! هل اتصلتَ بزوجتي؟ يا حبّذا لو قلتَ لها إنه لا بأس في خروجي من المستشفى».

كان المريض الذي تحدّث في منتصف العمر، وقد كتب رقم الهاتف مُسبقًا على ورقة صغيرة ثم وضعها في جيب الطبيب:

«هذا رقم هاتف زوجتي. اتصل بها مرّة من فضلك!».

تحدث إلى الطبيب مريضٌ آخر كانت طريقة كلامه توحي بأنه مختلٌّ عقليًّا، كما كان صوته عاليًا:

«أيها الطبيب! غيّر لي الدواء من فضلك. هناك صوتٌ يطنُّ في أذنيّ...».

وكانت تصرّفات إحدى المريضات وصوتها الآخذ في الارتفاع ينمّان عن حالة من جنون العظمة:

«أيها الطبيب! هل يمكنك التحدّث إليه؟ لا يُمكنني العيشُ مع هذا الشخص الذي يضربني. لكن لا، لماذا تفعل مثله أنت أيضًا وتركلني برجلك؟ أنا أطلب التحدث معك فحسب!».

ابتسم الطبيب ابتسامة مريحة تكشف عن خبرته في التعامل مع تلك المواقف ثم قال:

«متى ركلتكِ؟ لكن انتظري! سأتحدث معه أولًا. متى بدأ صوت الطنين في أذنيك؟».

بينما كانت المريضةُ تضرب الأرض بقدميها منتظرة بفارغ الصبر، ووجهها السّاخر يوحي بما تحسه من قلق وبؤس، انفتح باب البهو ثانيةً، ودخل طبيب رأته للمرة الأولى، يبدو عليه صغر السّن. «إنه طبيب الأمراض الباطنية». هكذا قالت لها هي جو التي كانت تقف إلى جانبها من دون أن تشعر بها على الإطلاق. في كل مصحة للأمراض النفسية والعصبية يوجد طبيب مناوب للأمراض الباطنية. يبدو شخصًا جافًا لكنه يبدو ذكيًّا أيضًا. وفي

النهاية، وسط تضرّع المرضى، كان وقع الأقدام يشير إلى وصول الاستشاريّ المسؤول عن يونغ هيه، فخطت إلى الخلف بحركة لا إراديّة، بينما حدّثها قائلًا:

«هل تحدثتِ معها؟».

«... بحسب تقديري لوضعها، بدت كأنها غائبة عن الوعي».

«تبدو ظاهريًّا على هذا النحو، ولكن كل عضلاتها متشنّجة. ليست المسألة أنها غائبة عن الوعي، بل كما لو كان وعيها مركّزًا على موضِع ما. وعندما يتم إجبارها على الخروج من هذه الحالة، ستلحظين أنها كانت يقظة تمامًا».

بدا الطبيبُ جادًّا، لكنه كان متوترًا نوعًا ما:

«هذا أمرٌ يصعُب على أفراد العائلة ملاحظته، ولو أنك ترغبين في مساعدتها فمن الأفضل ألّا تتدخَّلي في الأمر».

ردّت قائلة: «أتفهّم ذلك، ولكن...».

«ستكون الأمور على ما يُرام».

كانت يونغ هيه تصارع بجسدها فوق كتفَي أحد المكلفين بحماية المرضى، وقد دخل وهو يحملها عابرًا الممرّ إلى جناحٍ مخصصٍ لمريضَين فقط، ثم تبعه أحد القائمين على الرعاية الصحية، كما دخلت شقيقتها الكبرى أيضًا. كان كلام الطبيب صحيحًا. فقد كان واضحًا أنّ يونغ هيه واعية تمامًا. كان من الصعب تصديق أنّ بنيتها الجسدية الضعيفة وهي مستلقية على سريرها لا حول لها ولا قوة قبل قليلٍ، يصدر عنها كل تلك المقاومة العنيفة. غير أنّ صوت صراخها غير الواضح كان يُسمع بالكاد:

«... اتركني... اترك... ني...».

شخصان من المكلفين بحماية المرضى، مع مساعد تمريض، أمسكا بجسد يونغ هيه المفعم بالمقاومة ووضعوها على السرير ثم أوثقوا أطرافها بإحكامٍ.

«تفضلي بالخروج رجاءً!».

كانت تقف مترددة، فخاطبتها رئيسة التمريض قائلةً:

«من الصعب على أفراد العائلة مشاهدة ذلك، تفضلي بالخروج رجاءً!».

لوهلة رمقتها يونغ هيه بعينين مومضتين وصراخ حادّ مع كلام ينفجر خارجًا دونما انقطاعٍ، بينما أطرافها موثقة، وقد بدا وكأنها تودّ لو تخلصت من قيودهاً الجبرية تلك وهرولت نحوها.

اتجهت من دون وعي نحو يونغ هيه. لا يبدو من ذراعيها اللذين يحاولان التملّص سوى العظام، بينما الزّبد الأبيض من فمها كان ممزوجًا بشكل طبيعي بكلماتها:

«أكـ...رهُ...!».

لأول مرّة كان صوتُ صراخها واضحًا على هذا النحو كأنه صوت لوحشٍ:

«أكـ...رهُ! إني أكـ...رهُ الأكلَ».

أمسكتْ خدَّي يونغ هيه الغائرتَين بيديها قائلة:

«يونغ هيه! يونغ هيه!».

كانت نظرةُ الهلع الحاد من شقيقتها الصغرى كما لو كانت قد فقأت عينيها!

«اخرجي من فضلك! وجودك لا يزيدنا إلا إزعاجًا».

أمسك الشخصان المكلفان بحماية المرضى بها من تحت إبطيها وحملاها إلى الخارج عبر الباب المفتوح من دون منحها فرصة للمقاومة، ثم أمسكها الممرض الواقف في الخارج من ذراعها:

«ابقي هنا لو تكرمتِ. وجودك هناك يثيرها أكثر».

ارتدى الطبيبُ الاستشاري قفّازًا وأخذ أنبوبًا طويلًا رفيعًا من رئيسة التمريض ثم وضع طبقة من الهلام عليه.

آنذاك، أمسك أحد المكلفين بالحماية وجه يونغ هيه مثبّتًا إياه بكل ما لديه من قوةٍ. وحالما اقترب الأنبوب من يونغ هيه توهّج وجهها وأفلتته من يد رجل الحماية الذي كان يقول: «لا أدري من أين تأتيها مثل هذه القوة!». بينما خطت شقيقتها الكبرى بلا وعي إلى الأمام، لكن الممرض ظلّ ممسكًا بذراعها. في النهاية، أمسك الحارس بكلتا يديه خدَّي يونغ هيه ليتمكن الطبيبُ من إدخال الأنبوب في أنفها، لكنه راح يصيح متذمرًا:

«اللعنة، إنه مسدود!».

كانت يونغ هيه قد أغلقت المريء عبر لهاة الحلق بعد أن دفعته من خلال فمها إلى الخارج. وقف طبيب الأمراض الباطنية مقطب الجبين منتظرًا أنْ يُدخل الأنبوب باستخدام الحقنة بعد أن استقر داخله أنه لا مناص من القيام بذلك. فقام الطبيب الاستشاري بسحب الأنبوب من أنف يونغ هيه.

«هيّا نحاول ثانية! على نحو أسرع هذه المرّة!».

دهن الأنبوب بالهلام ثانية، وقام الحارس بتثبيت وجه يونغ هيه بيديه من جديد، وتم إدخال الأنبوب في أنفها.

«لقد دخل! دخل الآن!».

تنفس الطبيبُ الاستشاري الصُّعداء، بينما انشغلت يدا طبيب الأمراض الباطنية بإدخال عصيدة الأرز عبر الحقنة، وظلّ الممرضُ في الخارج ممسكًا بذراع الشقيقة الكبرى بكل قوّته هامسًا:

«انتهى الأمر. لقد نجحت المحاولة. ستنام الآن وقد تتقيأ بعد ذلك».

حالما أخرجت رئيسة التمريض الحقنة، صرخت مساعدة التمريض فجأة، فهرولت الشقيقة الكبرى إلى الداخل بعد أنْ أفلتت ذراعها من الممرض:

«أفسح! أفسحوا جميعًا!».

أمسكت كتفي الطبيب الاستشاريّ الذي كان واقفًا أمام يونغ هيه من دون حراك. بينما الدّم قد لطّخ وجه مساعدة التمريض الممسكة بالأنبوب. كان دم يونغ هيه الحارّ ينسال من فمها عبر الأنبوب، بينما طبيب الباطنية الممسك بالحقنة يقف إلى الوراء.

«انزع هذا! انزعه بسرعةٍ».

راحت الشقيقة الكبرى تصرخ بلا وعي بينما أمسكها الحارس من كتفيها. في تلك الأثناء، قام الطبيب الاستشاري بسحب الأنبوب من أنف يونغ هيه، وهو يصرخ في وجهها:

«اهدئي. ابقي هادئة! اهدئي».

ثم تحدث إلى رئيسة التمريض:

«مهدّئ الأعصاب».

أعطته رئيسة التمريض حقنة مهدئ الأعصاب.

«لا تفعـ... ».

كانت شقيقتها الكبرى التي ترى ما يحدث تصرخُ صراخًا ممزوجًا بالنحيب:

«كفى! لا تفعل! توقف من فضلك!».

عضّت يد الحارس الذي حاول الإمساك بها ثم اندفعت ثانية، بينما تذمر الحارس وقد اختلط تأوّهه بكلمات بذئية:

«ما هذا؟ اللعنة!».

احتضنت الشقيقة الكبرى أختها إلى أن ابتلّت ملابسها بدماء القيء الذي أخرجته.

«أتوسّل إليك، هذا يكفي! رجاءً كفى!».

شدّت الشقيقة الكبرى رئيسة التمريض التي كانت ممسكة بالحقنة من معصمها، بينما في صمتٍ شعرت يونغ هيه بتشجنات في جسدها.

***

كانت دماء يونغ هيه قد لطخت أكمام الرداء الأبيض للطبيب، بينما كانت شقيقتها الكبرى تحدّق بخواء إلى ما استدعاه هذا المشهد المؤلم من دوّامة مهولة من الذكريات.

«يجب أن تُنقل إلى مستشفى كبير على الفور! اذهبي بها إلى سيول. فسوف يقومون بحقنها بالبروتين في عروق رقبتها للتغلّب على مشكلة نزف الدماء هذه. لن يدوم ذلك لوقت طويل، ولكنه الخيار الوحيد المتاح لإبقائها على قيد الحياة».

أخذت خطاب الإحالة على الفور ثم وضعته في حقيبتها وغادرت حجرة التمريض. دخلت الحمام، ولكنّ ساقيها كانتا

قد ارتعدتا أمام مقعده، بينما أعوَزتها القوة لتتغلب على ذلك فخرّت منهارة على الأرض. وفي صمت بدأت تتقيّأ؛ شايًا رماديًا، وعصارة معدة صفراء.

«غبيّة!».

غسلت وجهها بحوض الحمام، بينما شفتاها ما زالتا تردّدان الكلمة ذاتها: «غبيّة!».

«إنه جسدك. افعلي به ما يحلو لك. إنه الشيء الوحيد الذي يمكنك التصرف فيه على هواكِ. ولكنه مع ذلك لا يودي بك إلى ما كنت ترغبين فيه».

رفعت رأسها فرأت وجهها في المرآة مبلّلًا. ولمرات لا تُحصى رأت عيني امرأة تنسال منها الدماء كانت تراودها في أحلامها. ومهما حاولت بيديها مسح تلك الدماء ظلّت في عينيها. لكن وجه هذه المرأة لا يبكي الآن. دائمًا هكذا كان. يراوغ أيّ إحساس تحسّه ويبقى كما هو من دون كلمة واحدة محدّقًا. كان صوتُ النحيب الذي سمعته قبيل قليلٍ بأذنيها يصعب تصديق أنه صادر عنها شخصيًّا.

ترنّحت كسكرانٍ، ومشت متجهة نحو الممر خائرة القوى بينما تحاول الحفاظ على توازنها. دخلت أشعة الشمس فجأة فأشرق البهو الخافت متلألئًا. لم ترَ هذا الضوءَ المشرق منذ فترة طويلة. بعض المرضى حساسين تجاه الضوء ولذا يشعرون حياله بالهياج. بينما احتشد بقية المرضى متقاربين بالقرب من النافذة. كانت مريضة ترتدي ملابس عاديّة تتجه نحوها آنذاك، فضيّقت عينيها وسط حالة من الإحساس بالإغماء وراحت تتحقّق من وجه المرأة. إنها هي جو. كانت تبكي من جديدٍ حتى احمرّ بياض

عينيها. هل هي بطبيعتها على هذا النحو؟ أم أنها متقلبة الانفعال بشدة بسبب مرضها؟

«ماذا ستفعل يونغ هيه إذا خرجت من هنا الآن؟».

أمسكت بيدَيْ هي جو قائلة: «شكرًا جزيلًا على كل تلك الفترة».

فجأة أحست بأنها تريد أن تربّت بيديها على كتفَي هي جو الباكية لكنها لم تفعل، وبدلًا من ذلك أدارت وجهها ناظرةً نحو المرضى الذين كانوا يحدقون باستثارة من وراء النافذة. يندفعون خلف النافذة كما لو كانوا يودّون تجاوزها، حيث ترنوا أرواحهم الطليقة إلى عبورها بينما أجسادهم محتجَزة هناك. تلك المرأة أيضًا محتجَزة هناك وكذلك يونغ هيه. بدا أنها لا تعرف تلك المرأة. إنها هي جو التي ربما لن تنسى أبدًا مسؤوليتها عن يونغ هيه خلال احتجازها هناك.

سمعتْ صوت وقع أقدام متسارعة عبر الممر في الناحية الشرقية. ثم ظهر اثنان من الحراس يحملان يونغ هيه التي قاموا بتنظيف ملابسها. كانت عينا يونغ هيه مغمضتان ووجهها نظيف فبدت كطفلٍ يغطّ في نُعاسٍ بعد الاستحمام. مدت هي جو يدها الخشنة لتمسك بيد يونغ هيه النحيلة جدًّا، بينما أدارت الشقيقة الكبرى وجهها حتى لا ترى ذلك.

***

بدت غابة الصيف المكشوفة خصبة جدًّا من وراء زجاج مقعد السائق في سيارة الإسعاف. تحت أشعة شمس ما بعد الظهيرة المتمايلة، والأمطار تبللُ أوراق الأشجار التي نبتتْ من جديدٍ متوهّجة بحدّة.

وضعتْ شعر يونغ هيه الذي كان مبتلًا بعض الشيء خلف أذنيها، وكما قالت لها هي جو بالفعل، كانت شقيقتها الصغرى خفيفة جدًّا.

تذكرت الأمسيات عندما كانوا صغارًا، وكان زبد الصابون الأبيض الزلق يغطي شعرها الناعم وجسدها حينما كانتا تستحمان معًا لعدد لا يمكنها أن تحصيه من المرّات. كانت تغسلُ ظهر شقيقتها الصغرى متحسّسة فقرات ظهرها واحدة تلو الأخرى، كما كانت شقيقتها الصغرى تغسل لها ظهرها وتلفّ شعرها.

عندما لمستْ شعر يونغ هيه نحيلة البدن خائرة القوى أحسّت كأنه مثل شعر جي وو عندما كان ما زال ملفوفًا بالقماط، كما تذكّرت أصابع يدي ابنها الصغيرة تتحسّسُ رموشها فأحسّت بالوهن.

أخذت الهاتف المحمول الذي كان مغلقًا طوال اليوم من جيب حقيبتها. فتحته وضغطت رقم هاتف جارتها في الشقة:

«إنها أنا! أمّ جي وو... بسبب أحد الأقارب ذهبتُ إلى المستشفى... نعم. أمرٌ طارئ...، سيصل باص روضة الأطفال أمام مدخل العمارة في الخامسة وخمسين دقيقة... نعم، إنه دائمًا يأتي في موعده... لن أتأخر كثيرًا. لو تأخرتُ فسأحضر لآخذ جي وو وأعود إلى المستشفى ثانيةً. لكن كيف يمكنه النوم هناك... حقًّا... شكرًا جزيلًا... عندك رقم هاتفي؟ وسأتصل بك لاحقًا».

طوت الهاتف مُنهيةً المكالمة. في الحقيقة لم تطلب من أحد أن يعتني بابنها منذ مدة طويلة. فبعد رحيل زوجها عن المنزل ألزمت نفسها بقضاء العطلات الأسبوعية وأوقات المساء معه. تقطَّب وجهها فتجعّدت جبهتها. وأحست فجأة بالنُعاس فأسندت ظهرها إلى زجاج النافذة وأغمضت عينيها وراحت تفكّر.

سوف يكبر جي وو قريبًا. سيكون في مقدوره أن يقرأ بمفرده، وأن يتواصل مع الناس. يومًا ما، سينتقل الكلام من فمٍ إلى فمٍ ليبلغ مسامعه ويعرف ما حدث لهم جميعًا، فكيف سيتسنّى لها ساعتها أنْ تفسّر له ما وقع؟ إنه حَسّاس بطبيعته، ولذا فهو عُرضة للمرض، فكيف ستجعله يواصل حياته على هذا النحو؟

تذكّرت منظر جسدَيْهما عاريَيْن مُلتفَّين كنبتتَيْ كرمةٍ. لقد صدمها ذلك الفيديو بكل وضوح، ولكنه رغم غرابته، كلما مرّ الوقتُ لم تعد تتذكر تفاصيله. كانت أوراق الشجر والورود والجذور الخضراء تُغطي جسدَيْهما بحيث صارا مثل شيء آخر غريب وغير بشريّ. كانت حركة جسدَيْهما، التي رأتها كما لو كانا يتملّصانِ من كينونتهما الشخصية، في حالةٍ من الصراع. ما الذي كان يدور داخله عندما أراد أنْ يُعدَّ ذلك الشريط؟ هل جازف بكل ما لديه ليصوّر نفسه في ذلك الفيديو بائسًا وفي غاية الحمق، بل جازف بفقد كل شيءٍ أيضًا.

«أمي! لقد طارت الصورة في الهواء. تطلعت إلى السماء. نعم. وهناك طائر يحلّق وقد سمعته يقول:... أنا أمّك، وقد بزغت من جسم الطائر يدان!».

كان ذلك منذ وقتٍ بعيدٍ، حين كان جي وو ما زال غير قادر تمامًا على الكلام. كانت عيناه تشيان بعدم قدرته على النوم عندما تضيقان. وعندما تنهمر من عينيها الدموع كان يبتسم ابتسامة مميزة مع ضحكة غامضة تدهشها كأنه يقول:

«لكن لماذا تبكين؟ أكان حلمًا سيئًا؟».

كان جي وو لا يزال راقدًا في السّرير يفرك عينيه بقبضتَيْ يديه، وسألته:

«ماذا كان شكل الطائر؟ ما لونه؟».

«أبيض... نعم أبيض. وكان شكله جميلًا».

بسرعة ومع أنفاسه المتهدّجة يرتمي في حضنها. كان يبذل جهودًا مُضنية لأجل إضحاكها بطريقة مماثلة، غير أنها كانت تنوح من دون جدوى. لم يكن يطالب نفسه عن قصدٍ، ولا يطالبها أن تساعده. كان حزينًا فحسب ولذا كان يبكي في صمتٍ، فقالت لأجل أنْ تريحه:

«إذًا، كان الطائر أمًّا!».

هزّ رأسه وهو لا يزال في حضنها، فرفعت وجهه بكلتا يديها وقالت:

«انظر! أنا أمّك هنا إلى جانبك. لم أتحوّل إلى طائر أبيض. أليس كذلك؟».

كان وجهه المبلل مثل وجه جروٍ، وابتسم ابتسامة صغيرة:

«... كان حُلمًا فحسب، مجرّد حلم».

أكان كذلك حقًّا؟ في تلك اللحظة. كانت أنفاسها توحي بأنها غير متأكدة. مجرد حلم. مجرد مصادفة في توقيتٍ واحد؟! حيث كانت تقف وراء الأشجار بقلبٍ خاوٍ مرتدية القميص الأرجواني الباهت وهي عائدة من فوق الجبل في ذلك الصباح.

إنه مجرّد حُلم.

في ذلك اليوم، وفي كل مرّة استدعت وجه جي وو، تحدّثت بصوت عالٍ قائلة: «**إنه مجرّد حُلمٍ**».

لم يكن صوتها وحده الذي يجسّد دهشتها، بل كانت عيناها

كذلك تنظران يمينًا ويسارًا في عبوسٍ. ما زالت سيارة الإسعاف تنطلق مسرعة نازلة عبر الطريق المنحدر، بينما بيدٍ لم ترَ ارتعاشها صفّفت شعرها الذي لم تعتنِ به لفترةٍ طويلة.

أمرٌ يصعبُ عليها تفسيره حتى لنفسها؛ إذ كيف يمكن التخلّي عن ابنهما بكل تلك البساطة؟! ولا تقتنع بقسوة مثل ذلك الذنب الناجم عن عدم الإحساس بالمسؤولية، ناهيك بعدم القدرة على الاعتراف به لأحدٍ، وعدم القدرة على أنْ تسامح فيه. لكنها أحسّت بكل وضوحٍ بمدى بشاعة الحقيقة المتعلقة بذلك الأمر. فلو أنّ زوجها ويونغ هيه لم يتخطيا كل تلك الحدود، ولو أنّ كل الأشياء التي تحيط بها لم تأخذ في الانهيار مثل جبلٍ من الرمال، ربما كانت هي الشخص الذي انهار على الفور. ولو أنها كانت قد انهارت ثانية لربما استحال عليها أنْ تقف على قدميها من جديدٍ. وفي هذه الحالة، هل كانت الدّماء التي تتقيأها يونغ هيه اليوم دماءً منفجرةً من صدرها هي؟!

كانت استفاقتْ يونغ هيه مصحوبة بصوتِ أنّاتها. وقد وضعت منشفة ناحية فمها على الفور مخافة أن تتقيّأ من جديدٍ.

«...آآه!».

لم تتقيّأ يونغ هيه بل فتحت عينيها. وقد تطلعت في شقيقتها الكبرى ببؤبؤَي عينيها الأسودين مباشرة. فراحت تتساءل عمَّ يكمن خلف هاتين العينين من حماسةٍ، وعمّا تخفيانه داخلهما، وعن ذلك الخوف، والغضب، والألم، بل والجحيم.

نادت على شقيقتها الصغرى بصوتٍ لا انفعال فيه:

«يونغ هيه!».

«... آآه. آه!».

لم تعلّق شقيقتها الكبرى على تأوهاتها، بل أشاحت برأسها وكأنها تتحاشى ما سيترتب على ردّها. مدّت يدها المرتعدة ثم أعادتها نحوها ثانية.

أطبقت شفتيها، فعلى حين غرَّة، داهمها مشهد ذلك الطريق الذي سلكته نازلة من الجبل فجر ذلك اليوم، حيث بلل الطلّ حذاءها الخفيف حتّى شعرت بالبرودة وهي شبه حافية تقريبًا. لم تكن قادرة أبدًا على أن تتفهم تلك الرسالة التي حملتها كل تلك الأمور؛ تبلُل جسمها بالماء تمامًا، والبرودة الجافة التي سرت بشكل موسّع في عروقها النحيلة. لكنها كما لو كانت قد تسرّبت عبر مسامها إلى عظام جسمها كلّه.

«... ما أودُّ قوله!».

فتحت فمها وراحت تهمسُ ليونغ هيه. كانت سيارة الإسعاف تتمايل فوق حفرةٍ على الطريق، بينما وضعت يديها على كتفي يونغ هيه قائلة:

«... قد يكون ذلك كله مجرّد حُلمٍ».

أمالت رأسها، وكما لو أن شيئًا ما قد أضاء في رأسها من حيث لا تدري، دنت من أذنيّ يونغ هيه وراحت تحدثها مركّزة على كل كلمة في غاية الهدوء والوضوح:

«في أحلامي، وكل الأشياء في الأحلام تبدو حقيقيّة، ولكن عندما نستيقظ نعرف أنها ليست كذلك... ولهذا السبب علينا أنْ نستيقظ في لحظةٍ ما، ومن ثمّ...».

رفعت رأسها، بينما سيارة الإسعاف تدور حول آخر مُنعطفٍ على الطريق مارّة بجبل «تشوك سونغ»، لمحت طائرًا أسود يحلّق

نحو الغيوم الدّاكنة، وإذا بأشعة شمس الصيف تلفح عينيها فتؤلمها بحيث تعجز عن متابعة الطائر الذي كان يحلّق هناك.

بهدوءٍ راحت تتنفّسُ، والأشجار على جانب الطريق متوهّجة باللون الأخضر، كجناح طائر هائل يتمايل. حدّقت بقوّة إلى الأشجار، كما لو كانت تنتظر منها إجابة. لا، كانت نظرة عينيها داكنة ومفعمة بالإصرار كأنها تحتجُّ على شيء ما!

تمت

بإجماع اعتُبرت هذه الرواية الحائزة على جائزة مان بوكر الدولية 2016، واحدة من أفضل كتب العام.

مثيرة للدهشة فعلًا، لا توجد فيها كلمة واحدة مهدورة، مكتوبة بدقة عالية وباختصار بليغ، وبلا تلاعب بالسرد... قصة عن التعامل الفج والقاسي مع النساء، وتأمل في المعاناة والحزن. عن الهروب من الواقع وعن الخواء الداخلي وعن غضبنا المتفجر عندما نكتشف أن لا شيء يمكن فعله.. النباتية رواية يكمن جمالها في همجيتها وضراوتها.

The Times

رواية شرسة، لقد استحقت هان كانغ الاحتفاء بها ككاتبة صاحبة رؤية.

تعامل هان المبدع مع القوة والخيار الشخصي والخضوع والتدمير تمت صياغته ببراعة.. إن رواية (المسخ) وأعمال أخرى لكافكا تسكن في روح هذا النص....

New York Times Book Review

رواية عن الجنسانية والجنون، جديرة بكل هذا النجاح الذي لاقته... Ian McEwan

مرعبة في تصوير جهلنا بالآخر، تحفر عميقًا في جوانب مظلمة في النفس البشرية، متمردة ومستفزة وذكية ولا يمكن نسيانها. Publishers Weekly

سيرغب القرّاء في قراءة المزيد من هذه الصور الصادمة لأكثر شكوكنا عمقًا ولقناعاتنا وتوقنا ورغباتنا. Book List

بصور سوريالية ولحظات مخيفة من القنوط واليأس، وبقدرة عالية على الإقناع، تكتب هان عن القوة المدمرة للاشتياق وللرغبة.. وبفانتازية غريبة تجول في عمق التجربة الإنسانية لاستكشاف أن هناك مَن لم يعد راضيًا عن حياته كما هي.. رواية غير عادية بالمرّة.

Kirkus

أحلام سوداوية.. مشاعر مهتاجة.. عفوية مؤثرة.. ألوان مدهشة وأسئلة محيّرة... تأخذنا في هذه الرواية جملة بعد جملة إلى تجربة فريدة سيكون من الصعب منافستها.

The Guardian


ISBN: 978-9938-941-10-4

